السلسلة التاريخية

عقد اللآل في تاريخ أوال

تأليف: الشيخ محمد على التاجر

اعداد وتقديم: ابراهيم بشمي

من اصدارات:
مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر

عقد اللآل فى تاريخ أوال

تأليف: الشيخ محمد على التاجر

اعداد وتقديم: ابراهيم بشمي

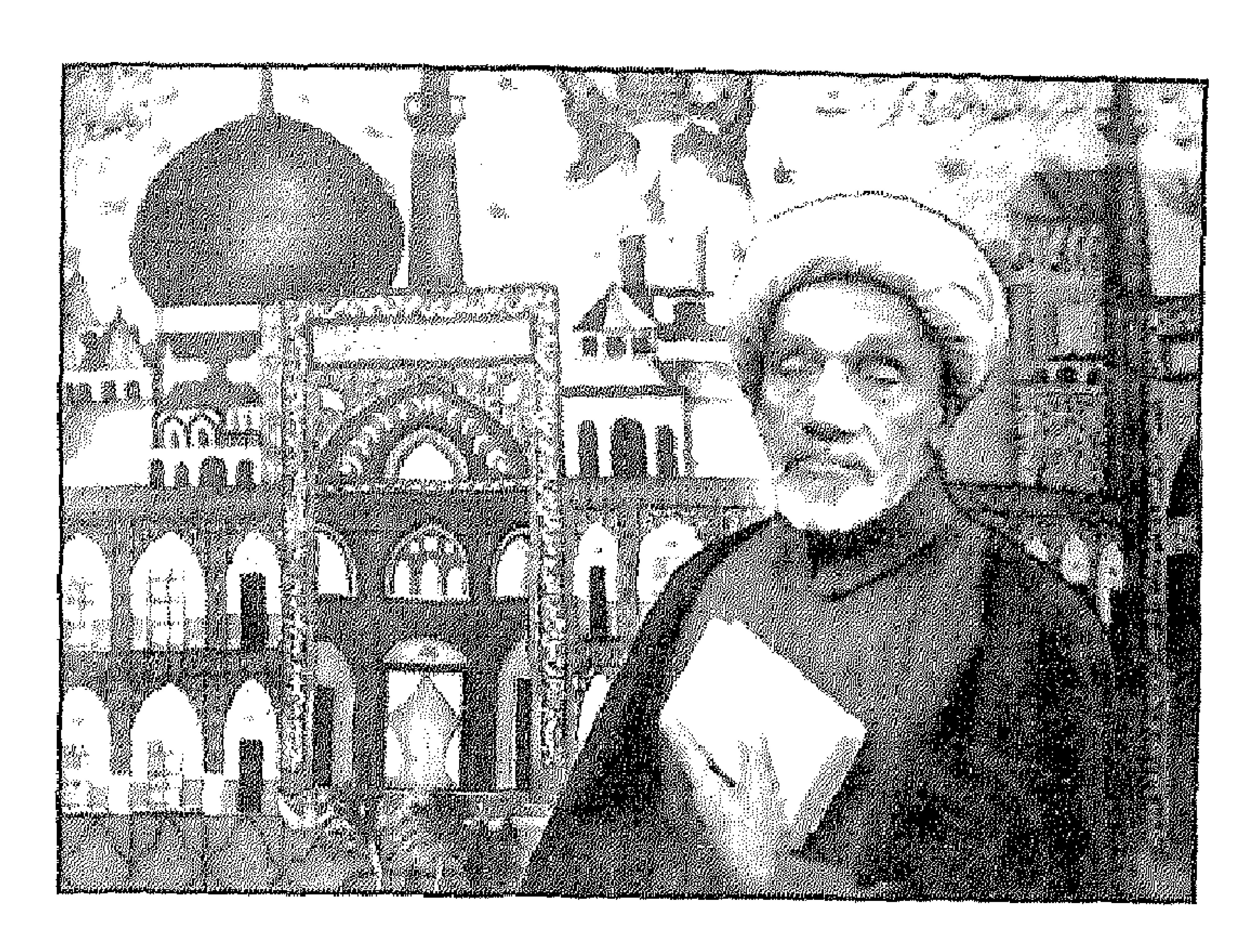
الكتاب: عقد اللآل في تاريخ أوال
تأليف: الشيخ محمد على التاجر
اعداد وتقديم: ابراهيم بشمي.
رقم الايداع: ـ المكتبة العامة (البحرين).
الناشر: مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر.
سنة النشر: ١٩٩٤ ـ البحرين.
العنوان: المنامة ـ البحرين ـ ص.ب ٣٢٣٢.
هاتف ٧٢٧١١١ ـ فاكس: ٧٢٩٠٠٩.

عقد اللآل فى تاريخ أوال

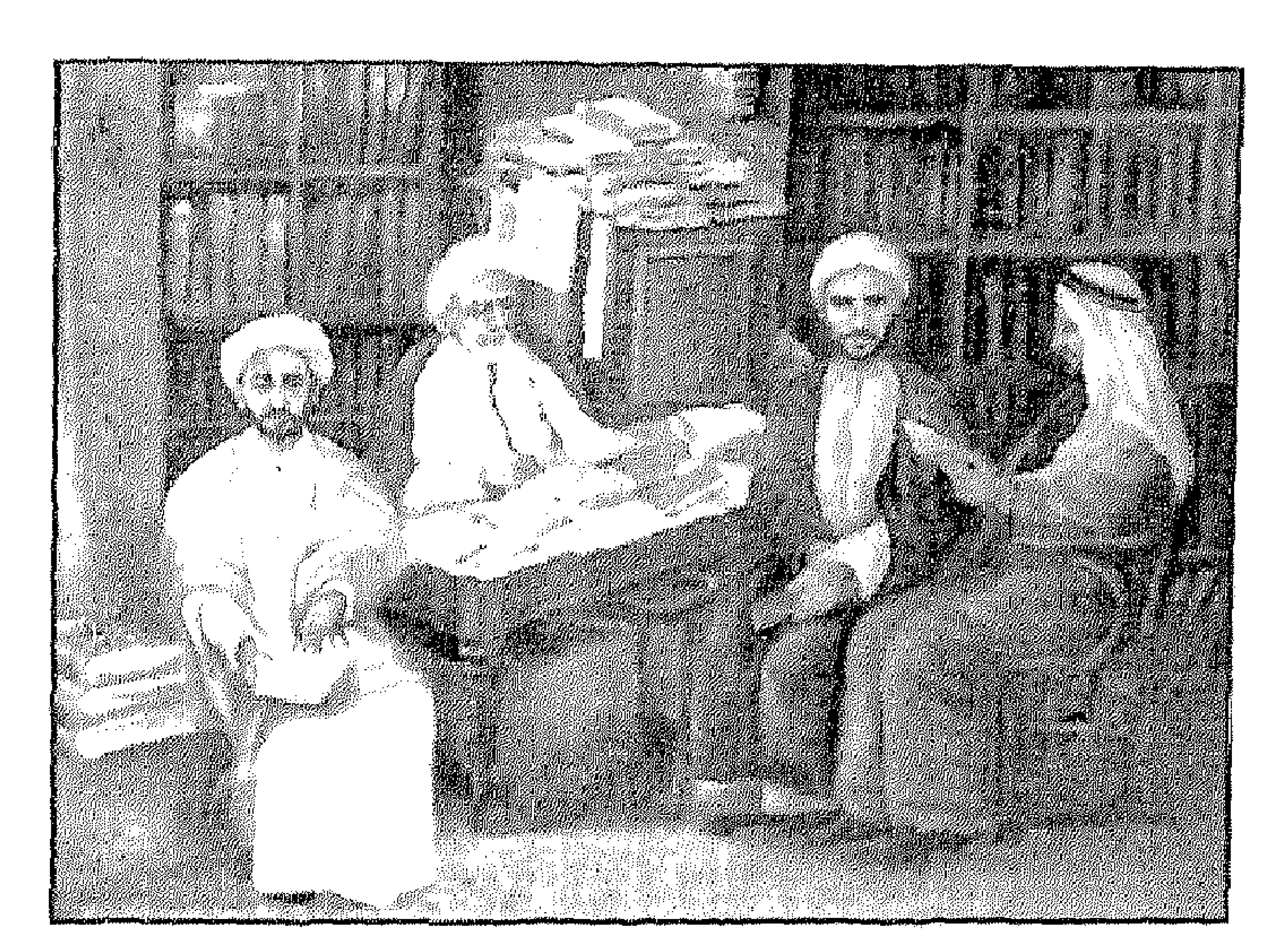
تأليف: الشيخ محمد على التاجر

إعداد وتقديم: ابراهيم بشمي

اصدارات: مؤسسة الايام للطباعة والصحافة والنشر









مجموعة صور للشيخ محمد علي التاجر
ورسوم للفنان عبد الكريم العريض

تقديم

لم أكن من المؤمنين بالحظ، لأن الحظ هو مجرد كلمة تورية لشيء آخر يسمى الاجتهاد، يأتي احيانا في الوقت المناسب، وعلى فجأة، ولكن بعدما تكون قد تقطعت انفاسك في دروب الحياة، بحثا ومشقة عن الذي تبحث عنه.

كنا في جلسة من جلسات الأدب والثقافة في الشارقة، وكان الحضور مجموعة من أولئك المثقفين الجامعين ما بين الثقافة العربية الكلاسيكية، والثقافة المعاصرة، ودار الحديث إذ دار حول تاريخ المنطقة، والكتب التي تناولتها تأليفا وترجمة، وقلت ضمن ما قلت، بأن هناك ثلاثة كتب كتبت عن البحرين والخليج، وتعتبر من الكتب المفقودة، ومن هذه الكتب كتب الاستاذ ناصر خيري الذي داخ الأستاذ مبارك الخاطر وهو يبحث عنه، وكتاب الشيخ محمد علي التاجر، وكتاب مؤلفه شخص من سكنة جزيرة دارين.

وهناك قال لي أحد الحاضرين المهتمين بادب وتاريخ المنطقة، ومن الذين يهوون جمع الكتب التاريخية القديمة وهو يبتسم: وماذا تعطيني، لو اهديتك احد هذه الكتب الثلاثة؟

فأجبت، ووجيب قلبي يخفق: إطلب عسى الله يقدرني على طلبك.

فقال: وهل يغلو على العلم شيئاً؟! أنا لا أريد سوى النسخة الاولى من هذا الكتاب مجدلة تجليداً فاخراً هدية منك.

وهكذا كانت البداية، نسخة من مخطوط كتاب الاستاذ محمد علي التاجر، مطبوعة على ورق نسخ من اوراق آلات التصوير، التي كانت في بداياتها تستخدم ذلك الورق الكيمياوي، والتي تلاشت بعض حروفه وعباراته بفعل الزمن، نسخة كانت بعض أسطرها غير واضحة أحياناً، وأحيانا أطرافها لم تستطع آلة النسخ القديمة أن تلتقطها، ولكنها النسخة الاولى التي نعثر عليها من كتاب عقد اللآل في تاريخ أوال للشيخ محمد علي التاجر.. وكنا أمام خيارين، إما ان ننشرها بالنقص الذي فيها، أو ركنها في زوايا الارشيف، والانتظار حتى يتم استكمال النقص، وفضلنا ان تخرج هذه المخطوطة للنور حتى بهذه النواقص على ان لا ترى النور ابداً.

في شارع ابي العلاء الحضرمي، وهو احد الطرق المتفرعة من شارع باب البحرين.. كانت تقع قهوة «بوناجي» وسوق الطواويش.. ويتداخل في هذا الشارع البيع بالشراء، ومحلات الذهب القليلة المتناثرة في تلك الأزقة الصغيرة.. بالخياطين والدوبية.. أي غسالين الملابس الهنود.

وبالقرب من محل بوهندى بائع اللؤلؤ الشهير، والذى صار فى أواخر عمره يبيع الطوابع والعملات وبالقرب منه.. وبالضبط فى غربه حيث يفصل بينهما زقاق صغير، كان يعيش عالم آخر من الناس، فهنا سراديب وسكن «البانيان» العاملين فى مهنة الصياغة، القريبين من المعبد الهندوسى.

وهنا بالضبط يقع دكان صغير يرتفع عن الارض بحوالى ثلاثة اقدام.. تصل اليه بارتقاء عتبتين من الحصى البحرى والطين، والدكان لا يضم سوى رجل عجوز منكب على مكتبه، يقلب بين يديه كتاب، أو يبرى قلم، وسط ظلال الزمن والكتب.. منزوياً فى صومعته عن العالم الذى حواليه.. وربما تجد لديه أحياناً واحد، أو اثنان أو ثلاثة من الطواويش، الذى عفى على مهنتهم الزمن.. يأتون لاجترار الذكريات.. أو لتمضية الوقت الضائع الذى ليس وقتهم.

كان المكان يشابه المعبد بجدران الطين، والحصى البحرى، والدنجل، والكتب المصفوفة، المجلدة بأوراق الزمن والتاريخ.. وكان هذا المكان هو مكتبة أو صومعة الشيخ محمد على التاجر.

والمعلومات القليلة المتناثرة عن انتاج الشيخ قليله، وحسب الاقاويل فأن الشيخ محمد على بن سلمان بن أحمد بن عباس التاجر آل نشرة، أديب وبحاثة ومؤرخ من الطراز الاول، واليه يرجع كثير من كتاب التاريخ والبحوث وخصوصا فيما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية.. لكن أين هى؟! لماذا لم تطبع؟! وفى حوزة من أصبحت؟ هذه أسئلة لا نملك إجاباتها .

فى صباه تنقل محمد على التاجر مع والده بين البحرين والهند، فوالده كان من تجار اللؤلؤ، وكانت اسواق الهند هى نقطة التلاقح الحضارى آنذاك مابين الخليج والهند.

وعندما عم الكساد اسواق الخليج، استقر الشيخ فى البحرين، وتعامل فى العقارات، والأراضى الزراعية، هو وأخاه عباس بن سلمان بن احمد بن عباس التاجر، الذى توفى عام ١٩٢٥ (والد المعلم المشهور عبدالرسول التاجر) وكان الأخوين يعتبران من هواة الأدب، والأدباء المحسوبين على الأدب فى بحرين العشرينات والثلاثينيات والاربعينيات.. ومن هنا جاء اهتمامهما بالمكتبة والكتب، وكانت المكتبة فى الواقع هواية اكثر منها تجارة.. كانت المكتبة قديمة مكتظة بالكتب، ولكن كان الشيخ محمد على التاجر يعرف موضع كل كتاب وضعه فيها منذ عشرات السنين.. حيث قرأ كل كتاب موجود هنا، وتعامل معه بمحبة وصداقه.

وكان الشيخ محمد على التاجر نهماً ولكن للقراءة، شغله الشاغل فى البيت أو فى المكتبة.. ويظل يقرأ.. ويقرأ.. الصباح فى المكتبة.. وفى البيت ليلاً.. والى أيامه الاخيرة حتى كلّ بصره.. وفى أواخر حياته إستحوذت عليه هواية جمع الطوابع، حيث ترك مجموعة قيمة من تلك الطوابع.

درس محمد علي التاجر فى البحرين كما تروى بعض المصادر عند المعلم «طربوش» وهو خطاط وكاتب، ولدى خديجة بنت نصر العصفور، وهى جدة التاجر المشهور منصور العريض، حيث تعلم لديها مبادىء الحساب والقراءة والقرآن.. ثم يقال انه درس فى مدرسة العجم فى اثناء سفره مع والده اثناء رحلات اللؤلؤ التجارية الى الهند.

عندما ضرب الكساد العالمى أطنابه على تجارة اللؤلؤ بين منطقة الخليج والهند، قام أخاه عباس التاجر الذى كان هو الآخر مولعاً بالادب بشراء مكتبتهم التجارية من الهند، وتم إفتتاحها فى حوالى عام ١٣٣٩هـ وأطلق عليها اسم المكتبة العباسية نسبة الى صاحبها الشيخ عباس.

لم تكن المكتبة بعيدة عن سوق الطواويش، بل كانت تقع فى ركن منه، والتجأ اليها طواويش اللؤلؤ، يتداولون أخبار الأدب والثقافة بعدما كسدت تجارة اللؤلؤ.

عندما اسست المدرسة الجعفرية ١٩٤٦ تم تشكيل مجلس ادارى كان الشيخ محمد على التاجر أحد أفراده بالأضافة الى عبدعلى بن رجب، سيد أحمد العلوى، سيد عدنان الموسوى، وكان مديرها عراقى هو عبدالله بن جمعه.

كان من مؤسسى دائرة الاوقاف الجعفريه ودائرة أموال القاصرين، ومن المساهمين فى بناء مدرسة الهداية الخليفية.

تتكون هذه النسخة المكتوبة بخط اليد من حوالى ١٦٠ صفحة من حجم الفولسكاب، تبتدأ الصفحة الاولى منها بسم الله الرحمن الرحيم وبعد البسملة والحوقلة يقول المؤلف:

فيقول العبد المتطفل على موائد العلماء الاعلام، وأئمة العلوم فى المنثور والمنظوم، وشارعى شفاء الأقلام فى ميادين التصنيف والترصيف، قليل البضاعة، كثير الاضاعة، المفتقر لعفو ربه الغافر محمد على بن أحمد بن عباس التاجر، إنه غير خفى على من تطلع الى تاريخ العصور القديمة، واستكناه أحوال تلك الامم الغابرة، وما يفترضه تحقيقه من

الصعاب لندرة وجود المصادر المعتبرة التى تكاد فى حكم المفقودة بان وجد منها شيء فقد خالطه الخلط والخبط وامتزج فيه الحابل بالنابل، والاول بالآخر، فعز تخليص الحقائق من بين الخرافات والاوهام، وأشكل على كثير من المحققين المدققين، فضلا عن المسترسلين استخلاص اللباب من القشور، والسبب فى ذلك عدم توفرهم على وسائل الكتابة فى العصور الأولى التى هي السبب الوحيد لتخليد أخبار الماضيين، وفوق ذلك فمراتب البلاد والامم تختلف بحسب البيئة والميزات الاخرى، إذ كلما اتسعت المملكة وعظم شأنها عمت شهرتها، ومثل هذه تحقيق تاريخها القديم يكون أيسر بالطبع على المؤرخ بخلاف البلاد الصغيرة، على الاخص اذا كانت جزيرة صغيرة كجزيرة البحرين التى نحن بصدد تاريخها، فتاريخها القديم قد اسدلت عليه الازمنة المتطاولة حجباً كثيفة حالكة، يكاد يعسر كشفها، إذ كان يطلق اسم البحرين فى القديم على الساحل العربى من الخليج الفارسى الذى يبدأ من حدود البصرة، وينتهى ببينونه فى حدود عمان، ولما كان غرضنا فى هذا التأليف خاصة جزائر البحرين بحدودها الحاضرة فقط تشخصت لنا فى طريقنا هذه العقبات الكأداء، التى ربطت تاريخها بما جاورها من بلاد الساحل الغربى فى الخليج الفارسى بدرجة معقدة لا يكاد يمكن تمييز الحقائق بعضها من بعض، وتخصيص حوادث التاريخ ووقائعه، ونسبتها الى مركزها الحقيقى، على أن هذه العقبات والصعوبات على خطورتها لم تكن لتثنى عزمنا بالعدول عما نحن بصدده حيث الواجب الوطنى يستفزنى ويستحثنى على السير فى هذا الحزن وتسلق هذا الوعر لتذليل صعبه واستكشاف غموضه. . . . الخ.

يتكون الكتاب، الذى قسمه المؤلف الى عدة ابواب، وفى كل باب جملة فصول، أما سبب تسمية الكتاب وتقسيمه، فيقول المؤلف: بما انه لكل موجود من اسم يكون علماً عليه مع موافقته للمسمى، كموافقة اللفظ للمعنى، كما قال الشاعر: سموه بدراً وذلك لما/ ان فاق فى حسنه ونما/ فقد اخترنا له اسماً يوافق مسماه، ولفظه يشف عن معناه، وهو عقود اللآلء فى جزيرة اوال وقسمناه لثلاثة أقسام: القسم الاول فى تعريف البلاد، ووضعها الجغرافى والاقتصادى وفيه عدة ابواب، فى كل باب جملة فصول، وكل فصل فى موضوع، والقسم الثانى فى تاريخها، ومن تداول عليها من الامم قديماً وحديثاً، وفيه عدة ابواب فى كل باب جملة فصول.

ويشير المؤلف فى مقدمة كتابه الى أخيه الشيخ عباس بن سلمان بن المرحوم الحاج احمد بن عباس التاجر حيث تغلغل هذه العزم فى اعماق فكره، فلبث مدة مديدة لا يمر بشاردة ولا واردة تتعلق بالموضوع الا قيدها، ولكن بمزيد الاسف عاجلته المنية وحالت بينه وبين بلوغ هذه الامنية وهو فى أول الطريق. . وقد ترك لنا بعض التراث مما قيد من تلك الشوارد فى هذا الموضوع. .

ويشير الشيخ محمد علي التاجر الى حقيقة مهمة، تشكل نقطة محورية فى كتابه تاريخ البحرين وهى قضية كتاب ناصر خيرى حيث يقول المؤلف: كما لايسعنا تجاهل حضرة الاديب الفاضل المحقق المدقق المرحوم ناصر بن مبارك الخيرى، فانه والحق يقال قد اجهد نفسه من سنين فى تأليف تاريخ البحرين وتوخى فيه التحقيق والتدقيق والتنبؤ فأجاد وأفاد ولكن:

يفيدونا من علمهم علم ما مضى
وعقلاً وتأييداً ورأيا مسددا
فأن قلت موات فلست بكاذب
وان قلت أحياء فلست مفندا.

ومن المعروف ان كتاب ناصر خيرى المكتوب عن تاريخ البحرين قد ضاع، وليس معروفاً اين وصل به الحال، وهذه هى الاشارة الاولى الموثقة عن الكتاب، ويبدو ان الشيخ محمد علي التاجر قد اطلع عليه، وقد استشهد فيه، وانتقى منه بعض الفقرات ضمنها كتابه هذا.

ويقول الاستاذ مبارك الخاطر فى كتابه ناصر الخيرى/الطبعة الاولى ١٩٨٢ عن صعوبة العثور على المعلومات الموثقة عن كتاب ناصر الخيرى التاريخى بقوله: اذا استثنينا مسودته فى التاريخ العام للبحرين، التى كتبها خلال العقد الاول من القرن العشرين، والتى لم نعثر عليها حتى الآن، رغم ما بذلناه من جهد ووقت فى سبيل ذلك (. . .) ولقد بقى ذلك المخطوط بعد وفاة ناصر بخط يده فى حوزة صديقه الحميم المرحوم علي بن خليفة الفاضل، غير ان هذا دفعه الى صديقه وزميله فى الكفاح الشاعر خالد محمد الفرج، الذى نقله فى جملة ما نقله بعد خروجه من البحرين اواخر عام ١٩٢٨ الى القطيف، ثم الى الكويت (. . .).

وتأتي شهادة الشيخ محمد علي التاجر المكتوبة هنا لتثبت وجود مثل هذا الكتاب التاريخى المفقود.

ولقد رجع الشيخ محمد علي التاجر فى كتابه هذا الى مصادر عدة، ومراجع كثيرة تبتدأ بالكتب التاريخية القديمة مثل ابن الاثير، وابن خلدون، ومعجم ياقوت الحموى ودائرة المعارف للبستانى وفتوح البلدان للبلاذرى وملوك العرب للريحانى، و العرب قبل الاسلام لجرجى زيدان، وكتاب التحفة النبهانية، بالاضافة الى بعض المصادر الفارسية.

ومن الملاحظ ان مسودة هذا التاريخ لم يكمله الشيخ محمد علي التاجر، حيث ان كثيراً من التواريخ، او المعلومات، قد تركها المؤلف فارغة حتى يستكملها كما يبدو فيما بعد، كعادة المؤرخين. . ولكنه للأسف لم يكملها ابداً. . . رغم إن الله أعطاه طول العمر ما بين كتابة تاريخه هذا وانتقاله الى رحمة الله.

ابراهيم بشمي

الوقائع التي حدثت على البحرين وذلك لما نشب أهل البحرين لهم من الحزب البلادي انتقاما من الحزب الجدحفصي

من الاسباب التي مهدت لآل خليفة استيلائهم على البحرين أولهم أحمد بن محمد آل خليفة دكان مسكنه الزبارة

الوقائع ١ وقعة سترة ديها قتل وزير سترة ١١٩٦ هجرية

٢ وقعة القليعة استرجع فيها الخليفيون البحرين من النجديين

٣ الحوير مقابل (جكليكيرة) ١٢٢٦

قطع سترة ٣٠ في شهر ربيع الثاني

وقعة المقطع ١٢٣٠ بغزوة السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط للبحرين

حيث دخل جيشه بر البحرين من الطريق الجنوبي واحتلوا سترة واستولوا على قلعتها بقيادة حمد ولما لم يجدوا مقاومة علم بأن جيش الشيخ سلمان والشيخ عبدالله بقيادة الشيخ خليفة بن سلمان في جبيلة الذا عزم على اقتحام جبيلة فلما حصل ميناء مقطع سترة ترجل السيد سعيد البحر للعبور منه فلما أن دخل في المقطع طلعت عليه الخيل والرجال من بين النخيل قادمة من جبيلة وأطلقت المدافع من السفينة الصولية فاشتبكت الحرب واستقرت عن نصر الخليفة وتسمى الوقعة بوقعة المقطع أو الدولة الإمامي في سترة

وقعة فزفز في حدها جمعة السيد سعيد بن سلطان من رخمة (بالله عبد غلب) ١٢٤٤

فتكون الشيخ خليفة بن سلمان أمير المحاكم بالنزاع ولد الناصر وتوابعها والشيخ محمد بن عبدالله بن أحمد الخليفة المحرق وتوابعها

وقعة الناصر الحادثة بين الشيخ عبدالله حاكم البحرين وبين الشيخ محمد بن خليفة حفيد الشيخ سلمان وكان الفوز لمحمد بن خليفة وانكسار الشيخ عبدالله ١٢٥٨ هجر

وقعة سوق الخميس بين الشيخ محمد بن خليفة والشيخ عبدالله بن خليفة بمؤامرة من ابنه الشيخ [illegible] بن خليفة فالتقيا في سوق الخميس والفوز حليف الشيخ عبدالله وأرخت الواقعة (سر بحرس)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ارسل رسله هدى ورحمة للعالمين، وانزل عليهم وحيه المبين، وقص فيه اخبار الماضين، وآثار الامم السابقين، وذكرى لقوم عابدين، وحكمة بالغة ومثلا للآخرين، والصلاة والسلام على قبس الانوار، ومشكوة الفضائل، وسر الاسرار، وخاتم رسل الملك الجبار على جميع الامصار والاعصار، سيدنا الممجد، نبى الرحمة، وهادى الامة، مولانا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين المرضيين، وبعد فيقول العبد المتطفل على موائد العلماء الاعلام، وائمة العلوم فى المنشور والمنظوم، وشارعى شفار الاقلام فى ميادين التصنيف والترصيف، قليل البضاعة، كثير الاضاعة، المفتقر لعفو ربه الغافر، محمد على بن احمد بن عباس التاجر، انه غير خفي على من تطلع الى تاريخ العصور القديمة، واستكناه احوال تلك الامم الغابرة، وما يعترضه فى تحقيقه من الصعاب، لنزارة وجود المصادر المعتبرة، التى تكاد تكون فى حكم المفقود، وان وجد منها شيء فقد خالطه الخلط والخبط، وامتزج فيه الحابل بالنابل، والاول بالآخر، فعسر تخليص الحقائق من بين الخرافات والاوهام، واشكل على كثير من المحققين المدققين، فضلا عن المسترسلين، استخلاص اللباب من القشور، والسبب في ذلك عدم توفرهم على وسائل الكتابة فى العصور الاولى، التى هى السبب الوحيد لتخليد اخبار الماضيين، وفوق ذلك فمراتب البلاد والامم تختلف بحسب البيئة والمميزات الاخرى، اذ كلما اتسعت المملكة، وعظم شأنها، عمت شهرتها، كأن تكون عاصمة مملكة، او قاعدة لاعمال حربيه، او سياسة كبرى، ومثل هذه تحقيق تاريخها القديم يكون ايسر بالطبع على المؤرخ، بخلاف البلاد الصغيرة، على الاخص اذا كانت جزيرة صغيرة كجزيرة البحرين، التى نحن بصدد تاريخها، فأن تاريخها القديم قد اسدلت عليه الأزمنة المتطاولة حجبا كثيفة حالكه، يكاد يعسر كشفها، اذ كان يطلق اسم البحرين فى القديم على الساحل الغربى من الخليج الفارسي، الذى يبدأ من حدود البصرة وينتهى ببينونة فى حدود عمان، ولما كان غرضنا من هذا التأليف، خاصاً بتاريخ جزائر البحرين بحدودها الحاضرة فقط تشخصت لنا فى طريقنا هذه العقبات الكأداء، التى ربطت تاريخها بما جاورها من بلاد الساحل العربى فى الخليج الفارسى، بدرجة معقدة لا يكاد يمكن تميز الحقائق بعضها من بعض، وتخصيص حوادث التاريخ ووقائعه ونسبتها الى مركزها الحقيقى، على ان هذه العقبات والصعوبات على خطورتها، لم تكن لتثنى عزمنا بالعدول عما نحن بصدده، حيث الواجب الوطنى يستفزنى ويستحثنى على السير فى هذا الحزن وتسلق هذا الوعر، لتذليل صعبه، واستكشاف غموضه، مع ما انا عليه من قصر الباع ونزارة المتاع، وهنا لا يسعنى الا التنويه بذكر من له علي الفضل لبذر هذا الزرع، ونمو هذا الفرع، اعنى به حضرة المقدس المبرور اخى وشقيقى الفاضل الشيخ سلمان بن المرحوم الحاج احمد بن عباس التاجر، فانه رحمه الله قد تغلغل هذا العزم فى اعماق فكره، فلبث مدة مديدة لا يمر بشاردة ولا واردة تتعلق بالموضوع الا قيدها، ولكن بمزيد الاسف عاجلته المنية وحالة بينه وبين بلوغ هذه الامنية، وهو فى اول الطريق، فلقى ربه في عنفوان شبابه، ولقد خسر الوطن بفقده خساره لا يقدرها الا من يعرف حقيقته وهم قليلون، اذ كان عديم النظير، وقد ترك لنا بعض التراث مما قيده من تلك الشوارد فى هذا الموضوع، كما لا يسعنا تجاهل حضرة الاديب الفاضل المحقق المدقق المرحوم ناصر بن مبارك الخيري فانه والحق يقال قد اجهد نفسه من سنين فى تأليف تاريخ البحرين وتوخي فيه التحقيق والتدقيق والتنبوء فاجاد وافاد ولكن. . .

نقول والاسف ملأ جوانحنا اننا لم نقف الا على بعض من مسوداته الاولى فاستنتجنا منها القول المأثور:

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلا على اللبيب اختياره:

مع ان تبييضه موجود ولكن كما قال الشاعر

فيادارها بالخيف مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال : او كما قال الآخر

ودون ما يممت هند وجارتها هند السيوف وحرب دونها الحرب: ونحن مدينون له بجانب مما استفدناه من تلك المسودات القيمة. كما نثنى بالشكر ونعترف بالفضل لصاحب السبق وواضع حجر الاساس فضيلة الشيخ محمد بن خليفة النبهان المكى حيث فاز بالسبق فى مضمار تأليف تاريخ البحرين وان لم يسلم فى تأليفه من مواضع الانتقاد كحشوه بالتملقات الغير لازمه فى مثل هذا الفن الذى يجب تنزيهه وبعض الأغلاط التاريخية وتشويه بعض الحقائق سواء كانت عمدا او سهوا، وعلى كل حال فلا يجب ان نبخسه حقه بل نكبر همته وغيرته على ما ابداه وتكبده من المشاق مع أنه غريبا فى هذه البلاد لا يمت اليها بنسب ولا سبب الا كونه عربيا مسلما وكفى فهو اول من طرق هذا الباب على مانعلم وعبد لنا طرقه وسهل وعره ومهد اسبابه وسنرجع اليه فيما لا بد منه فجزاه الله عن الوطن واهله خير الجزاء ونتقدم اليه بشكر مساعيه اصالة ونيابة عن ابناء الوطن لكوننا مدينين له بما سلف وقدآن لنا الشروع فى المقصود ومن المولى ـ فى فضل

التاريخ وفوائده

نطلب العون فى الصدور والورود [١]

الفصل الأول من الباب الأول من القسم الأول

اعلم ان فن التاريخ فن شريف اذ هو يبحث عن الانسان من حيث التمدن والعمران اللذان يبلغان به درجة الكمال الامكانية ويرفعانه من حضيض حيوانيته البهيمية: قال العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه. اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم فى اخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا: وفى كتاب الله تعالى من أخبار الامم السالفة وانباء القرون الخالفة ما فيه عبر لذوى البصائر واستعداد ليوم تبلى السرائر. قال الله عز وجل وهو اصدق القائلين «وكلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» وقال تعالى ايضا «ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر» الى غير ذلك من الآيات والاحاديث: ومما قاله بعض الفضلاء فى هذا الصدد قوله . ورأيت ان المطلع على اخبار المتقدمين كأنه قد عاصرهم اجمعين وانه عندما تفكر فى احوالهم وتذكرهم كأنه كان معاصرهم ومحاضرهم فهو قائم له مقام الحياة وان كان متعجل الوفاة: وقال أخر فى المعنى شعراً: كتاب طالعه مؤنس

احب الى من الانسه وادرسه فيرينى القرون حضورا واعظمهم دارسه

وقال آخر

لنا جلساء لا يمل حديثهم الباء مأمون غيبا ومشهدا

١ـ فى تسمية الكتاب وتقسيمة، وبما انه لكل موجود من اسم يكون علما عليه مع موافقته للمسمى كموافقة اللفظ للمعنى كما قال الشاعر : سميه بدرا وذاك لما/ ان فاق فى حسنه ونيا/ فقد اخترنا له اسما يوافق مساه ولفظه يشف عن معناه وهو عقود الآلىء فى جزيرة أوال وقسمناه لثلاثة اقسام : القسم الاول فى تعريف البلاد ووضعها الجغرافى والاقتصادى وفيه عدة ابواب فى كل باب جلة فصول وكل فصل فى موضوع، والقسم الثانى فى تاريخها ومن تداول عليها من الامم قديما وحديثا وفيه عدة ابواب فى كل باب جلة فصول..

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى وعقلا وتأييدا ورأيا مسددا
فان قلت موات فلست بكاذب وان قلت احياء فلست مفندا

وقال ابن الاثير: فأما فوائدها «التاريخ» الدنيوية فمنها ان الانسان لايخفى ان يحب البقاء ويؤثرأن يكون فى زمرة الاحياء فياليت شعرى اى فرق بين ماراءه امس أو سمعه وبين ما قرأه ضمن الكتب المتضمنة اخبار الماضين وحوادث المتقدمين، فاذا طالعها فكأنه عاصرهم، واذا علمها فكأنه حاضرهم، ومنها ان الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا عل ما فيها من سيرة اهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيروبها خلف عن سلف ونظروا ما اعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثه وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها واذا رأوا سيرة الولاه العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكم عمرت واموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه، هذا سوى ما يحصل من معرفة الاراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستضافوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولولم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا، ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث امر الا وقد تقدم هو ونظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى به اهلا . . . الخ والخلاصة ان النظر فيه ينتج جليل العبر والاقتداء بجميل السير والانتهاء عن الفحشاء والمنكر والبغى والضرر فيما يتعلق بتحسين الاحوال فى الحال والاستقبال وقد قالوا ان التاريخ مدرسة التجارب يتعظ فيها الحاضر بالغائب[٢].

الفصل الثانى
ما اطلقه العرب قديما على البحرين
وما تعرف به حديثا

قال صاحب البحرين فالبحرين فى الاقليم الثانى وطولها ٧٤ درجة و ٢٠ دقيقة من المغرب وعرضها ٢٤ درجة و ٤٥ دقيقة: وقال قوم هى من الأقليم الثالث وعرضها ٣٤ درجة. وهو اسم أطلقه العرب على بلاد واسعة ممتدة على ريف الخليج الفارسي غربا من البصرة الى حدود عُمان وكانت قصبتها مدينة هجر[٣]. ثم خص بالبلاد الواقعة على الخليج المذكورة بين الدرجة ٢٥ و ٢٩ من العرض الشمالى فعلى هذا يكون طرفاها قطر والكويت تقريبا ومن ثم دعوا البحرين اضافة للبلاد المذكورة ثم بسبب الحروب والانقسامات ما تنوسى الاصطلاحين الا ان العرب الذين نزحوا الى الارخبيل البحرانى احتفظوا به واطلقوه عليه[٤]: واما ما تعرف به حديثا. فهو ارخبيل مؤلف من جزيرة كبيرة تعرف بالبحرين وقديما باوال نسبة لرجل وقيل صنم لبكر وتغلب إبنى وائل وكانوا يسكنونها مع عبدالقيس وعدة جزائر صغيرة وهو فى الخليج الفارسي فى جون واقع فى الساحل الشرقى من بلاد العرب بين ٢٥ درجة و٣٠ دقيقة و ٢٦ درجة و ٣٠ دقيقة من العرض الشمالى و ٥٠ درجة و ٢٠ دقيقة (. . .)ومن الطول الشرقى وأكبر هذه الجزائر «اوال» وهى مستوية فى اطرافها وبها فى الوسط بعض مرتفعات «رسى فى وسطها جبل الدخان العجيب» ويحيط بها أرصفة رملية عديدة ينكشف عنها الماء تماما ايام انخفاضه[٥].

٢ـ ملخصا عن ابن الاثير وابن خلدون والدرس التام.

٣ ـ معجم ياقوت.

٤ ـ بن نبهان.

٥ ـ البستانى.

الفصل الثالث
حدودها ووصفها الاجمالي

هى جزيرة مستطيلة فى خليج فارس طولها ٣٠ ميلا وعرضها دون ١١ ميلا واربع جزر صغيرة وهم المحرق وهى شرقى اوال وغربيها أم نعسان وجنوبيا شرقا سترة وجوارها الجزيرة وهذه الجزر قريبة من الخط الواحد والخمسين من العرض الشرقى ويشطرهم الخط ٢٦ من الطول الشمالى: هى جزيرة صغيرة ومع ذلك كبيرة فى مساحتها التى لا تتجاوز ٤٥٠ ميلا مربعا، كبيرة فى غرائيب تاريخها الطبيعي والسياسي، وهى على صغرها عامرة بمأتى الف نفس من العرب والاعاجم من الشرق والغرب ولكنها لا تزال عربية الاصل والحكم عربية اللغة والروح لان اكثر سكانها من العرب الاصليين*
وفيهم من المذاهب الاسلامية الشيعة الجعفرية والمالكية ومنهم عائلة آل خليفة الحاكمة والشافعية وهم الذين تعربوا فيها من أهل فارس والحنابلة الوهابية وهم الذين استوطنوها من اهل نجد والاحناف وهم خليط من الاحساء والهنود والاكراد واسماعيلية الهند ووثنية ويهود العراق وفارس ونصارى العرب والغرب وهذا الخليط اجنبى التبعية ٦»

ليس بين مسقط والبصرة اجمل من مركز هذه الجزيرة وليس اصلح من التجارة او الحرب فهى تتوسط الخليج فى زاوية حصينة منه كأنها بارجة راسية فى جون متسع بين قطر والقطيف او كانها باخرة دنت من الساحل الذهبى المحيط بها ترفع على السلم والتجارة بل كأنها وهى عند مهد اللؤلؤ جوهرة فى جيب الخليج. فلا عجب اذا تسابق اليها الفاتحون فى قديم الزمان وتنازعها من الامم ذوات الصولة والعرفان وهى لا تزال محط رحال التجار يجيئونها من الهند وفارس والعراق واوروبا ومحط رحال الطامعين بالسيادة المطلقة على خليج العجم: ان البحرين لمثل مدينة كبيرة فى ازدحام سكانها ولولا موارد الثروة من اللؤلؤ فيها ولو لم يكن مجال التجارة فيها متسعا لا نتزح عنها نصف سكانها اذ قلما تجد فى العالم خارج المدن بقعة من ارض معدل سكانها فى كل ميل مربع اربعمائة وخمسون نفسا. . .
وان الميل المربع فى البحرين على كثرة مياهها وخصب تربتها قليل جدا على اربعمائة وخمسين من عباد الله لولا اللؤلؤ كما قلت ولولا أسواق نجد والحساء. . . وقد قيل انها كانت عامرة بالسكان فى قديم الزمان. اى ان كان فيها من المدن ثلاثون مدينة ومعها ثلاثمائة من القرى. ولكنها وقد كانت دائما مطمح الفاتحين والمستعمرين ابتليت بما يتقدمهم ويرافقهم ويتبعهم من الفتن والحروب والخراب والدمار وهجر الديار فرارا فتداعى قسم من عمرانها واضمحل ولم يبق فيها اليوم سوى ثماني مدن وبعض القرى التابعة لها اما سكانها الذين لا يغوصون ولا يركبون لرزقهم البحار فهم يزرعون الارض والذين لا يزرعون يتاجرون«٧».

الفصل الرابع
طقسها وزراعتها ومياهها وفواكهها وحيوانها وطيورها

طقسها: معتدل فى الشتاء، حار ورطب فى الصيف، اصلح اهويتها الغربى والشمالى ثم البحرى «الشرقى» اما الجنوبى «الكوس» فهو أردأ اهويتها لما يولد فيها من التبخير الذى يحجب جوها ويفسّد هواءها ويكثر الرطوبات فى المواضع السبخه منها

★ وبعض شيعة ايران.
٦ ـ وللبحرين مركز تجارى عظيم وموقعها الجغرافى حربى مهم وهى تعتبر ميناء الخليج ويلقبوها الجغرافيون بدرة الخليج (البستانى).
٧ ـ ملخص عن ملوك العرب بعض التصرف.

كالمنامة وما شاكلها فينتج عن ذلك الإمراض والحميات.

ماؤها: تكاد ان تكون لكثرة مياهها مستودعا للمياه، وقد خصتها الطبيعة بغرائبها بمالم تهيئه لغيرها من البلاد بينابيع الماء العذب الزلال فى وسط البحر تحت المياه المالحة، مياه عذبه تجرى بقوة يغوص عليها الغواصون فيملأون منها القرب لتزويد السفن ولشرب سكان سواحلها وذلك بان يجعلوا القربة والاناء فوق الفوارة الى ان تمتلىء ومنها ما هى قريبة من السواحل تتدفق مياهها وتسيل على وجه الارض وعدتها نحو ٢٥ نبعا مشهورا يبعد بعضها عن البر نحو ٢٥ ميلا ويعلوها البحر من قامة الى سبع قامات، مياه عذبه تفور من الارض بقوة على الدوام يغوصون عليها لاخراج الماء وهو الطف المياه لصيانته عن الاوساخ التى تقذفها الرياح فى الماء غالبا والحشرات والمكروبات، وذلك لعدم مكثه وسرعة تدفقه، وتلك التى تقرب من الساحل تظهر ساعة الجزر للعيان فيستقى مجاورى الساحل منها: والتى فى البر نحو «٢٠٠» عينا وذلك غير الصغار وكلها تسيح على وجه الارض تسقى البساتين ثم تفيض فى البحر وبسبب كثرة هذه الينابيع والعيون صار لؤلؤ البحرين فى غاية الحسن كما سيأتى الان. عيون ماء البحرين تزيد على جغرافية ارضها بكثير مع ان كثيرا من عيونها العظيمة سدت وردمت بالاحجار العظام والباقى منها يزيد على جغرافية ارضها، ويقال ان الذى امر بسد عيون البحرين هو عبدالملك بن مروان الاموى وذلك لان اهل البحرين بطروا لغذائهم وكثرة اموالهم فتمردوا على خلفاء بنى امية فردم اغلب عيونهم الكائنة فى الجهة الغربية مثل عين السجور تلك العين العظيمة وخلافها ليقل زرعها فيفتقر اهلها ويخضعوا للامراء وقصبة ردم هذه العيون مشهورة عند اهل البلده وبعض المؤرخين وسياتى الذكر زيادة بيان. وتعد الينابيع التى فى وسط البحرين من عجائب الدنيا التى امتازت بها هذه البلاد، وفى الحقيقة ان البحرين هى اكثر البقاع مياها مع انها جزيرة واحسنها لؤلؤاً مع انها صغيرة «٨».

زراعتها: متأخرة جدا مع خصب تربتها وغزارة مياهها، وذلك لانصراف جل اهلها الى مغاص اللؤلؤ والاتجار به، ولجهل الزراع بفن الزراعة وعدم وقوفهم على ما طرأ عليها من الاصلاح ووصلت اليه فى الرقى بواسطة التجارب والادوات الحديثة والاسمدة الكيماوية. واشتغالهم بالكسل والافآن تربتها خصبة جدا قابلة لاستنبات جل المزروعات والحبوبات والفواكه على اختلاف انواعها القابلة لمثل طقسها، وربما فضلت غيرها لتوفر تربتها على المواد العضوية العائدة على المزارع بقلة المصاريف اللازمة لشراء الأسمدة الكيماوية كما تفضل غيرها فى نمو محصول اكثر المزروعات وقد بدأ الانتعاش الزراعى يدب اخيرا ليقظة الحكومة والاهالى بعد الضربات التى صدمتهم فى ضعف محصول اللؤلؤ وبوار تجارته ذلك البوار الفاضح الذى جر البلاد الى شفير الافلاس واستأصل رؤوس اموال التجارة فى الاساس واربك الحكومة فى ميزانتيها بعد ان كانت تدر الاحتياطي الكثير الذى يفيض بعد تبذيرها الحاتمي، واهتمت الحكومة لذلك وأتت بخبيرا زراعيا للخروج من هذه المآزق ونشط الفلاح الوطنى لما عضه الفقر وبسط يده الملاك الى استثمارها بعد ان فشل فى تجارته ولكنها نهضة لا تزال فى اول تكوينها تبشر بمستقبل زراعى راقى اذا لم يقف فى سبيلها ما يعرقل سيرها.

ثمارها: هى كثيرة النخل والاشجار والثمار واجود رطبها الخلاص ثم الغرا والحلاوة وكان بها نحو «٨٠٠» نوع أو تزيد من انواع الرطب، واحسن تمرها المرزبان وسمى بهذا الاسم نسبة لمرزبان هجر الذى جلبه من مدينة الرسول ﴿ﷺ﴾ ثم الخنيزى وكان يضرب

٨ ـ ملخصا عن النبهانى وملوك العرب ببعض التصرف.

بها المثل فى كثرة الرطب والتمر فيقال «كناقل التمر الى اوال» ومن جملة ثمارها الرمان والعنب والتين الابيض الممتاز على غيره فى حلاوته وترافته وطيبه وكثرته، والموز والاترج وهو كثير جداً وممتاز على غيره فى البلاد الاخرى فى طيبة وحسن رائحته وحلاوة شحمه والخوخ والمشمش والكمثرى والنبق وتمر الهند «الصبار» والليمون والتوت والانبا والمخيط «البمبر» وهو بقدر الليمون والقثاء «الطروح» واللوز ويقال بالفارسية «جلغوزه» وهى ثمرة تشبه اللوز فى الوضع وقدر الكمثرى فى الحجم ولها لونان ابيض واحمر واجوده الابيض ويسمى سكندرى وفى بطنها نواة مغشاة بعروق أشبه شيء بالأنبا، واذا كسرت تلك النواة وجد فيها لب أشبه بالفستق لونا وطعما، والمأكول منها لحمها الخارجى فقط وهو قليل الحلاوة مائل الى الحموضة نوعا ما وفيه نوع عفوصية تدل على ان طبعه بارد يابس واذا اكل تقاطر من الشدقين ماء خمرى اللون وهو لطيف مهضم للطعام يميل اليه المرضى ومنحرف المزاج، ويوجد بكثرة، وفيها البطيخ الابيض ويتناهى فى الكبر وربما يبلغ وزن بعضه خمسون رطلا والبطيخ الاخضر وبها جميع المخضرات كالباذنجان واليقطين والقرع والبامية والطماطه والبطاطة والفندال والكزبره والنعناع والاسبنت وجميع فصائل المخضر. وقد زرع فيها اخيرا تجارب للقطن وكان لزراعته فيما مضى شأن مهم على الخصوص على عهد استيلاء البرتغال عليها ثم اهمل، ولعل سبب اهماله ناتج عن تعطيل اكثر انواع النسيج الذى كان رائجا قبل مهاجمة الصناعة الاوروبية للشرق«٩» وزرع فيها قصب السكر فجاد فيها وكذلك الدخان والبن ويوجد بها شجر الخروع: وبها من الازهار الفل «رازقى» والياسمين والاس والورد والريحان وجلب اليها انواعا من الازهار من الهند جميلة المنظر فغرست فى حديقتها العمومية وبعض الحدائق الخصوصية.

حيواناتها: توجد بها جياد الخيل العربي والجمال العمانية والعادية والحمر الاهلية التى تضاهى الخيل فى حسن منظرها ومخبرها على الخصوص أناثها ذات الالبان الغزيرة والادهان والزبدة الفاخرة. والبقر والضأن ذات الاكفال «لية» الثقيلة والمعزى والشياه الحلابه الاصيلة«١٠» وبها من الطيور الدواجن وغيرها الدجاج الجيد والبط والحبارى. والوز والحمام والشاهين والصقر واليمام والفاخته والبلبل والخطاف والسمانى وكثيرا من انواع الطير ويكثر بها العصافير.

الفصل الخامس
فى صناعة البحرين

ان البحرين ليست ببلاد صناعية ولكنها لا تخلو من بعض الصنايع الاولية وربما امتازت ببعضها على غيرها، ولا بأس بذكرها على بساطتها واهمها النجارة اذ يوجد بها معامل متعددة كبيرة تستغل ببناء السفن الشراعية التى بزوا فيها غيرهم وتفردوا بصناعتها فى الخليج الفارسى، وإن وجد فى بلاد الخليج معامل من نوعها فأساتذتها وصناعها هم من اهل هذه البلاد اذ كانوا قد نالوا الشهرة فى اتقان هذه الصناعة من قديم الزمان يتوارثها منهم الخلف عن السلف وكأنهم ورثوها عن اسلافهم من الفينيقين فى الزمان الغابر الذين كانوا ابطال الملاحة«١١». وهذه دور صناعتهم المتعددة وما تصنعه سنويا من العدد الكثير بين صغير وكبير اكبر شاهد محسوس ملموس على تقدمهم ومهارتهم فى صنعها وتفننهم فى اشكالها واوضاعها وما اضيف الى حسن هندستها من المتانة والاحكام، ثم النجارة العامة بجميع ما يحتاجه له اهل البلاد من ابواب وشبابيك ومناضد ومقاعد ودواليب وغير ذلك من اللوازم، ثم الحدادة واكثر ما تصنعه هو ما يلتزم لبناء السفن لها

٩ - فكان يوجد بعض شجيرات منه متفرقة تطلع من ذاتها، وتثمر وتقع ثمرتها بدون يد تتعهدها او تجنى ثمرها وقطنها من النوع الجيد الناعم كأنه حرير.

١٠ - وبها كلاب الصيد السلق والكلاب العادية والقطط وبعض الحشرات كالحيات والعقارب والجرذ والضب والجربوع والارنب الى غير ذلك.

١١ - كما حدثتنا به كتب التاريخ من ان سكان جزر الخليج الفارسى هم اول من رفعوا شراعا فى البحار واقتحموا اخطار الاسفار فمارسوا الملاحة واتقنوا علمها وكانوا الصلة العاملة بين الشرق والغرب (عن ملوك العرب).

غير ذلك من اللوازم، ثم صياغة الذهب والفضة بجميع انواعها من بسيط ودقيق والنحاسة ولهم مهارة فائقة فى صنع اباريق القهوة تلك الاباريق الجميلة الدقيقة الصنعة ثم صناعة الفخار والجبس والمنسوجات القطنية، وكانت فى قديم الزمان رائجة زاهره وربما صدرت منسوجاتها الى الهند، اما فى هذا الزمان فقد قضى على هذه الصناعة الشريفة وكادت ان تكون فى خبر كان بما غزتها به اوروبا والهند بمنسوجاتها ولم يبق منها الا اقل القليل الذى قاوم ذلك الصراع الطويل، فمن ذلك نسيج قلوع السفن «الشراع» فانه قد امتاز بمتانته ولطفه على ما يصنع من نوعه فى مصانع الهند واوروبا ففضلوه على ما سواه ويصنع منه شيئا كثير تستهلك البلاد كفايتها منه واكثره يصدر الى بلدان الخليج وربما جاوزها غيرها، ومن ذلك نوع من الاردية المتينة الصنعة ذات الالوان الجميلة الثابتة وكان من ادوات الزواج اللازمة لفرشه على سرير العروسين فكان يصنع منه كميات كبيرة تصرف فى نفس البلاد ويصدر منه قسما كبيرا الى البلدان المجاورة، وقد حاولت الهند واوروبا منافسة هاذين الصنفين من النسيج فما نجحت بعد ان اخذت النماذج لتقلد عليها فاخفقت ولم يتمكنوا من مضاهاته ولا ما يقرب منه، ومن ذلك المنسوجات الصوفية الخاصة بالعبي فهى تغزل وتنسج وتخاط وتلبس فى البلاد، ويصنعون من خوص النخل الحصر الجميلة المتينة والقفف والمراوح ومن الاسل المديد الجميلة المتينة ويصدر منها الى الخارج الشيء الكثير وهى نوع من الحصر.

الفصل السادس
فى تجارة البحرين

البحرين مركز تجارى مهم وهى ميناء الاحساء والقطيف وقطر ونجد بل وسواحل فارس، ومن وقف فى مينائها يوميا فسيجد من ذلك برهانا قويا وهو ما يدخل اليها من السفن الشراعية من مختلف البلاد القريبة والنائية فتنزل فيها حملها وتحمل اصنافا اخرى وتضيق عنهم الميناء على سعتها فضلا عن السفن التجارية التى يجيء منها فى الشهر خمس او ست وبعض الاوقات تزيد، وهى موقرة بالرز والسكر والشاه والبن والحنطة والمنسوجات حريرية وصوفية وقطنية والادوات والكماليات وجميع لوازم حياة الترف والتمدن من منتوجات اوروبا وآسيا وامريكا وقال اديب الفريكة: اذا ما السائح وطيء ارض الجزيرة «البحرين» وجال فى اسواقها تأخذه دهشة اذ يرى فيها للتجارة حركة لا ينبيء حتى ظاهرها بكل ما هناك وانه ليشاهد فى المخازن من الملبوس والماكول والمشروب ومن اسباب الزينة والترف ما يندر وجوده الا فى المدن الكبيرة مثل بمبى والقاهرة، اما اذا دخل احد بيوت التجارة فيستوقف نظره لاول وهلة الدفاتر الضخمة والكتاب ههنا وادارة ونظام ومعاصرها عليها الزائرون وفى هذه البيوتات «خزانات الصلب» من حديد واكياس من النقود ذهبا وفضة وقلما يشاهد فيها حركة غير حركة الكتاب وحركة الزائرين اما السبب فى ذلك فهو بعد أن تعلمه بسيط. ان البحرين محطة للتجارة بين الشرق والشطر الشرقى من شبه الجزيرة ويصح ان يقال من هذا القبيل انها سوق من اسواق نجد لان قسما كبيرا مما يدخل اليها من الهند وإيران والعراق ومن اوروبة وامريكة عن طريق الهند يباع فى الاحساء وفى نجد وفى بريده وعنيزة وحائل بل يصل منه حتى الى اليمن وعسير والحجاز لان القوافل من تلك الاقطار العربية تجيء عن طريق نجران وقلعة بيشة والخرمة الى الرياض، والاحساء تجيء بين اليمن وحبوبه وتعود حاملة من البضائع ما يدخل الى نجد عن طريق البحرين. وهناك تجار اللؤلؤ واكبرهم فى البحرين فهم يبيعون ما لديهم منه فى

الجزيرة من تجار اوروبيين ومن التجار الهنود الذين يجيئونها فى الموسم لهذه الغاية او انهم يسافرون به الى بمبى فيبيعونه هناك ومنهم من يسافر به الى باريس ولندن ويبيعونه هناك ومنهم من يخرج فى سفينة او لنج الى مغاصات اللؤلؤ بحرا فيشترى من نواخذة الغوص بعض جواهر اللؤلؤ ويدفع ثمنها نقدا اوزادا وبعض النواخذة يفضل الزاد على النقود فى بعض الاحايين لانه يكفيهم مؤنة الرجوع الى البر للتموين.

الفصل السابع
فى معادن البحرين

اهم معادنها اللؤلؤ وهو مصدر الثروة الاكبر فى البحرين واشهر ما اشتهرت به الجزيرة، وقد قدر ما يخرج منها سنويا بثلاثين مليون روبية«١٢». وقد اجمع الاخصائيون ان مغاص البحرين هو اكبر مغاص فى العالم مثلما اجمع الصاغه على أن لؤلؤ البحرين يفوق صفاء وحسنا سائر اللآلىء، وسياتى تفصيل ذلك فى الباب التالى ان شاء الله تعالى.

ومعادنه واسعة: وفيها معادن النفط الذى اعطى إمتياز استخراجه لشركة انجليزية سنة : : :

وتوقف اخراجه لمعارضة ايران فى عصبة الامم ودعوى سيادتها على البحرين، وقيل ان الحكومة كانت تتقاضى من الشركة فى السنة عشرة آلاف روبية، وفى هذه الايام قد وصل المهندسون ويرتقب قريبا وصول الادوات والآلات اللازمة لمباشرة اخراجه وبها عين الزفت اي القار، ويقال إنه يوجد بها معدن الحديد وقيل الكبريت ايضا وربما يوجد بها معادن اخرى كما يوجد بها معادن ملح الطعام الفريدة الفاخرة.

الباب الثانى
فى لؤلؤها وفى مغاصاته وفيه فصول

الفصل الاول
فى حدوده والسفن التى تروده واطماع الغربيين فيه

ان مغاص اللؤلؤ المشهورة فى الخليج يشغل نصف ضفته الغربية او اكثر، فيبدأ من عند جزيرة أبى موسى قبالة الشارجة وينعطف على محاذاة الساحل مارا بجزيرة حالول ثم امام شبه جزيرة قطر وينتهى اخيرا عند نقطة قرب مسلمية حيث تبتدى املاك حكومة الكويت: وقد جرى العرف على حسبان العرب دون غيرهم محتكرى صيد اللؤلؤ بحكم التقليد ووضع اليد مدة قرون خلت وسعى كثير من الافاقين الانجليز والهنود وغيرهم محاولة الاشتراك فى حق صيده فنهتهم الحكومة الانجليزية عن ذلك: قال بعضهم وواقع الامران هذه المسالة تحل نفسها بنفسها اما انا فلو خيرت ما اخترت صيد اللؤلؤ بين عصبة من معتزلة القرصان الا اذا كان هناك اسطول من الطرادات يحميني. وفى موسم الصيد تخفر المغاوص سفينة حربية انجليزية لحفظ النظام بين سفن الغواصين «ان وجود هذه السفينة لا يكون دائما وانما فى بعض الظروف يخرج قرصان فى البحر لسلب تجار اللؤلؤ البحرينيين اموالهم فاذا حصل مثل ذلك لزم وجود سفينة حربية للضرب على ايدى هؤلاء القرصان فقط»: لكن المانيا لم تر هذا الرأي فانه لما نقلت شركة «ونكهوس» الالمانية مركزها الى البحرين سنة : : : وجعلت تكوم اصداف عرق اللؤلؤ التى ابتاعتها من الصيادين اكواما امام مكتبها، كان ظاهر هذا العمل بريئا لاغبار عليه بيدان العقول الالمانية فى الأستانه لم يكن لها شاغل يشغلها غير مغاوص اللؤلؤ. وبينما كان بعض الالمان

١٢ ــ وفى سنتى الحرب العظمى بلغ ما يصدر من البحرين سنويا الى باريس ولندن ونيويورك والهند والصين ما يقرب من ثلاثة ملايين جنيه انجليزى.

يقلبون سجلات الاستانة عثروا فيها على حكاية سفر مدحت باشا الى خليج العجم فى اوائل العقد السابع من القرن الماضى نحو سنة ١٨٦٣ وحكاية ضمه البحرين الى املاك السلطان فبنوا على هذه الحبة قبة من الدعاوى العثمانية واهية الاركان. ولم يمر على محل ونكهوس سنة فى البحرين حتى طلب من السلطان رسميا ان يمنح شركة المانية احتكار صيد اللؤلؤ فى الخليج. وقال الالمان فى طلبهم انهم ينوون معالجة المغاوص بطرق علمية وان السلطان يعطى نصيبه من الارباح فهمّ باجابة طلبهم ولكن كلمة شديدة من انجلترا افسدت المشروع كله.

وعاد عمال المانيا يسعون سعيا جديدا وكان مدار سعيهم هذه المرة اقناع السلطان بتاجير جزيرة حالول فى صدر الخليج وعلى ستين ميلا من البيضاى شرقا وهى تحسب ملكا مشاعا لجميع مشايخ العرب الذين يرسلون السفن لصيد اللؤلؤ فلاوجه لحسبانها عثمانية، ولكن الدولة التى تستولى عليها تصبح مغاوص اللؤلؤ فى قبضة يدها فحالت انجلترا دون تلك المساومة:

كانت تعد السفن التي ترود هذه المغاوص بنحو «...» سفينة بين صغيرة وكبيرة يخص البحرين منها نحو «٢٠٠٠» سفينة والقطيف نحو «...» سفينة والجبيل نحو «...» سفينة وقطر نحو «...» وعمان نحو «...» سفينة والكويت نحو «...» سفينة ولنجه نحو «...» سفينة وقيس نحو «...» سفينة وقد قدر ثمن جميع اللؤلؤ الذى يخرج من خليج فارس سنويا بنحو «٧٠» مليونا من الروبيات وهو على هذا التقسيم يخص البحرين ما قيمته «٣٠» مليونا من الروبيات وتخرج من ناحية قطر ما قيمته «١١» مليونا من الروبيات ويخرج من القطيف ما قيمته «٤» ملايين روبية ويخرج من الجبيل ما قيمته «٦٠٠» الف روبية ومن الكويت نحو «٨» ملايين روبية ومن جميع عمان نحو «١٥» مليونا من الروبيات ومن لنجه نحو «١» مليون روبية، ومن جزيرة قيس نحو «٤٠٠» الف روبية وهذا التقدير بالحالة الوسطى وقد يزيد وينقص، وقد احس بعض العارفين بوقوع النقص فى محصول اللؤلؤ وعلل ذلك بارسال الصدف بعد استخراج اللؤلؤ منه الى اوروبا لانه قد يلاصق الصدفه الواحدة مأية من صغارها فاذا القيت الصدفة بعد فلقها فى البحر عاشت الصغار ونمت وانفصلت وبالعكس ينتج قلة المحصول لانهم اذا نقلوا الكبار واماتوا الصغار فمن اين يحصل النتاج.

الفصل الثانى
فى الخطر الذى يهدد اللؤلؤ واسبابه

ان صيد اللؤلؤ والاتجار به اشرف على الانهيار وقد تقلص ظله ولم يبق منه الا شبحاًبأن مما ناله من الصدمات بعد ان ادلى اهله على شفير هوة الافلاس التى لا بد ان يصلوا الى قرارها ان لم يحدث ما يغير الحال الحاضر الى التحسين اويعدلوا عنه ويولوا وجوههم قبل الزراعة، اما تضاؤله فلا يحتاج الى جدال فاليك عدد سفنه التى تمارس صيده اخيرا بعد ان كان فى البحرين يبلغ عددها «٢٠٠٠» كما تقدم، اذاً فلم يبق منها الا اليسير«١٣» واما كمية المحصول فلم يبق منه الا النزر القليل الذى لا يقوم فى اكثر المواسم الاخيرة بنفقاته واما أسعاره فقد هبطت هبوطا هائلا وربما نقصت ٧٥فى المائة ـ و ربما جاوز ذلك فى بعض أصنافه وهذا الهبوط هو الذى سلب التجار ثروتهم فاصبح تجار الغوص

١٣ ـ ادغم بعضها فى بعض اذ كانت سفنهم سابقا اكثرها صغيرا اما الآن فهي كلها كبيرة.

منهم غير قادرين على تموين السفن وصيادة اللؤلؤ لا يمكنهم الخروج لصيده الا بعد استهلاكهم نفقات طائلة لما يلزمهم من ذخيرة الماكول واسباب العمل وقروض العمال ليودعوها عائلاتهم للنفقة، وتجاره قد نكبوا بالخسائر الفادحة اثر تقلبات الاسواق وتفليسات البيوتات المالية التى اضرت بالتجارة ضررا بليغا، افلس اكثر التجار لسببه، ومن الاسباب المهمة التى اضرت بمحصول اللؤلؤ وتجارته منها ما يرجع الى الضيق المالى الذى خلفته الحرب العظمى بما استنزفته من الاموال الطائلة وتراكمت منه الديون الباهظة على عاتق الدول المتحاربة الغالبة فضلا عن المغلوبة وهذه الدول القت عبأها على كاهل رعاياها ومستعمراتها بما فرضته من الضرائب التى استحدثتها وما ضاعفته اضعافا على الضرائب القديمة فبقيت الشعوب تنؤ تحت هذه العبء الملقى عليها ونتج عن هذا مختلف الثورات والمقاطعات التجارية والصناعية والثورات الدموية كالحرب الاهلية فى الصين مدة سنوات لم تهدأ، وكان اثر هذه على صنف من اللؤلؤ وهو صنف دونى وكان يتصرف فى الصين وبسبب الحرب المذكورة توقف الطلب عنه فساءت اسعاره فبعد ان كان معدل سعره الجو «٣٠» روبية الى ان وصل الى «٦» روبيات وبعد ان كانت تستهلك منه سنويا ما قيمته نحو «. . .» روبية اصبح اخيرا لا يتجاوز نحو «. . .» روبية ولكن الغل والجرح الذى لا يندمل والقضاء المبرم والفناء المحتم هو ما اخترعته اليابان من اللؤلؤ المقلد الذى بقى يطارد لؤلؤ الخليج واهله نحو عشر سنوات حتى تم له الاستيلاء على اقاليم كبيرة من مستعمرات اللؤلؤ العربى كالهند فانه على ما قيل ينصرف من اليابانى فيها سنويا نحو «١٠» ملايين روبية اليست هذه لقمة سائغة انتزعتها اليابان من فم قحطان وعدنان، وعلى الاختصاران اللؤلؤ من ادوات الزينة، والكماليات والعالم يجتاز اليوم سبيلا شائكا للعسر المالى العام قد اعوز الكثيرين ابتياع الشراب والطعام فاين هم وكماليات الزينة انها يقتنيها المترفون المبذرون لكن هذا الاعراض المالية ليست الا عارضيه لا تلبث ان تزول ولو بعد سنوات ولكن الوباء اليابانى مستعصى العلاج على ما يظهر وكل عام أعراضه فى ازدياد وعدواه فى امتداد ولا يعلم الا الله الى م ينتهى اليه الحال وهل قدر يا ترى لهذا الشريف الرفيع الى أن يقضى عليه ذلك الدعى الوضيع[١٤]. مصيبة والله سوداء وكارثة عظمى حلت على اهل الخليج.

الفصل الثالث
فى ازمنة الغوص واقسامه وقواعد عملته وغير ذلك

قد ثبت ان جل شغل اهل البحرين ومعاشهم لاخراج اللؤلؤ[١٥] وهم يمارسون ذلك فى اربع فترات اهمها الفترة الثالثة وهى التى عليها العمدة. اما الفترة الاولى فتسمى «المجنى» وتبدأ فى اول فصل الربيع والذين يذهبون اليها هم صغار والقوم ومعوزيهم ففى زمن برودة الماء يذهبون الى ساحل البحر فى عمق ذراع فاكثر ويلتقطون منه ما يجدونه من الصدف فى كل يوم واذا خفت البرودة يبحرون ويغيبون عن اهلهم بسفنهم نحو يومين او ثلاثة: اما الفترة الثانية وتسمى «الخانجية» وهى تبدأ من اواخر برج الحمل وفيها يستعدون بسفنهم ويذهبون بها على صفة الغوص ويغيبون فيها الاسبوع والاسبوعين الى ان يمضى النصف من برج الثور وحينئذ يتهيئون للغوص ويقال له ركبة الغوص وتبدأ مسيرهم اليه فى أوائل برج الجوزاء فاذا دخل برج الميزان ينتهى الغوص العام ويأتون جميعا الى

١٤ ـ ... اقترش ترائب ربات الحجال وعاتق نحور ذات الغنج والدلال فاستوى على تيجان القياصرة والاقيال ان يصرعه ذلك الدنى الدعى المحتال.
١٥ ـ وكانهم هم المعنيون بقوله جل من قائله: «البحر لتركبوا فيه ولتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه».

البروييعون ما عندهم من اللؤلؤ ويتحاسبون على القاعدة الاتية:

العشر من المحصول يعطى للسفينة بعد أن يخصم منه المصاريف التى لحقت السفينة من حبال ومقاديف ودهان وما يدخل فى هذا المعنى، ويأخذ النوخذا العشر الاخر بعد ان يخصم منه ما يستحق عليه من المأكول والمشروب والباقى يقسم للغيص ٦٠ فى المائة وللسيب ٤٠ فى المائة وللرضيف ٢٠ فى المائة بعد ان يخصم من حصة كل شخص ما لحقه من مصرف الماكول والمشروب والباقى يسمى قطعان وحينئذٍ ينظر فى دفتر ديون هؤلاء فان زاد القطعان على الدين خصم منه الدين واعطى له الباقى ويسمى الفضيلة وان لم يف القطعان الدين فينزل منه ويرصد عليه الباقى بتاريخه ويسمى البواقى: والغواويص يكونون على ثلاثة اقسام فالقسم الاول وهو الاكبر ما يسمى العميل وذلك ان النوخذا يستدين الدراهم التى تلزم فى وقتين الاول فى نهاية فصل الخريف ويسمى التسقام لتوزيعه على العمال يكون دينا عليهم لينفقوهم على عائلاتهم زمن العطلة والدين الثانى وزمنه ايام ركبة الغوص ويسمى السلف لتوزيعه على العمال ليتزودوا منه لما يلزمهم من حوائج ضرورية ولنفقة عائلاتهم مدة غيابهم ولتزويد السفينة وتموينها بما يلزم من الزاد والعتاد ومجموع هذا الدين يستدينه النوخذا من احد التجار بدون ربا على ان يبيعه محصوله من اللؤلؤ جميعا بقيمة مناسبة بنسبة ٨٠/ ١٠٠ وليس له حق فى بيع شىء من المحصول على غيره وهذا التقدير راجع لذمة التاجر وضميره اذ لا رقيب عليه فى تقدير الثمن، وفى الغالب يكون النوخذا هو المغبون اذ ربما يبتاع التاجر منه ما يسوى عشرة بثلاثة او اقل ويخصم دينه من ثمن المحصول، وقسم يستدين النوخذا ما يلزمه من احد التجار بربا ولكن ليس للتاجر حق شرعى فى شراء المحصول والنوخذا حرفى بيعه ممن يريد والقسم الثالث الخماميس الذين لا يستدينون بل يخرجون على نفقتهم ويبيعون بحريتهم ومنهم من يكون فى السفينة جملة وبعضهم مستقل عن الاخر بمحصوله وبيعه ومشتركين فى الزاد والسفينة ونظام هؤلاء ان السفينة تستحق فى المحصول نصف الخمس والنوخذا النصف الاخر وما يلحقه من الزاد. واعلم ان ديون الغوص المالية على السفينة وعلى دفتر العمال بحيث لو مات النوخذا او نكب وانكسر عن الغوص فليس للتاجر حق فى متروكاته وممتلكاته ما عدى السفينة بما فيها وما ينسب اليها ودفتر ديون العمال فان زاد مبلغ ذلك على دين التاجر فلورثة النوخذا الزيادة وان نقص فليس له حق فى غير ما سلف اما اذا كان النوخذا حى وموجودات الغوص لم تف بدين التاجر فللتاجر حق فى استخدام النوخذا كغيص او كسيب مع اعطائه ما يعطى غيره فى التسقام والسلف من الدين والاستفادة من فاضل قطعانه اذا صادف زيادة المحصول واذا مات العامل سقط الطلب الذى عليه ولا يلحق تركته شىء وذلك الدين إذ وفاءه موقوف على حياته العملية فقط.

وبعد الغوص العام السالف الذكر تبدأ الفترة الرابعة ويسمونها الردة وهى تستغرق ٢٠ يوما الى ٢٥ يوما على اكثر تقدير وهم مختارون فى الرواح اليها او تركها اذ محصولها هم احرار فى بيعه وفى ثمنه وليس للتاجر حق فى خصمه من الدين الذى له عليهم ولا النوخذا بل يستلم كل واحد حصته من المحصول على قاعدة القسمة السابقة مصارف التموين فقط.

الفصل الرابع
فى صفة الغوص على اللؤلؤ

كانت السفن التى تمارس غوص اللؤلؤ سابقا على اشكال متنوعة فمنها «السنبوك» و «الشوعى» و«البوم» و «البقارة» و «البتيل» و «البغلة» و «الجالبوت» ويعبرون عن مجموعها «بالخشب»: اما الان فقد الغوا جملة من الاشكال وانحصر فى استعمال «السنبوك» و «الجالبوت» و «الشوعى» يخرجون عند ابتداء الغوص بالركبة وعند انتهائة بالقفال ومجموع اللؤلؤ قماشا والجواهر دانات، فاذا جاء زمن الصيف كما تقدم يخرجون فى سفينهم الى البحر كل سفينة بمقدار ما تسع من الرجال ويسمون كبير السفينة «نوخذا» والذى يغوص «غيص» والذى يجذب الغيص بالحبال «سيب» والمساعد لهم «رضيف» والمتمرن «تباب» ويخرج الجميع تحت امر النوخذا الى البحر فى مواضع مختلفة ولها اسماء بينهم معروفة وبعدها عن نحو «٣٠» ميلا، وعمق البحر الذى يغوصونه يتراوح بين ثلاث قامات الى ١٤ قامة وربما جاوز ذلك فى بعض المواضع «واما هيئة الغوص» فهو ان الغيص ينزل فى البحر متعلقا بحبال فى السفينة فيقف على وجه الماء ويجعل على انفه «الفطام» وهو مصنوع من قرن الوعل أو من «الذبل» اى ظهر السلحفاة على هيئة تضغط الأنف ليمنع التنفس مادام غائصا فاذا خرج جذبه من انفه بسرعة وتنفس وعند نزوله الى قعر البحر يجعل فى احدى رجلية ثقلا قطعة من رصاص او حجر وزنه من ١٢ رطلا الى ١٤ حسب مطلوب الغيص لتسرع به الى النزول فى قعر البحر فاذا وصل نزعها من رجله فيسحبها «السيب» الذى فى السفينة لا ن بها حبلا متصلا بالسفينة يسمونه «زيبل» وتعلق بطرف السفينة فى «المقداف» ويصحب الغيص معه زنبيلا معمولا من الحبال كهيئة الشبكة واسع الخروق يسمونه «ديين» وبه عروة يجعلها الغيص فى عنقه تسمى «علقة» ومربوط بها حبل يسمى «جلا» متصل ذلك الحبل بالسفينة فيصير مجموع الحبلين فى يد السيب ويجعل الغيص فى الغالب فى اصابع يده جلدا يسمى «خبط» فيقتلع الغيص فى قاع البحر الصدف فيجعله فى «الديين» ويمشى على يديه فى قعر البحر ورجلاه مرفوعتان الى العلو بطبيعة الماء وحبل الديين بين ابهام رجلية فاذا امتلأ الديين من الصدف او ضاق نفس الغيص جذب الحبل برجله بقوة فيسحبه السيب والغيص ماسك فى حبل الديين واذا جذب الغيص الحبل برجلة وهو فى البحر يقولون «نبر» فاذا وصل وجه الماء نزع الفطام عن انفه وتنفس بمقدار ما يأخذ السيب الديين ويفرغه فى وسط السفينة ثم يعطيه اياه فيمسكه الغيص باحدى رجليه ويجعل فى الاخرى حلقة الحجر ويجعل الفطام على انفه ويضع كفيه على وجهه ويفك نفسه من السفينة وتسير به الحجر الى قاع البحر ويستقيم الغيص تحت الماء من ١ دقيقة الى ١٠ دقائق ويسمون المره الواحدة فى الصعود والنزول تبه وعشر مرات تسمى «قحمة» واذا وصل الغيص قعر البحر فتح عينيه ليلتقط الصدف ويعرف ربعه ويتكلمون مع بعضهم بالمغمغة. ولا يزالون يغوصون الى ان يكتفوا او تغرب الشمس فاذا اكتفوا قبل الغروب شرعوا يفلقون الصدف ويسمونه «محارا» ويخرجون ما يجدونه فى الصدف من اللؤلؤ الى الغروب فاذا أصبحوا فلقوا الباقى وبعد الفراغ يشرعون فى الغوص، وهكذا الى ان يخلص زادهم أو مائهم فيأتون البر - ويتزودون منه بمقدار ما يكفيهم نحو شهر وهكذا الى ان ينتهى زمن الصيف. فان اصابهم فى هذه المدة ريح عاصف ارتحلوا من محل الغوص وقربوا الى البر بين الشعاب فى مواضع يسمونها

١٦ - ملخصه عن ابن نبهان.

الفشت الى ان يسكن الريح ثم يعودون لمحل الغوص. ويسمونه «هيرا» ويجعلون ما تحصلوا عليه من اللؤلؤ عند النوخذا اكل يوم بيومه وهو يتولى بيعه. «١٧»

الفصل الخامس
ومن جوائح البحر على اهل الغوص
غير السمك «الدول»

وهو حيوان هلامي لا يهتدى فى سيره لجهة وانما تقذفه الامواج وهو بقدر الكف واصغر مدور له خيوط طوال نحو ذراع فاطول كأنه حرير متشبك فاذا لامس هذا الحيوان جسم الانسان أحرقه حرقا مبرحا وربما اعاب الموضع الذى لامسه فلو رفع هذا الحيوان بنحو عصاة عن الماء واصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماء ولم يبق له اثر، وهو من عجائب المخلوقات فاذا وجد فى البحر لبس اهل الغوص ثيابا ضيقة ملامسة للجسد اتقاءلنشره. ويوجد ايضا نوع آخر يسمونه «اللويتى» وهو مثل الدول هلامي لكنه احمر اللون وضرره اخف من ذلك واذا لامس الجسم أحرقه بدون تبريح ويورم اللحم كأثر ضرب السياط ويبقى اثره والمه نحو ساعتين فاذا سخن الجسم الملدوغ على النار زال الالم منه. ولقد سلط الله على الدول واللويتى حيوانين ياكلانهما ويقيان الناس من شرهما. يقال لاحد «فغلول» وهو حيوان مثلهما فى الخلق، ولكن ليس له خيوط وانما له مثل الاصابع مجتمعة فى وسطه وهى مثل اصابع الانسان قدرا وطولا وفى وسطها فمه وهو مدور الخلقة قطره نحو شبر فاكبر والاخر يسمى «قلمانا» وهو حيوان ضعيف طويل مثل قلم طوله نحو شبر. «١٨»

الفصل السادس
فى تعريف الصدف وتكوينه

اما الصدف فمعروف لا يحتاج الى وصف وهو ينبت فى ارض البحر الصلبة وله عروق خضر مائلة الى الزراق ثابتة بها، ثم يتخلق فى بطنه حيوان له امعاء ياكل ما والاه من الطين ثم يتخلق فى خلال لحمه اللؤلؤ فان كان متوسطا فى اللحم كان حسنا كرويا وان لامس او قارب الصدفة صار رديئا غير كروى فيصير فى اول الامر نبتا وفى الثانية حيوانا ثم يتكون فيه اللؤلؤ مرة واحده فى السنة فان تركت الصدفة ولم تقلع ماتت مثل الثمرة اذا نضجت ولم تجني خربت. . والصدفة الكبيرة تلقى بذورها على وجه الارض فى قاع قعر البحر مثل صغار حب الخشخاش كانه بيض ولم يعلم متى قذفته وانما يظهر وجوده اذا امتاز البحر بالصفار فترى قعر البحر كانه خضخاض اصفر. ولم يزل كذلك الى ان تكبر اجزاؤه فيصير بمقدار حبة العدسة الصغيرة فترسب فى الارض رسوبا بينا ويجتمع حفنا حفنا فتنبت له عروق خضر مائلة الى الزراق فيها بريق تنبت فى الارض الصلبة والذى ما ثبت لم يزل يتدحرج بحركة البحر ويتفرق عن بعضه الى ان يثبت الكل فى الاحجار او فى الارض الصلبة او فى ما والاه من أشجار البحر وبعد الثبات تنمو الصدفة وتنفتح فتاكل ما والاهامن الطين. واذا حست بحركة اطبقت صدفتيها وهى اشبه بالجراد لكثرة القاء بيضها ومثل العدسة اذا نبتت ومتى ثبتت عروقها انفلقت جزئين وعروقها فى غلظ الشعر وطول الانملة. وما قيل من ان الصدفة تطفو على وجه الماء فى مطر نيسان لتلتقى قطرات المطر فيتكون منه اللؤلؤ ويكون جميلا لعذوبة المطر فلا صحة لذلك الا ان يقال ان الماء العذب يحسن اللؤلؤ فهذا محتمل لان لؤلؤ البحرين لم يفق

١٧/١٨/١٩ - ملخصا عن تاريخ البحرين للشيخ خليفة بن نبهان مع بعض ملاحظات.

حسنا على سواه الا بكثرة الينابيع التى فى وسط البحر كما قدمنا ومن أجل ذا صار حسنا ولو كان سبب الحسن هو المطر فقط لكان لؤلؤ سيلان احسن الجواهر واكبرها لكثرة الامطار فيها بل ان لؤلؤ سيلان وان كان ابيض حسنا فهو سريع التغيير بخلاف لؤلؤ العرب فأنه ممتاز على سواه بالحسن وعدم التاثر سريعا«١٩»: وقال بعض العلماء ان اللؤلؤة بنت مرض يصيب المحار «الصدف» او بالحرى نتيجة خلل يعترى نظام الافراز فيها. والذى يظنه علماء الحيوان هو ان حبة رمل او بيضه او حشرة تدخل مع الغذاء فتهيج منها اغشية المحار فينتج عن ذلك افراز غير طبيعى يتكون منه كتلة كلسية لماعه هى اللؤلؤة واذا جاءت الكتلة هذه متوسطة فى اللحم كانت نفيسه او قاربت الصدف كانت رديئة «٢٠»: «المؤلف»: قولهم بنت مرض او نتيجة خلل او دخول ذراق تتهيج لها اغشية المحار فيه نظر، لاننا بسبب ممارستنا التجارية ومداولته وتوارثنا ذلك ابا عن جد حصل لدينا من الشواهد والادلة على نقض هذا الرأي الآنف الذكر ولا يسع المقام استيعابه ولكننا نكتفى بايراد ما قل ودل فمن ذلك ان اللؤلؤ كما يتكون فى اللحم فانه يتكون فى طباق الصدف ايضا فتارة تلتصق اللؤلؤة بالصدفة من جهة وتارة من الجهتين اي بين طبقات الصدفة وكما تختلف اوضاع واشكال والوان اللؤلؤ المتكون فى اللحم فكذلك الآخر مثيله فما تعليل تكوين هذا اذا كان تكوين الاول كما زعموا ناتج عن تهيج الاغشية ايقال فى تعليله ايضا ان الصدفة قد اصابها نفس الذى يصيب لحمها فاهاجها فافرزت الصدفة ذلك الافراز الغير طبيعى فان كانت اجابتهم نعم فنقول ان جسم الصدفة غير حساس فهو اشبه شيء بالظفر والشعر فى كل ذى روح ودليله ان الصدفة يصيبها عيوب متعددة تخرق جسمها وتتلف اكثرة بل كله ما عدى القشر الرقيق الباطنى وتبقى حية ما لم يصل العدو الى حيوانها اللحمى فان اقل ضرر يلحقه يقضي عليه وذلك اللؤلؤ المتكون فى الصدف والذى لا يختلف عن المتكون فى اللحم الا بما لحقه من الصدف الملتصق به وحين يصلحه الاساتذة بازالة ما لحقه من الصدف لا يكاد يميزه احد عن سواه، ثم لوفرضنا جدلاً ان هذا ايضا من المرض والخلل العارض فما وجه التعليل فى الامراض والاعراض التى تنتاب اللؤلؤ نفسها اذا كانت هى غير كائن حي وهانحن نجد اللؤلؤة قد قدر عليها ان تنالها الامراض والا ما من مثيل ما قدر على الانسان ولها اطباء اخصائيون جراحون ماهرون لتطبيبها لم تخرجهم كليات اوروبا وجامعاتها، ومن امراض اللؤلؤ المشابهة لامراض الانسان اتم الشبه ما يشبه فقر الدم وهو ضعف اللمعان والسل وهو فساد باطنها وتكدر ظاهرها والبهق والبرص والتجذير والحصبة والرضوض والعض والفألول والكلف والنمش والجيدان والجروح والقروح والربو والأستسقاء والصفراء والسوداء والشلل والنواسير والزوائد الى غير ذلك مما يتعدى ثم ما بال اللؤلؤ يوجد فيه جميع الالوان الطبيعية والمركبة وهل لتلك الالوان علاقة بالافراز الغير الطبيعى او المرض المخل بالنظام الحيوى وعلى الاختصار فان اللؤلؤ هو ثمرة المحار ويتأثر بتاثر المحار كما تتأثر الثمرة بتأثر الشجرة والله اعلم وما اوتيت من العلم الا قليلا.

الفصل السابع

فى أصناف اللؤلؤ وأسمائها وأشكاله وأسمائها وألوانه وأفضلها

ان اللؤلؤ يتفاوت كبراً وصغراً وشكلاً ووضعاً ولوناً وطيباً وضعفاً واذا ابتاعه التجار من

٢٠ ـ ملوك العرب.

الغواصين وزعوه أقساماً وأصنافاً تعرف بأسماء خصوصية وأغلى صنف منه يسمى «شيرين» فان الاسم ومعناه «حلـو ـ أي مليح» وغلب عليه أخيراً اسم «يكه» وهذا هندي والفاخر من هذا الصنف يسمى «جيون» وهو هندي أيضاً وهـو المدعبل الكـروي الشكل السليم من جميع العيوب وهذا يروج في الأكثر في باريس ولندن ونيـويـورك وكبـاره تسمى دانـات والصنف الثـاني يسمى «نمر ثـاني» وهـو مـاقـارب الصنف الأول ونـزل عنـه بقليل من العيوب«٢١» ثم الصنف الثـالث ويسمى «كولوه» بالكاف الفارسية واسمه هندي ومعنـاه «كروي» الا انه دون سابقه وأكثر عيوباً منه ويتصرف في الهند ثم الصنف الـرابع ويسمى «بدله» وهو فارسي الاسم ومعنـاه دوني وهو كثير الألـوان والأشكـال وينقسم الى قسمين القسم الأول الأبيض منه وفيه ثلاثـة أصناف الصنف الأول وهو اعـلاه ويسمى «ركَات» بالكاف الفارسية ويتصرف في الهند وفي أكثر البلاد والثاني ويسمى «قاحشاهى» وهو فارسى الاسم محرف عن كم شاهي ومعناه قليل الثمن وهذا الاملس البراق منه يتصرف فى الصين وباقيه فى الهند والثالث يسمى «نور» وهو يميل الى الصفرة قليلا ويتصرف فى الهند ايضا، والقسم الثانى وفيه صنفان الاول ويسمى «بدلة حمراء» والثانى ويسمى «بدلة عثمانى» وهو خليط من الالوان والاشكال وكلاهما يتصرفان فى مختلف بلاد الهند ثم الصنف الخامس وهو اضعف من سـابقـه وينقسم الى قسمين الاول الابيض وفيه صنفـان ويسمى احـدهـا «مكلكي» وهو مستطيل الشكل والثـانى يسمى «كبايتى» وهو مختلف الاشكـال وكـلاهما يتصرفان فى الهند والقسم الثـانى يسمى «مغز» وهو مختلف الالوان والاشكـال ويتصرف فى الهند ايضا ثم الصنف السادس وهو ضعيف جدا كثير الالوان والاشكال ولا اهمية لشرحه وهو يتصرف فى الهند والصين وبعضه يـدخل فى الادويـة والاكحـال والمعـاجين ثم القسم الناعم من اللـؤلـؤ اي صغـاره وهـو مشتمل على جميع الاقسـام والاصنـاف المتقـدمـة وفى الغالب يباع بغير توزيع وفى الهند يـوزع كل صنف على حـده ويتصرف اكثـره الـدونى فى الهند وفاخره فى اوروبا وصغاره مثل ذرات الـرمل ومن اسمائه المفـردة الخاصـة بـاشكـالـه الاصلية الكاملة وهى ثلاثة الاول المدعبل كروى الشكل ويسمى «جون ـ اوكول» وكلاهما عجميان والاول بجيم فارسية والثانى بكاف فارسية والثـانى ويسمى «سجني» وهو هندى الاسم واسمه العربى تنبول وهو مستطيل الشكل مخروطه ويتخذ منه الاشنـاف والاقـراط للاذان والثالث ويسمى «بطن» وهو هندى الاسـم ومعناه ازرار وهو لنص المقبب ومن هـذا الشكل صنف يسمى نيمرو وهو فارسى الاسم ومعناه نصف وجه وهو مما يكـون ملتصقـا بالصدف«٢٢» وهذه الاشكال الثلاثة كاصول لبقية اشكاله التى تتفرع عنها مع ما يلحقهـا من الانحرافات الهندسية المعيبة باشكالها وهى لا تعد لكثرتها .

واما الوانه فاصولها ثلاثة وهى الابيض والاحمر والازرق ويتفرع منها جملة الـوان تكـاد تستوعب عدة الوان ما ابرزته الطبيعة فى العالم وافخرها ما ياتى الاول فالاول. الـوردى ثم النبـاتى . ثم الابيض . ثم السماوي الفـاتح واردا الـوانـه الا دهس والاخضر والصفـرى والترابي وما يقاربهم .

الفصل الثامن
فى معارف البحرين

كانت البحـرين فى القـرون الـوسطى ذات معـارف عـاليـة وسـوق العلم فيهـا رائجـة وفطاحل العلماء وجدوا فيها بكثرة متناهية فلا تكاد تخلو بلده او قرية من وجود عدة منهم

٢١ ـــ وهـذا بعضـه يتصرف فى اوروبا وباقيه فى بلاد الهند.
٢٢ ـ وهـذا الصنـف الفاخـر منه يتصرف فى اوروبا والدونى يتصرف فى الهند والصغار منه فى كلكته الهند.

فيها ولكل واحد منهم مدرسة ملاصقة للمسجد الذى يصلى فيه يلقى فيها الدروس والابحاث على تلاميذه وقد تخرج من هذه المدارس الجم الغفير من العلماء الفضلاء الذين سارت بذكرهم الركبان«٢٣» وكان يقصدها الطلاب من اقاصى البلدان وكانت تدعى بدار العلم كما دعيت به شيراز بعد ذلك ولكن استحوذ الشقاء بعد ذلك على بلاد البحرين وتلت قرون الامن والامان قرون الغزو والسلب والظلم والارهاق فطاردت العلم والعلماء

وأخلت منهم الديار وشتتهم فى الامصار الى مثل فارس والهند والعراق وبقيت مواضع العلم ومدارس التدريس تندب قاطنيها لوحشتها بعدهم فعلاها غبار الخمول وكور شمسها بالافول الى ان استحالت الى اطلال دوارس كما قال الشاعر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

ولم يبق بعدها فى البلاد من اهل العلوم والمعارف الا بعض الافراد والزعانف وبقيت البلاد تتخبط فى الامية والجهل الى الزمن الاخير ما عدا وجود كثرة الكتاتيب التى لا تغنى ولا تسمن من جوع كثيرة العدد قليلة العدد كما قال الشاعر

انى لافتح عينى حين افتحها على كثير ولكن لا ارى أحدا

عديمة الفائدة اذ غاية ما يتحصل عليه التلميذ فيها هو حفظه لقراءة القرآن قراءة سقيمة من جميع الجهات، ومع ذلك فلا يفهم من معنى ما يقرأه شيئا وخطأه اكثر من صوابه ولا يحسن قراءة اي كتاب الا اذا اتقن الكتابة ولا يكاد يوجد فيهم من يتقنها بالمعنى الصحيح وجلهم قاصرى الاملاء واما الانشاء فلا يعرفوا منه الا اسمه وعلى الاختصار ان المتعلم فى هذه الكتاتيب هو اشبه بالامي وربما فضله الامي فى البلاد المتمدنه بمعارفه وسعة افكاره واخيرا فى سنة : : : هب الاهالي من سباتهم العميق واكتتبوا فى جمع اعانة لتأسيس مدرسة ابتدائية على الطراز الحديث فتم لهم ذلك وشيدت اول مدرسة سميت ب «الهداية الخليفية» الكائنة بالمحرق وجلب اليها الاساتذة من سوريا والعراق فقامت بالتعليم خير قيام وقد باشرت التعليم اولا فى المنامة بمحل استأجرته سنة : : : فلما تم بناء مدرسة المحرق سنة : : : تحول التعليم فيها وفى سنه : : : فتحت المدرسة الثانية فى المنامة وجلب اليها الاساتذة الاكفاء وغصت صفوفها بالتلامذة فظلتا هاتان المدرستان تتقدمان بخطى سريعة فى سنوات قلائل وفى سنة : : : تم ارسال بعثة علمية من تلامذة المدرسة الى جامعة بيروت لاكمال التعليم الثانوي ثم فى سنة ١٣٤٥ شيدت المدرسة العلوية فى سوق الخميس وفى سنة ١٣٤٦ بوشر التعليم فيها ثم فتحت مدرستان واحدة فى الرفاع والاخرى فى الحد وبوشر التعليم فيها وبعد ان كانت هذه المدارس اهلية ضعف عنها الاهالى فتولت ادارتها والانفاق عليها الحكومة وفتحت مدرسة الجعفرية سنة ١٣٤٦ وبوشر التعليم فى محل مؤقت ولما تم تشييد المدرسة الجعفرية الكائنة جنوبى المنامة سنة ١٣٤٧ وجلب اليها الاساتذة الاكفاء من العراق وكان اول مدير فيها محمد سعيد بن جمعه وقد بلغت نفقات التعليم سنويا : : : ربية وفتحت مدرستان للاناث الاولى فى المحرق سنة : : : والثانية فى المنامة سنة : : : وجلب اليها المعلمات من سوريا فسارت هذه المدارس بجد واجتهاد وبدأت آثار المجهودات تظهر بمستقبل علمى زاهر يسير دائما الى الامام لولا ما اصابها من العثرات اخيرا وذلك لما قام به ذلك الرجل المتعسف المتعجرف الفظ المتغطرس السوري المدعو ابراهيم فائق ادهم الذى أسند اليه نظارت المعارف وما سببه الى المدارس من التقهقر والانحلال الذى كاد يقضى على تلك الاتعاب بالضياع سنة ١٣٤٨ .

٢٣ ـ وتحدث بفضلهم القاصي والداني.

الباب الثالث

فى تقسيمات بلاد البحرين وذكر بلدانها وقراها ومحلاتها وما يتخلل ذلك وفيه فصول

الفصل الاول

فى كبرى جزائر البحرين «جزيرة اوال»

تتكون امارة البحرين اليوم من عدة جزر اكبرهن «جزيرة اوال» وسميت اولا باسم صنم لوائل أب القبيلتين العظيمتين بكر وتغلب لانها كانتا تسكنانها مع عبدالقيس ولذلك استغاث بهما الشيخ جعفر الخطى فى قصيدته السيبطية لا نتسابه لها بقوله

فمن مبلغ الحيين بكراً وتغلباً   فما لفوت الا عند تغلب او بكر

وهى جزيرة يحيط بها البحر من جميع الجهات طولها من الشمال الى الجنوب ثلاثون ميلا تنتهى الى الجنوب برأس مستطيل دقيق اى حاد لا يتجاوز عرضها احد عشر ميلا ثم يتناقص ومعدل عرضها نحو تسعة اميال او اقل من ذلك وفيها البساتين النضيرة والنخيل الباسقة والعيون الدافقة الغزيرة والفواكه المتنوعة من انواع الرطب الجنى والخوخ الشهى والمشمش والتين والرمان والاترج والعنب والانب والليمون واللوز «الجلغوزة» والموز الى غير ذلك من الفواكه والاثمار. وميناؤها عامر دئما بالوارد والصادر من اصناف المنتوجات والمتاجر مملؤ بالسفن الماخرة من وارده وصادره بالبضائع موقرة. قال تميم بن ابى مقبل فى المعنى

عمد الحداة بها لعارض قرية   فكأنها سفن بسيف اوال

فمن مدنها المنامة وهى اكبر مدن البحرين[٢٤] وهى على الطرف الشمالى الشرقى من الجزيرة وعدد سكانها اربعون الفا من العرب والايرانيين والهنود والاوروبيين وفيهم المسلم والمسيحي واليهودى والهندوس وهي الميناء العام للبحرين ومركز احد فرعى حكومتها المزدوجة اى الفرع الانجليزي و محور التجارة والمرفأ ومخازن كبيرة للجمرك امر ببنائها الشيخ عيسى بن على سنه: : :[٢٥] ثم اضيف اليها مخازن اخرى ومرافىء سنة: : : وفيها ايضا قلعة الديوان واقعة جنوبها وهى من ابنية حكومة نادر شاه سنة: : : وبها ادارة البلدية المؤسسة سنة: : : و ادارة البوليس وادارة تذاكر السفر «باسبورت» والحديقة العمومية والمستشفى الاهلى المؤسس سنة: : : والمستشفى الامريكانى للرجال المؤسس سنة ١٩٠٢ والمستشفى النسائى المؤسس سنة: : : ومدرسة الهداية ومدرسة الجعفرية ومدرسة الامريكان ومدرستا الايرانيين والمدرسة الخيرية «الفلاح» ومدرستا البنات الاميرية والامريكية والمحكمة الاهلية المؤسسة سنة : : : وبيتها تشغل جملة ادارات كادارة تسجيل الاملاك «الطابو» وادارة مستشار المالية ونظارة المعارف ونظارة الزراعة وادارة عقود الايجارات والضمانات وامامها حديقة جميلة وهذه البلدة فيها كثير من البيوت الفخمة الهندسية والبناء والابنية الجميلة الشاهقة المطلة على البحر ذات اسواق مكتظة بمختلف البضاعات من ضروريات وكماليات ذات رواج وبها المساجد الكثيرة الكبيرة الفخمة ذات المآذن السامقة والى شمالها ميناء صعبة للمراسي وقد بنى عليه رصيفا متقنا يمتد على طولها شق فيه شارع

٢٤ ـ وفى الكتب العربية عن الافرنجية جاءت باسم «منعمة» وقد اختلف فى سبب إطلاق اسم المنامة عليها فمن قائل انه تحريف المنعمة، حرفه الاعاجم اللذين ملكوها وتوطنوا بها ومن قائل انه كان فيها قصر لمنام احد ملوكها السابقين فسميت به وهذا هو المشهور المعروف عند اهلها.

٢٥ ـ عن ملوك العرب.

واسع منارا بالكهرباء وبنيت فيه مرافيء لمرسى السفن الشراعية لتأمن من الزوابع والميناء الشرقية أسلم للسفن من عواصف الريح واقرب مسافة وربما فى المستقبل تهتم الحكومة لاجراء بعض التصليحات له وذلك بجلب حفار لتوسيع مضيق «القليعه» وتعميقه قليلا حتى يلائم لدخول السفن البخارية فيه فحينئذ يتم تحويل الميناء اليه : وارض المنامة سبخة يفسد منها الهواء فتكثر فيها الحميات على الخصوص قبل ان تتأسس فيها البلدية سنة ١٣٣٩ هـ وكان حينئذ بها نهر يشقها من اولها الى آخرها وهو لكثرة وراده من النساء اللائى يغسلن فيه خرق الاطفال وتراكم القذورات يكاد يكون اكبر مستودع للمكروبات الوبائية الفتاكة بصحة البشر وهذا النهر هو المعروف بالمشبر واليك ما قاله فيه بعض : من تأذى بروائحه المتنته ومنظره الكريه :

ماخلق المشبر ورب الورى   الا لتذكار حميم السعير

وكان هذا الشاعر يعرف بالوزير من بلدة جد حفص وحيث ان للمشبر مكان عند اهل المنامة تفوق مكانة رافدى العراق الدجلة والفرات عند العراقيين فقد عظم هذا الهجاء عليهم واقامهم وأقعدهم فقام احد السكان المدعو بسلطان وانبرى لاخذ الثأر وكشف العار واستوى فى الميدان واشرع سنان البيان فقال :

ما انا بالسلطان ان لم اقم   بخنجرى اقلع عين الوزير

وعين الوزير هذه هى عين ماء نباعة فى بلدة جد حفص الآتى ذكرها. ولما قامت البلدية بالاصلاحات كان من عملها مواراة هذا النهر القذر وتعويض السكان عنه بجملة آبار ارتوازية وشق الشوارع وغرس الاشجار على حافتيها وازالة المزابل وتطهير المستنقعات وردم البواليع وتعاهد المدينة بالكنس والرش واستئصال كلما من شأنه توليد الروايح المتننة الى غير ذلك مما اصلح من شأنها ما لا ينكر فى اعتدال هوائها وتناقص رطوبتها وسبخها وتوفر اسباب النظافة وتحسن الصحة وكانت تقدر من سنوات باربعين الف نفس كما مر عليك وذلك منذ عشرون عاما واما الان فقد بوشر الاحصاء فيها فاسفر عن نقص كبير حيث بلغ عدد نفوسها سنة : : : نفس ولا يكاد يصدق واغلبهم يحمله على عدم التدقيق فى عملية الاحصاء وغريب جدا هذا النقص الكبير وان طرأ على البلاد ما يوجب النقص من حيث المهاجرات وكثرة الوفيات الوبائية التى توالت عليها بين فترات قصيرة مع ان وسائل الصحة قد توفرت فيها عن ذى قبل: وشرقها على الساحل الشمالى الى قرية «رأس رمان» وهى مشرفة على الساحلين الشمالى والشرقى وبها دار الوكالة البريطانية المشيدة سنة : : : وادارة البريد والمولد الكهربائى للتنوير المؤسس سنة ١٣٤٨ يشتغل جل اهلها صيفا بصيد اللؤلؤ والسمك وشتاء بصيد السمك والملاحة والاسفار الى سواحل الهند واليمن وافريقيا لتصدير التمور والبلح المسلوق «السلوق» وجلب محاصيل تلك البلدان والاقاليم من انواع البضايع واهمها الخشب على اختلاف انواعه مما يلزم لبناء السفن التجارية والابنية والسقوف والوقيد: وجنوبيها قرية حالة «ابن اسوار» على الساحل الشرقى وحرفة اهلها الملاحة شتاء وصيد اللؤلؤ والسمك صيفا: وجنوبها شرقا حالة «ابن انس» وهى على الساحل الشرقى«٢٦» ايضا وبها محطة البرق اللاسلكى المؤسسة سنة ١٩١٥م واهلها ملاحون ويصطادون اللؤلؤ صيفا والسمك شتاء وغربيها قرية الحورة ويطلق عليها مع سابقتها أسم الحورتين وجاء ذكرهما فى معجم ياقوت باسم «حوارين» قال : «حوارين» بلدة بالبحرين افتتحها زياد فكان يقال له زياد حوارين وهو زياد بن عمرو بن المنذر بن عصر واخوه خلاس بن عمرو وكان فقيها من اصحاب علي (رضى الله عنه) قاله

٢٦ - وربما فى المستقبل يحول اليها الميناء العمومى كما تقدم بيان ذلك فيما اسلفناه.

السمعاني: وقال الحفصي. حوارين والجيار قريتان بالبحرين كان ضم الجيار الى حوار وسماها حوارين قال عمارة بن عقيل:

واسأل حوار غداة قتل محـــلم   فليخبرنك ان ســـــالت حوار
عن عامر وبني جذيمة اذهوى   للحين حد جذيمة العشـــــار

ويظن انها كانت مساكن الحوريين الاولى الذين جاء ذكرهم بالتوراة في « » وبعد ان هجروها وانتقلوا الى جبل سعير بقي عليهم اسم وطنهم الاصلي الذى لحقهم في توطنهم في الحورة وربما يجيء لذلك زيادة بيان في هذا الشأن في محله من القسم التاريخي وحرفة اهله الحدادة وقطع الاحجار وحفر الآبار وصيد اللؤلؤ والسمك وبها المياه الجارية وبساتين النخل الباسقة وغربيها جنوبا على الساحل الشرقي قرية حديثة عهد بالسكنى واكثر اهلها من الاجانب فعلة وعمال خليط من العجم والبلوش والهنود والحبوش وشرقيها بحرا «القليعة» بصيغة التصغير ذكرها ياقوت في معجمه قال «القليعة» موضع في البحرين لعبد القيس: وهو بناء قديم في تلك الميناء بارز من وجه البحر مما يظهر من اسمها انها قلعة جاءت بصيغة التصغير ويقال انها متصلة بقلعة اخرى في البلدة بنفق تحت قاع البحر بينهما حتى اذا حوصر اهل البلاد في قلعتهم او نفذت ذخيرتهم امكنهم الفرار او جلب الإمداد بواسطة هذا الطريق السرى «النفق» والله اعلم وهي الجهة التي يظن في المستقبل ان يحول اليها الميناء العمومية لكونها اقرب واسلم كما تقدم فيما اسلفنا: وجنوبي القرية الحديثة قرية القضيبية بصيغة التصغير على الساحل الشرقي وكانت سابقا مصيفا لتجار اللؤلؤ من اهل المحرق الآتي ذكرها واما الان فقد قامت فيها القصور الشاهقة الجميلة وكثر سكانها حتى لم تبق تهجر شتاء ولا صيفا واهلها من عليه القوم يتجرون باللؤلؤ وبعضهم يحترف صيده وصيد السمك وبها المحجر الصحي المؤسس سنة ١٣٢٧ الذى حول سنة ١٣٢٨ الى محطةللطيارات الجوية وغربها القصر الابيض الملكى الذى شيد سنة ١٣٤٧ خصيصا لمصيف الملك الحالي الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وهو قصر بديع المنظر حسن الهندسة جميل الشكل متين البناء وامامه حديقة جميلة وغربيه بمسافة قليلة «قلعة الديوان» وهي من ابنية نادر شاه سنة : : : وبعد ان خربت جددها آل سعود حين استيلاؤهم على البحرين في سنة : : : كما سيأتي بيانه في محله وكانت سابقا مصيفا للشيخ عيسى بن علي آل خليفة الحاكم السابق واما الان فهي مقر قائد الجند الكابتن «برك» الانجليزي مع الجند الهندى وبها المحبس العمومي وقد اجرى فيها اصلاحات وبناءات جميلة وغرست امامها حديقة نضيرة وحول ما حولها من الاراضي الى ساحات لالعاب كرة القدم وللتمارين العسكرية وغربها قصرا جميلا للشيخ حمد الحاكم الحالي كان بنى له مصيفا وهو حينئذ ولي العهد، وجنوبي شرق القلعة قرية «السقية» بصيغه التصغير بها جملة كبيرة من دواليب النخيل والمخضرات التي تسقى بالغرافة واهلها يشتغلون بفلاحتها: وجنوبيها «عين ام شعوم» وهي عين كبيرة قوية تسقى جملة من البساتين التي حولها ووجه تسميتها نسبة لما يوجد بها من السمك المسمى شعوم على حدها الغربي مسجد وعلى حدها الشرقي حمام خاص لسباحة النساء مستر وهي خاصة باستحمام كل من يتزوج من اهل المنامة ومنها يزف الى ان يصل الى بيته ويكثر عليها الازدحام صيفا للاستحمام وبينها وبين السقية السالفة الذكر يوجد تل عال وهو اثر قديم يعرف بقبر اليهودى ربما عطفنا عليه بالاشارة في موضع اخر وجنوبي ام الشعوم قرية «الماحوز» وهي قرية كبيرة ذات مياه غزيرة وبساتين باسقة نضيرة وحرفة اهلها الفلاحة والزراعة وقد خرج منها جملة من فطاحل العلماء

كالعلامة الشيخ سليمان الماحوزى المتوفى سنة ١١٣٧ وغيره الآتى ذكرهم فى القسم الادبى انشاء الله تعالى وهى قريبة من الساحل الجنوبى وشرقيها جنوبا: قرية «هلتا» وتعرف عند العامة بهرتا سميت باسم العين التى بها وهى قرية قديمة وقد خربت وبها مسجد قديم يعرف بمسجد شيخ ميثم البحراني وهو الفيلسوف الربانى المشهور المتوفى سنة ٦٧٩ وقبره فى مدرسته الكائنة فى قبلة المسجد المذكور وقد دفن معه فيها الشيخ احمد بن صالح المتوفى سنة ١٣١٤ وستأتى ترجمتيها فى القسم الادبى انشاء الله تعالى وفيها البساتين النضرة والمياه الغزيرة . وقريبا منها قرية «الدونج» ذكرها الشيخ يوسف الاصم فى لؤلؤلته وفى هذه الناحية قرية قديمة يقال لها «شبات» ولم يبق الا اسمها ولا يعرفه الا القليل من المسنين ولعل اسمها محرف سبوت واسبات وهو الموضع الذى يكون مجمعا لليهود فى اعيادهم كما ان قبر اليهودى الآنف الذكر قريبا من هذه الجهة ولعله بيعة اليهود فى قديم الزمان بهذه البلاد اذ قد ثبت ان ايادا جلها تهودت وانهم استولوا على البحرين واستوطنوها كما سيأتى بيان ذلك فى محله والى جنوبى هلتا «ام الحصم» على الساحل الجنوبى وهى مصيف لاهل المحرق وحرفة اهلها صيد اللؤلؤ والسمك وشرقى هلتا قرية «الغريفة» بصيغة التصغير قال عدى بن الرقاع

يامن رأى برقا ارقت لضوئه	امسى تلألأ فى حواركه العلى
لما تلجلج بالبياض عماؤه	حول الغريفة كاد يثوى أو وثوى

وهى قريبة من الساحل الجنوبى الشرقى وبها النخيل الباسقة والمياه الدافقة وخروج منها بعض العلماء سيأتى ذكرهم فى محله وحرفة اهلها صيد اللؤلؤ والسمك والفلاحة: وشماليها قرية «الجفير» بصيغة التصغير ومعناه البئر الغير مبنية فيقال جفر وجفرة وهى على الساحل الشمالى جهة الشرق ذكرها ياقوت فى معجمه فقال الجفير قرية بالبحرين لبنى عامر بن عبدالقيس وبها بساتين النخيل والمياه الجارية وحرفة اهلها الفلاحة والملاحة لصيد اللؤلؤ والسمك: وشرقيها الى الجنوب قرية «قرقز» وهى على رأس ممتد فى البحر جهة الشرق وبها سكنى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالوهاب آل خليفة: وغربى الماحوز الآنفة الذكر ابو عشيرة على الساحل الجنوبى«٢٧» وهى صحراء ممتدة بها آثار قديمة وبها بعض البويتات من القش واهلها صيادوا سمك وشماليها غربا قرية «الزنج» ولعل وجه تسميتها بهذا الاسم له علاقة بصاحب الزنج الذى استولى على البحرين وما يليها من سنة : : : الى سنة: : : وعاث فى البصرة والعراق كما سيأتى ذكره فى محلة وهى ذات بساتين من النخيل الباسقة وعيون الماء الدافقة وانواع الزراعة كالبطيخ الاصفر واصناف المخضر وحرفة اهلها الزراعة وتحضير الجص والطين للبناء الى غير ذلك مما يدخل فى هذا المعنى: وغربها قرية «ابوخفير» وهى ذات بساتين وعيون جارية واهلها فلاحون وغربيها «بلا د القديم» وهى بلدة كبيرة قديمة لا يعرف لها اسم غير هذا. كانت فيما مضى من الزمان زاهرة بالعلماء الاعلام مكتظة بالسكان عامرة بالبنيان اما الآن فلم يبق منها الا اثرا بعد عين اكثرها خرائب قد اخنى عليها ما اخنى على لبد ولم يبق من سكانها الا القليل فى الغاية والنهاية من الفقر والفاقة وكان لم يكن بها اثر للعلم والعلماء فسبحان من له الدوام والبقاء وهى ذات بساتين نضيرة وعيون كثيرة ذات مياه غزيرة فمن عيونها الشهيرة عين قصارى وعين جماله الى غيرها من العيون الكثيرة والاولى تسقى مساحة كبيرة من البساتين حتى تصل الى الساحل الشمالى من سيحة منى الآتى ذكرها وتصل الى الزنج السالفة الذكر واهلها فلاحون وبعضهم ملاحون واخرون يتاجرون فى اللؤلؤ والاقمشة والبقالة الى غير

٢٧ ـ بها قليلا من النخيل والمياه الجارية وهى قرية صغيرة وغربيها على الساحل الجنوبى «ابو غزال».

ذلك من المهن الاخرى ومن قري بلاد القديم «المويلقة» و «حلة السوق» وهذه على الساحل الجنوبي وكلتاهما ذات مياه غزيرة وبساتين نضيرة واهلها فلاحون وغربيها الى الجنوب «السهلة» الحدرية وهي على الساحل الجنوبي ذات مياه غزيرة وبساتين نضيرة كثيرة وزراعات كثيرة وبها العين الشهيرة بعين «عذاري» وهي عين كبيرة هائلة عميقة عمقها نحو «٢٠» ذراعا اذا وقف الرجل في مجراها لا يكاد يمسك نفسه لشدة دفعها وتسقي من البساتين ما يقرب من ثلاثة اميال ثم تصب في البحر منحدرة كانها السيل الهائج ويشتغل اهلها بفلاحة البساتين وزراعة انواع المخضرات والبرسيم وغربيها شمالا «السهلة» الفوقية وهي كسابقتها في كثرة البساتين والمياه وحرفة السكان وغربي بلاد القديم الى جهة الشمال قرية «حزيان» بصيغة التصغير وبها البساتين الناضرة والمياه الجارية واهلها فلاحون وبها مسجد ابو عنبره وغربيها جنوبا «سوق الخميس» و هي سوق يجتمع بها اهل القرى في اليوم المذكور للبيع والشراء فيعرضون محاصيلهم من تمر أو رطب واواني الفخار والحصر والقفف والحبال والدهن البقرى ويمضى اليها من العاصمة جملة من البقالين وغيرهم لبيع ما يتمون به اهل القري من ماكول وملبوس وتقوم سوقهم من اول الصبح الى ما بعد الظهر ثم يتفرقون كل الى سبيله وشماليها «المشهد» وهو مسجد كبير قديم لا يعرف بالتحقيق زمن تأسيسه وقد خرب ولم يبق منه الا الطلل وفي اعلى محرابه صخرة نقش فيها اسم البانى والمرمم واعيان الاوقاف الموقوفه عليه المخصص ريعها عليه الا ان الصخرة المذكورة لعبت بها ايدى المغرضين فهشمت اسماء الاوقاف لئلا تسترد من ايدى غاصبيها واخيرا وقعت وفقدت وفيه مأذنتان شاهقتان جميلتان علو كل واحدة منها نحو (٧٠) ذراعة والصاعد فيهما لا يظن الا انهما بنيتا حديثا والواقع خلافه وملاصق لاجد جوانبه اثر مدرسة قديمة متهدمة. وفي اعلى مدخل المأذنة الغربية صخرة نقش عليها بالقلم النسخى المشجر الجميل اسماء ائمة اهل البيت الا ان تعاقب القرون عليها قد نخرها وهشم اكثر حروفها بحيث تعذر علينا معرفة المؤسس او المصلح والزمن الذى تم فيه ذلك وغاية ما استطعنا حله منها بعد اسماء الائمة انه اصلح بامر الملك العادل: : : سنة: : : وبقية الاسم والتاريخ مهشمة. وذكر الشيخ خليفة بن محمد النبهان في تاريخه ان المشهد المذكور هو من ابنية عمر بن عبدالعزيز الاموى ولا تعلم من هو مصدره ونحن لا نرى رأيه اذ كتابة الصخرة الآنفة الذكر بالقلم النسخى المشجر وهذا القلم لم يتكون الا بعد عمر بن عبدالعزيز بما ينيف على القرن. وذكر انه يوجد عند بعض الاهالى صخرة من المشهد المذكور مكسورة نقش فيها كتابه جاء فيها اسم جلال الدين بن مراد شاه وهذا هو احد الوزراء للحكومة البرتغالية في عهد استيلائها على البحرين من سنة : : : الى سنة : : : كما سيأتى بيانه في محله فاذا صح هذا فانه يكون نحو سنة : : : ولا يلزم ان يكون هو المؤسس جزما انما مجدد للتعمير واما النسبة المتقدمة فقد مر عليك ما يناقضها الا ان يكون هو المؤسس والكتابات الآنفة الذكر هى لمن قام بتجديده وارصاد الاوقاف عليه ممن اتى بعده فمحتمل ذلك كما انه في العهد الاخير .سنة ١٣٤٦ اهتمت الحكومة باصلاح خارج المأذنتين وتبيضهما صيانة لها عن السقوط ثم بناء حائط صغير حولها منعا من دخول الكلاب والحيوانات الاخرى فيه والى جنوب السوق المذكور المدرسة العلوية المؤسسة سنة ١٣٤٦ وجنوبيها الحم كجبل يقال له قلعة «دقيانوس» ويعنون به صاحب الفتية اهل الكهف والله اعلم وغربي السوق «ابوزيدان» وهو عين نباعه كالزلال على نصف ظهرها مسجد للصلاة وباقيها محاط بالجدران والدكك وينساب ماؤها كبطون الحيات لسقى

البساتين والمزارع التي حولها: وشمالها قريـة «طشان» وهي ذات نخل صنـوان وغير صنـوان وبها من المياه الجارية عينان يقال لاحداهما كوكب مرجان والاخرى كوكب قصر والاخيرة ممتازة بالعذوبة واهلها فلاحون: وغربيها جنوبا : قرية «ابوابهام» وهي ذات بساتين ناضرة ومياه غزيرة واهلها فلاحون: وجنوبي شرق السهلة الحدرية مقطع توبلي وهو خليج داخل في البر وجنوبي المقطع: قرية «توبلي» وهي قريبة من الساحل الشرقي وهي قرية كبيرة ذات مياه غزيرة وبساتين ناضرة ونخيل باسقة كثيرة ولعلها مع بلاد القديم المتقدمـة من مـواطن الفنيقيين الاولى قبل عصور التاريخ اذ ان هؤلاء مؤكد توطنهم في هذه الجهـات كما سيأتي في محله. وربما يكون اسم «تـوبلي» محرف عن «توبولي» بمعنى المدينتين اذ لم نجد لبـلاد القديم اسم خاص غير هذا النكرة مع انها قديمة وآثارها عظيمة ولا تعرف بغير اسم بلاد القديم فيغلب على الظن ان اسم «توبلي» شـامل لـلاثنتين ومعنـاه المدينتين والله اعلم ومن قراها «كتكان» وهي ذات نخيل وعيون جارية واهلها وسابقتها فلاحون ومن ينسب اليهـا من العلماء الحدث الجليل العـلامـة السيـد هـاشم صـاحب التأليف المفيـدة المتـوفى سنـة ١١٠٧/١١٠٩ وسيأتي ترجمته في الجزء الادبي ومن قراها ايضا «توبلي» قرية «مرى» التي اشار اليها الشيخ جعفر الخطي المتوفى سنة : : : في قصيدته المعروفة بالسبيطية بقوله

توجهت من مرى ضحى فكأنني　　توجهت من مرى الى العلقم المر

وستأتي ترجمة هذا الفاضل انشـاء الله : وهي ذات نخيل بـاسقـة وميـاه دافقـة واهلهـا فلاحون وجنوبيها : قريـة «الجبيلات» بصيغـة التصغير وهي ذات نخيل وبسـاتين وميـاه جارية تسر الناظرين واهلها فلاحون وشرقيها قرية «الهجير» بصيغة التصغير وهي كسابقتها ذات مياه غزيرة ونخيل باسقة واهلها فلاحون وجنوبيها شرقا قـريـة «الكورة» وهي مما يلي الساحل الشرقي وهي ذات بساتين باسقة ومياه جارية واهلها فلاحون : وشرقيهـا جنـوبـا قرية «جد علي» قريبة من الساحل الشرقي وهي ايضا ذات بساتين نـاضرة ونخيل بـاسقـة ومياه دافقة واهلها فلاحون وغربها آثار قديمـة ممتـدة الى الجنـوب على مسـافـة كبيرة حتى تتجاوز قرية جرداب الآتي ذكرها واهلها فلاحون: وجنوبيها شرقا مما يلي السـاحل المذكور قرية «جرداب» وهي ذات بساتين باسقة ومياه جارية وجنوبيها وغربيها آثار قديمـة بكثـرة واهلها فلاحون: وبعضهم يحترف بصيد اللؤلؤ والسمك وجنوبيها بمسافة كبيرة الى الشرق على الساحل المذكور قرية «سند» وهي ذات بساتين ومياه جارية واهلها فلاحون وجنوبيها وغربيها آثار قديمة بكثرة وجنوبيها شرقا قـريـة «العكر» على الساحل المذكور وقريبـة منـه وهي ذات نخيل باسقة ومياه غزيرة وبها مزارع البطيخ الاصفر الجيد ويزرع الحنطة واهلهـا فلاحون وغربيها قرية «بربوره» وهي ذات بساتين من النخيل الباسقة وعيون الماء الـدافقـة وشرقيها آثار قديمة واهلها فلاحون وشرقيها جنوبا قرية «النويدرات» بصيغة التصغير وهي ذات نخيل كثيرة ومياه جارية غزيرة واهلها فلاحون وبعضهم غواصون وبها مصانع المديد وهي نوع من الحصر المنسوج من الاسل المتين الجميل وشرقها : قريـة «المعامير» وهي على الساحل الشرقي المذكـور قـريبـة من جـزيـرة سترة واهلهـا غـواصـون وصيـادوا سمك : وجنوبيها «سابيه» وجنوبيها «شباقه» وكلتاهما ذات مياه جارية ونحيل باسقـة وهما تبعـدان عن سابقها كثيرا وبعيدتان عن الساحل المذكور: وشرقي شبافه جنوبـا قـريـة «سيبه» على الساحل الشرقي المذكور في رأس ممتد بحرا وغربيها جنوبا قرية «الفـارسيـة» على السـاحل المذكور وهي ذات بساتين كبيرة ومياه غزيرة واهلها فلاحون وغواصون: وجنوبها بمسـافـة ليست قليلة شبه جزيرة بارزه في الساحل ليس بها نخل ولا سكن وكلها آثار قديمـة يشق

طرفها الشمالي خليج داخل فيها يقال لها «رأس ابو جرجور» وقريبا منها شرقا جزيرة صغيرة وليس بها سكنى: وجنوبي ابي جرجور بمسافة كبيرة قرية «عسكر» على الساحل الشرقي المذكور«٢٨» وليس بها نخيل ولا زراعة واهلها غواصون وصيادوا سمك وجنوبيها شرقا «رأس حيان» وهو رأس ممتدة في البحر وفيه قبر صعصعه بن صوحان وهو مزار يزوره اهل البلاد يتبركون به وينذرون اليه وجنوبيه بمسافة كبيرة على الساحل الذكور قرية «جو» ذكرها الشيخ عثمان بن سند في تاريخه حيث قال اسكن بلدة جو الشيخ احمد بن رزق وبنى بها قصورا شامخة الى الجو ثم ظعن عنها وبعد ظعنه بقيت خالية من السكنى الى ان استولى الخيلفيون على البحرين سنة ١١٩٧ و في سنة ١٢١٢ لما اخذ سعود بن عبدالعزيز أمير نجد يتهدد الزيارة وكانت سكنى العائلة الخليفية كما سيأتي بيانه في محله نقل الشيخ سلمان بن احمد الخليفة عائلتهم جميعا منها واسكنهم بلدة جو. ثم في سنة ١٢٢٥ لما استرجع آل خليفة البحرين من آل سعود ترك الشيخ سلمان جوا وسكن الرفاع وقد ذكرها السيد عبدالجليل في ارجوزته بقوله : بعد اجتيازه للجزيرة :

ومذغتمنا نزهة الجزيرة — سرنا الى جو بحسن سيره
المنزل الذي عفت رسومه — مذ أفلت من افقه نجومه
من بعد ما كان محط الرحل — يلقى بها الطارق خير اهل
ومعقل الوفود والضيوف — ومأمن الطرايد والمخوف
يزينه غربه سكان — هم الحماة الصيد والشجعان
من كل فاضل نقي العرض — اشم غطريف جواد مرضي
دار لربات الحجال الخرد — من كل هيفاء بقدامید
ذات اللمى المعسول والثغر الشنب — وعقرب الصدغ لمضناها تدب
ترسل من شعورها افاعيا — تنهش قلب الصب وهي ماهيا
فاصبحت اطلالها تسائل — اين الدمى وهاتك الخلاخل
قضى عليها الدهر بالخراب — حتى غدت مساكن الضباب
وذاك امر الله حيث احكمه — بدا بأهلها اختلاف الكلمة

ظلما فجاءها بكل مصلت — وقد امدهم امام مسكت
وبغض اهليها نجي الخيانة — بغيا بلا جرم ولا امتهانه
بل قادهم لذلك الرجيم — ومن يخون غادر ذميم
فاختارت الاشياخ منها الرحلة — من قبل ان تلحقهم مذلة
فعادت الدار طلولا خاوية — فلا يجيب الربع منها داعية
سوى فريق حل منها ناحية — وكلهم في الصيد هاد داهية

اي انه بقي فيها من السكنى قليل يحترفون صيد السمك. ثم بعد ذلك نزلها آل ابي رميح وهم باقون بها الى الآن: ثم جنوبيها قرية «دار المناديل» على الساحل الشرقي وبها قلعة واهلها صيادوا سمك: ثم جنوبها بمسافة كبيرة قرية «الجسيرة» بصيغة التصغير على الساحل المذكور واهلها صيادو سمك ايضا : ثم نعود من هذا الساحل الى الساحل

٢٨ ـ ويظن انها كانت معسكرا في احد الوقائع القديمة فصار عليها علما وقد جاء في الحكاية التي قصت في قرية الدراز ان هذه القرية كانت احد معسكرات اهل البحرين في حربهم مع جند عبدالملك بن مروان والله اعلم.

الشمالي فغربي المنامة بلدة «نعيم» بصيغة التصغير وكانت سابقا منفصلة والان قد اتصلت بالمنامة وهي على الساحل الشمالي وبها معامل صنع السفن الشراعية التي تكاد تكون اكبر مصانع الخليج او المصنع الوحيد وان وجد في الخليج معمل من هذا الشكل فصناعها وعملتها من اهل هذه البلدة المشهود لهم بالمهارة والدقة كما اسلفنا ونعيم هذه تكاد تكون برمتها معامل من هذا القبيل واهلها كلهم صناع فيها الا الشاذ النادر منهم ويبرزون من معاملهم هذه سنويا عددا كبيرا من السفن على اختلافها في التفريغ والشكل وفي اكثر الاحيان يصنعون على نفقتهم: وغربيها الصويفية وكانت سابقا مصيف لبعض عائلة الحكومة ومتعلقيهم وعلى الساحل الشمالي منها قصر بناه الشيخ عيسى بن علي لسبطه احمد بن الشيخ على بن احمد : وغربيها : قرية «الجبلة» على الساحل المذكور وهي ذات بساتين غناء ومياه غزيرة واهلها فلاحون وغربيها على الساحل الذكور قرية «مني» ذات البساتين الناضرة والثمار المتنوعة والمياه الغزيرة واهلها فلاحون: وجنوبيها قرية «البجوية» وهي ذات بساتين باسقة ومياه دافقة واهلها فلاحون: وغربي مني على الساحل الشمالي المذكور «السنابس» وهي بليدة على الساحل اهلها ملاحون وغواصون وصيادوا سمك وبعضهم يتاجر في اللؤلؤ : وغربيها قرية «الديه» وبها النخيل الباسقات والانهار الجاريات واهلها فلاحون وملاحون : وغربيها على الساحل المذكور قرية «الفلاه» وهي ذات بساتين ناضرة ومياه جارية واهلها فلاحون وملاحون: وجنوبيها شرقا قرية «مروزان» وهي ذات بساتين غناء وحدائق فيحاء ومياه غزيرة وهي التي يقول فيها ابن مقرب متحسرا

وامضى شيء القلوب قطايع بالمروزان لهم وكرزكان

وهي فارسية الاسم محرف اما عن «مردوزن» اي رجل وامرأة . او «ماروزن» اي حية وامرأة والله اعلم واهلها فلاحون: وجنوبيها بلدة «جدحفص[29]» وهي بلدة كانت قديمة عظيمة ذات عيون سياحة وبساتين غناء فياحة وبها سوق صغير وقد خرج منها علماء اجلاء وهي التي يقول فيها أحد بنيها بعد ان هجرها الى شيراز فحن اليها

يا ساكني جد حفص لا تخطفكم ريب المنون ولا نالتكم المحن

ولاعدازاهرات الخصب واديكم ولا أغب ثراه العارض الهتن

وقال فيها الشيخ جعفر الخطي المتوفى سنة ١٠٢٨

سقى جد حفص البيض سحا ولوسما لها الدمع اغناها عن الغيث راشحه

ولازال خفاق النسيم اذا سرى عليلا يماسي جوها و يصابحه

وهذا الشعر للعلامة الاحد السيد ماجد بن السيد هاشم الجد حفصي المتوفى سنة ١٠٢٨ وكان بين اهلها واهل بلاد القديم المتقدمة الذكر عداوات وحروب من قديم الزمان ولا زال اثرها باقيا ولعلنا نوضح بعض اسبابه ودواعيه في القسم التاريخي الاتي انشاء الله تعالى: وكانت فيما مضى من الزمان شامخة البنيان آهلتا لسكان سوق العلم في ارجائها رائجة ومدارس العلم بالعلماء مزدحمة واما الان فهي كما قيل سمعك بالمعيدى خير من ان تراه اذهي في تقهقر مستمر والدوام لله وحرفة اهلها الفلاحة والبناء والحدادة وغير ذلك من الحرف: وجنوبيها غربا قرية «عين الدار» وهي قرية قديمة بها دور وقصور قد بدأ بها الخراب وفيها البساتين الناضرة ذات النخيل الباسقة والمياه الغزيرة الجارية واهلها فلاحون وبناؤون : وجنوبي البجوية السالفة وعين الدار قرية «المصلى» وهي ذات مياه جارية ونخيل باسقة وبها قبر العلامة الشيخ حسين بن عبدالصمد والد البهائي المتوفى سنة

٢٩ـ وحكى ابن الاعرابي قال جد بالضم اسم موضع، قال وهو اسم ماء بالجزيرة ايضا وانشد:
فلو انها كانت لقاحي كثيرة / لقد نهلت من ماء جد وعلت.

: : : : وكان قد هاجر الى البحرين لرؤيا رأها كأن القيامة قد قامت وان الله قد امر بان ترفع ارض البحرين بما فيها الى الجنة فآثر الجوار بها والموت فى تربتها وقد رثاه ابنه العلامة الشيخ محمد البهائى بقصيدة عزاء وعرض فيها باسم البحرين فى القرية المذكورة منها قوله

يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر　　كسيت من حلل الرضوان ارضاها

اقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت　　ثلاثة كن امثالا واشباهـــا

ثلاثة انت أنداها واغزرهـــا　　جودا واعذبها طعما واصفاهـــا

حويت من درر العلياء ما حـويا　　لكن درك اعلاها واغلاهـــا

واهلها فلاحون: وغربى جنوب عين الدار قرية «جبلية حبشي» وهى ذات بساتين كثيرة ومياه غزيرة واهلها فلاحون : وغربيها قرية «القدم» وهى التى يتشوق اليها بعد ان هجرها الى الهند فحن اليها احد بنيها بقوله

الهند بعد صلوة الليل فى القدم　　وا ضيعة العمر بل وا زلة القدم

وبها قبر العلامة التقى زين الدين الشيخ علي بن سليمان بن درويش بن حـاتم القـدمى وقد الت اليه الزعامة فى حياته توفى سنة ١٠٦٤ وهي ذات بساتين فياحة وعيـون سياحة واهلها فلاحون«٣٠» وجنوبى القدم غربا قريـة «الحجر» وبها بساتين النخيل الباسقه والمياه الغزيرة وبها عين الكرش الشهيرة التى اشار اليها والى ابى زيدان السالفـة الـذكـر السيد عبدالجليل بقوله

دع الكرش تصلى بالهمم سباحة　　وليس بوزيدان ممن يكابر

واهلها فلاحون: وجنوبيها شرقا قريـة «بوقوه» وهى غربى السهلة الفوقية السالفة الذكـر وهى ذات بساتين كثيرة ومياه غزيرة واهلها فلاحون وحطـابـون: وجنـوبيهـا شرقـا قـريـة «القبيط» بصيغة التصغير غربى مقطع توبلى السالف الذكر وبها بسـاتين النخيل البـاسقـة والمياه الدافقة واهلها فلاحون : وجنوبيها قـريـة «سلماباد» وهى فارسية الاسم ومعناه بلـد السلم وهي ذات بساتين غناء ومياه غزيرة وبينهـا وبين سـابقتهـا اثـار قـديمـة : واهلهـا فلاحون وشمالى القدم السالفة الذكر قريـة «المقشاع» وهى ذات نخيل باسقة وانهار دافقة واهلها فلاحون: وغربيهـا قـريـة «ابواصيبع» وهى ذات بسـاتين ودواليب زراعيـة تـزرع المخضرات وبها مصانع النسج للاردية الفريدة الشهيرة التى لا يحسن صنعها غير اهل هذه القرية وقد اجتهد اهل الهند واوروبا بعد ا ن ارسلوا نموذجـا لتقليـده فلم يستطيعـوا ذلك وكانت فى القديم كبيرة عامرة وخرائبها تدل على ذلك وكانـوا ينسجـون اصنـافـا كثيرة من القماش ولكن بسبب المزاحمة الأوروباوية واختفت صناعتها فلم يقو على المزاحمة الا الاردية المذكورة كما سبقت الاشارة فيه واكثر اهلها يحترفـون الفـلاحـة صيفـا وتنسب اليهـا بعض العلماء سنترجمهم فى الجزء الادبي: وجنوبيها قـريـة «الشاخورة» وهى فارسيـة الاسم محرف عن «شاه آخور» ومعناها اصطبل الملك وكانت بلدة كبيرة قديمة لكثرة خـرائبهـا كـان لها ماض مجيد اذ كانت عامرة بالسكان شامخة بالبنيان كثيرة المدارس مزدحمة بالعلماء الاعـلام وفيها مدرسة وقبر العلامة ومن آلت اليه الى يومنا الزعامة الشيخ حسين الـدرازى صـاحب التصانيف الكثيرة المتوفى سنة : : : وستأتى ترجمته فى الجزء الادبى انشاء الله تعالى. ولم يبق من مجدها الـدارس الا انقـاضهـا الـدوارس وقليل من السكـان فى اضعف حـال يحترفـون الفلاحة بتلك السيحة الفسيحة ذات البساتين الكثيرة والمياه الغزيـرة: وغـربيهـا «الغريفة» بصيغة التصغير وبها سيحة نخيل كبيرة وعيون ماء كثيرة الا انها اندثرت وعيونها انطمـرت وبسـاتينهـا هلكت ولم يبق من جميع ذلك الا رسـوم الانهار وآثـار العيـون وبعض النخيل

٣٠ ـــ وبين قـريـة القـدم وقـريـة المقشـاع الآتى ذكـرها بلـدة للبيمـة دائرة تسمى «ابـو عمارة» وهـى الآن خـربـة وآثارها تدل على عظمتهـا قديما بما فيهـا مـن الطـام قصـورها وابنيتهـا وجـامعهـا الكبير والنسبـة اليها عمارى وممن ينسب اليهـا مـن الاعيان التـاجـر الشهير الحاج حسين المحارى الشرطن فى بغداد المتوفى فيها سنة ١٢٤٠هـ تقريبا.

المتفرق ولعل ذلك من اسباب مهاجرات الاهالى على اثر الوقايع والظلم والارهاق وقد بدأ فى بعضها الاصلاح باخراج بعض العيون واستئناف الغرس وهى غير الغريفة المتقدمة وغربى هذه وابواصبع آثار قديمة ممتدة الى الغرب : وغربى الفلاه السالفة الذكر على الساحل الشمالى قرية «كرباباد» وهى فارسية الاسم ومعناها محل الكرب وهى ذات بساتين ناضرة ومياه جارية واهلها فلاحون: وغربيها على الساحل المذكور قرية «قلعة عجاج» وفيها البساتين الغناء والرياض الفيحاء ذات الخوخ والرمان والمشمش والتين والاترج والموز والعنب والانب والرطب واللوز ومختلف الثمار معدنة من البلاد بهذه الجهات وفيها يقول السيد عبدالجليل من ارجوزته المتقدم بعضها

حتى نزل فى فناء القلعة	والنخل حولها ابان طلعه
فجاءنا ريحان فيها عازما	وابن رضى عازما منادما
مر بنا فى عامر النخيل	راقت ولو بظلها الظليل
اشجارها تنوعت ازهارها	غنى على افنانها هزارها
كانما الاترج فى الاوراق شب	فى خيمة خضرا قناديل ذهب
وزهرة فى قمعه كانمله	من فضة زمردا مكلله
والورد فيها قد زهى احمراره	كم غردت بظله اطياره
وخوخها معطر الافياء	وزهره كالقبة الحمراء
والماء جار قد صفت جداوله	واستعذبت لوارد مناهله

والحقيقة انه لم يبالغ فى الوصف وما هو الا كقطرة من نهر او غرفة من بحر وعلى ساحل هذه القرية قلعة قديمة لا يعرف زمن تأسيسها بالتحقيق والغالب على الظن انها قبل الاسلام بقرون كما تشير الى ذلك الوقائع فى أوائل ازمنة التاريخ القديم الاتى ذكرها فى القسم الثانى من هذا الكتاب انشاء الله تعالى ونسبتها الى البرتغاليين ليست بصحيحة وما هم الا مجددين لها كغيرهم وكان تجديدهم لبنائها سنة ١٥٨٦ م كما جددت مرارا اذ جددها الوزير جلال الدين بن مراد شاه سنة ٩٦٩هـ كما هو مكتوب فى بعض جبال جزيرة (جدا) ما نصه قد نقل من هذه الجزيرة مأية الف حجر لتجديد قلعة البحرين على يد العبد فيروز فى زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه فى شعبان سنة ٩٨٩هـ وهذا الوزير على ما يظهر هو وزير لحكومة البرتغال فى البحرين كما تقدمت الاشارة بذلك اذ كانت البرتغال استولت على البحرين فى سنة: : : كما سيأتى بيان ذلك فى محله وجددت القلعة المذكورة ايضا مرة اخرى كما روى لنا ذلك المرحوم الحاج عباس بن محمد بن فضل من انه راى صخرة بالقلعة مكتوبا فيها تاريخ نقل ماية الف حجر من العقير لتجديدها وقال السيد عبدالجليل فى وصفها من ارجوزته المتقدمة

منظر هذى القلعة العظيمة	تعرف منها انها قديمة
اركانها محكمة البناء	بطرفها تشير للسماء
صخورها منحوتة مربعة	عظيمة السمك بطول وسعة
فسيحة بديعة التفصيل	يقصر عنها الوصف بالتطويل
حاط بها سوران ثم الخندق	يعجب داء عرضه والعمق
قصورها ناءت عن التقصير	وقد زهت بزخرف التعمير
ترى بها عجائب المبانى	دلت على علو شان البانى
من شادها مراده التخليد	اذ ما على احكامها المزيد

وقد قضى الله بنفى الخلـد   وطالب الخلاف غير مهـدى
فانكشفت لذاك خيبة الامل   اذ رجعت تلك المقاصير طلل

ويطلق عليها الان قلعة (عجاج) ويظن ان هذا الاسم اطلق عليها حديثا ليس هو اسمها القديم ويغلب على الظن على انها من ابنية الدولة المعينية التى استولت على البحرين نحو سنة ١٩٠٠ ق.م كما سيأتى بيانه فى محله فكانت مدة هذه القرون المتطاولة تخرب مرة وتعمر اخرى وقد مر لها ذكر فى عهد اردشيربن بابك سنة ٢٢٦م كما سياتى فى محلة وفى سنة ٨٩٣ هـ هدمها الاباضيون حين استيلاؤهم على البحرين كما سياتى شرحه مفصلا فى محله وحول القلعة خندقا يدخل اليه البحر فى حالتى المد والجزر وهو عميق الغور واسعا ويقال ان لها نفقا يمر تحت قاع البحر متصلا بحصن فى قرية بالجارم والقرية قد طمى عليها مع ما حولها من تلك الجهات الواسعة للبحر من مدة قرون لا يعرف تحديدها وانما الاثار الباقية فى قاع البحر منها هى الشاهد الوحيد على سابق تاريخها وانها كانت مدينة عامرة بالبنيان آهلة بالسكان اذ يرى فيها اساسات بعض المبانى واصول الاشجار والنخيل ولا ينحسر عنها البحر فى حالتى المد والجزر الا عن بعض المرتفعات فى حالة الجزر وكانت ارض الجارم منخفضة ومعرضة لزعازع مهب الشمال والجنوب فى وسط الارخبيل عند مدخل جزيرة اوال من الطرف الشمالى فكانت هذه الاسباب من اعظم الدواعى الى تسلط البحر عليها ومحو وجودها بالكلية ما عدى بعض الآثار من رسومها الدوارس كاساسات حصنها واحكام قصورها مغطاة كلها بالماء فى حالة المد وفى حالة الجزر ينكشف جزء قليل منها كما ان القرية التى بجوارها من جهة طرفها الشرقى الجنوبى المعروفة بالمزروعية (المزيرعه) قد اخنى عليها ما اخنى على لبد فكانت حالها كسابقتها فى تسلط البحر عليها على ان ياقوت قد ذكر هذه القرية ولكن لم يتكلم عليها بشىء والان يوجد منها فى قاع البحر بعض آثار اساسات الابنية وشتى من اصول النخل مغطاة بالماء بقامة وقامتين: وما قيل من «ان البرتغاليين بعد استيلائهم على البحر بنوا قلعة غربى المنامة»[31] وليس ذلك بصحيح انها جددوها كما قدمنا وتاريخ تجديدهم لها مكتوبا فى اربعة مواضع منها على باب دائرة المحاسبة وعلى باب دائرة القائد وعلى باب دائرة الصيدلية وعلى بعض حجارة متهدمة لا يعرف اين موضعها من القلعة لانها قد خربت منذ سنين ولم يبق منها سوى الطلل وهى محاطة بسور وخلفه خندق عميق[32] واسع كان يدخل اليه البحر فى حالتى مده وجزره كما قدمنا ويوجد خلف الخندق من جهة الجنوب اساسات بناء مرتفع وبه بعض المدافع النادرية «نسبة الى نادر شاه»: وجنوبى القلعة قرية (حلة عبدالصالح) وهى ذات بساتين فيحاء ومياه جارية واهلها فلاحون وغربى القلعة قرية «الجبيلات» بصيغة التصغير وهى على الساحل ذات بساتين غناء ورياض فيحاء ومياه غزيرة واهلها فلاحون: وغربيها جنوبا قرية «روزكان» وهى فارسية الاسم ومعناه موضع النهار وهى ذات بساتين باسقة وجداول دفقة واهلها فلاحون: وغربيها على الساحل قرية الهربديه» وهى ذات بساتين ناضرة ومياه غزيرة واهلها فلاحون: وغربيها على الساحل المذكور قرية «الرقعة» وهى ذات نخيل باسقة وأنهار صافية دافقة واهلها فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وجنوبى غرب روزكان قرية «كرانه» واكثر بساتينها من نوع الدواليب التى تسقى بالدلاء ويزرع بها انواع المخضرات واهلها فلاحون وغواصون: وجنوبيها غربا قرية «كحلة العين» وهى ذات نخيل باسقة ومياه دافقة واهلها فلاحون: وغربى شمال كرانة «نواجرفت» وهى فارسية الاسم ومعناه نوراخذ وجيمها كاف فارسية وفيها البساتين الغناء

٣١ - المنجم ذيل المعجم.
٣٢ - تاريخ البحرين - ابن نبهان.

والحدائق الفيحاء الممتازة بالاترج والخوخ والمشمش والموز واللوز وغيرهما وانهارها غزيرة واهلها فلاحون: وغربيها قرية «جد الحاج» وهى على الساحل ذات بساتين وانهار دافقة واهلها فلاحون: وغربيها جنوبا قرية «جنوسان» ويظن ان اسمها مركب من لفظين «جن وانسان» فاختزلت ولحقها التحريف وهى ذات بساتين ناضرة وعيون ماء دافقة وحرفة اهلها الفلاحة والملاحة والغوص وغربيها قرية «باربار» وهى فارسية الاسم ومعناه حمل حمل والمراد منه «تحميل الاحمال» او لعلـه محرف عن «باربار» اى موضع الحمل الحمل ولقربها من الساحل يقال انها كانت فيها مضى من الزمان فرضة للوارد والصادر والحمل والنزال وهى قديمة عظيمة ولا تخلوا من الاثار فيها حولها من التلال: وغربيها شمالا قرية «شريبة» بصيغة التصغير مجاورة للساحل الشمالى الى المذكور واهلها ملاحون وغواصون وجنوب غرب الشريبة بلدة «الدراز» تبعد عن الساحل الغربى الشمالى قليلا وهى فارسية الاسم ومعناه الطويل وهى لطيفة الهواء طيبة المناخ بلدة كبيرة ذات دور عامرة وقصور سامقة آهله بالسكان ذات نخيل باسقة ذات ماض مجيد بها انجبت من العلماء الفحول كالعلامة الشيخ حسين الدرازى السالف الذكر وحرفة اهلها اغنياؤهم يتاجرون فى اللؤلؤ وعامتهم غواصون وصيادوا سمك ونساجون ومن نسيجهم حياكة قلوع السفن «الشراع» والعبى من الصوف وبها «عين السجور» العظيمة الشهيرة التى لم يبق الا اثرها والمشهور ان الذى ردمها عبدالملك بن مروان ولا يختلف فى هذا اثنان من اهل البلاد كما اشارت اليه بعض التواريخ(٣٣) والتواريخ القديمة لم تشر الى شىء من ذلك وذكر التاريخ ان سابور ذو الاكتاف هو الذى ردم العيون وغورها انتقاما من العرب لما قاموا به من العبث والفساد فى ملكه وخلع الطاعة حين عهد اليه بالملك وهو طفلا وسياتى تفصيل ذلك فى محله اما عبدالملك بن مروان فقد وجه قائده (: : :) كما نصت عليه التواريخ وكما سياتى فى الموضع المناسب، ولكن المشهور المتواتر عند اهل البحرين ويتناقله خلفهم عن سلفهم ان عبدالملك بنفسه غزى البحرين وردم عيونها واليك ما اورده حضرة العلامة الشيخ يوسف الاصم فى كتابه انيس الجليس «الكشكول» حكاية عن بعضهم قال قدس سره: انه لما هلك مروان بن الحكم وتولى الامر من بعده ابنه عبدالملك سار بنفسه الى الكوفة فى الوف كثيرة وقد الأ على نفسه الا يبقى بها احد من شيعة على (رضى) الا قتله فلما سمع بذلك ابراهيم بن مالك الاشتر وصعصعة بن صوحان العبدى وعمرو بن عامر الهمدانى المعلم وجماعة من خواص الشيعة هربوا من الملك الى جزيرة البحرين ملتجئين الى عاملها زيد بن صوحان العبدى اذ كان واليا عليها من قبل الحسن «رضى» ولم يتمكن بنو امية من عزله خوفا من اهل البحرين لانهم لم يرضخوا لاوامر بنى امية ابدا وكانوا اشجع العرب واقواهم جنانا وافصحهم لسانا واحبهم لامير المؤمنين «رضى» قلبا قال فبقى زيد بن صوحان حاكما فى البحرين الى زمان عبدالملك الى ان هرب عنده الجماعة المذكورين فتبعهم عبدالملك الى القطيف وارسل اليهم فى البحرين فدفع عنهم اهل البحرين وقتلوا جميع من ارسلهم عبدالملك فجاءه الخبر وهو فى القطيف بان اهل البحرين قد قتلوا جميع من وجههم لقتالهم فلما سمع بذلك حشد عليهم من الاعراب والبوادى مالا يعلم عددهم الا الله تعالى وانحدر على اهل البحرين بنفسه وجلس فى الطرف الغربى وكان مجيئهم من اول الدراز الى بنى جمرة حتى ملأت عساكره الاماكن والفلوات وقلعة البحرين يومئذ فى البلاد القديم عند المشهد وهى القلعة التى بناها الملك دقيانوس وهو الذى تجبر وهرب منه اصحاب الكهف والرقيم هو جبل فى الاحساء وكان زمان هذا الملك فى الفترة التى ما بين

٣٣ ـ تاريخ البحرين ـ ابن نبهان وملوك العرب للريحانى.

موسى بني عمران وعيسى بن مريم «رضى» وبقيت هذه القلعة الى زمان رسول الله ﷺ والى زمان بنى امية وكانت بيوت اهل البحرين يومئذ متصلة من خلف القطع الجنوبى الى بربوره والى كرزكان وكان الرجل من البحرين فى ذلك الزمان يعد لالف فارس قال ثم انه لما انحدر عبدالملك جعل زيد بن صوحان على القلعة من يحرسها وخرج مع اهل البحرين الى قتال عبدالملك وجعل ابراهيم بن مالك الاشتر وسند ومعها عسكر كثير فى وسط البلد وجعل سهلان بن على ومعه أهل الأطراف الشرقية وجعل أخاه صعصعة في أغلب عسكره في الطرف الجنوبي الأقصى وجلس الأمير زيد بن صوحان في كرزكان ومعه أهل الأطراف الغربية ثم وقعت الحرب بينهم و بين عبدالملك ووقعت مقاتلة عظيمة يطول شرحها فلما رأى عبدالملك الشجاعة من أهل البحرين وقوة بأسهم على الحروب استشار حاشيته وخاصة بطانته فأشاروا عليه ان يستميل أهل البحرين بالعطاء والرشوة فاستمال جهالهم وأشرارهم بالمال وأغرى بعضهم على بعض فقتل شرارهم خيارهم على الطمع وقتلوا ابراهيم بن مالك وسهلان و صعصعة واخوه الأمير زيد ابني صوحان والجماعة الذين خرجوا معهم من الكوفة والذين نصروهم من أهل البحرين، قال فلما ظفر عبدالملك بالبحرين وأهلها أحضر أهل الأطراف الذين نصروه والذين استأمنوا ودعاهم الى الخروج من موالاتهم لعلي وأبنائه فأبوا ان يخرجوا عن ولائهم وتعصبوا وامتنعوا عليه وقد أخذهم الندم على قتلهم خيارهم فلما نظر عبدالملك الى غضبهم واظهارهم العداوة خشي منهم وقال لهم طيبوا أنفسكم فاني أدعكم على ولائكم ولكم عندى ماأردتم ولكن اريد منكم أن تكونوا في جزيرتكم هذه ولا أحد منكم يحمل سيفاً ولا عصى ولا يشد وسطه لحرب أبداً ولا أحد ينقل منكم سلاحاً ولكم علي ان لا آخذ منكم شيئاً من خراج بلدكم ولا أتعرض لكم بعد سنتي هذه وهذا شرط بيني وبينكم وعلي في ذلك عهد الله وميثاقه، قال فحالفه أهل البحرين على ذلك فكتب الله عليهم الذلة فلم يشدوا أوساطهم بعد ذلك الى حرب ولم يحملوا سلاحاً الى يومنا هذا. ثم ان عبدالملك دفن عين السجور وكانت أقوى عين في البحرين ودفن عيوناً كثيرة منها لأن مراده أضعاف أهل البحرين وولى راجعاً عنها «يقول الشيخ يوسف بعد نقل ما تقدم» وحكاية الحكاية وإن كانت لا تخلوا من ركاكة في التعبير وخلل في التحبير مع اصلاح كثير منها حال النقل الا ان مضمونها موافق لما هو الموجود الان في تلك البلاد ومشهور بين الخلف و السلف من قبور أولئك الأمجاد فان قبور هؤلاء المشار اليهم كلها موجودة في البحرين وقد اتخذوها مزارات يتبركون بها وينذرون اليها ويقصدونها من كل جانب ومكان سيما قبر صعصعة واخوه زيد ابني صوحان واما عين السجور فموقعها في قريتنا من البحرين المعروفة بالدراز وهي في الطرف الغربي من البحرين بقرب الساحل والنظر فيما ظهر من آثار تلك العين وسعة دائرها الموجود الآن يدل على قوتها وغزارة مائها وكان عبدالملك قد أحكم رجمهابالحجارة الهائلة والصخور الثقيلة واخفاء أثرها بالكلية وبقيت كذلك الى زمن احد أكابر البحرين المسمى بالحاج يوسف بن ناصر وكان ذا حدس صائب وفكر ثاقب في استخراج المياه من الأرض وقد استخرج عيوناً كثيرة مبتكرة فعمد من جهة الغرب الى اخراج مائها وضرب خيامه عندها ووضع العملة فيها وأخرج أحجاراً وصخوراً على ما ذكرنا لنا يعجز المائة الرجل عن سحب واحدة منها وقد نحتها عبدالملك من جزيرة بقرب البحرين تسمى قدا «جدا» وبقى العمل فيها الى ان قرب خروج اول مائها جاء رجل من الفعلة الى الحاج يوسف المذكور وقال اني رأيت في المنام ان هذه العين في صورة امرأة وهي تريد ثوراً

سميناً فاسر الحاج يوسف في نفسه انه هو ذلك الثور السمين واخذته الواهمة فمرض وثقل حاله في ذلك المرض حتى مات وبقيت العين معطلة على ما هي عليه وينقل ان ذلك الرجل انما قال له مداعبة يريد منه ان يطعمهم لحماً وطبيخاً ولم يكن رأي رؤيا كما قال والى الآن بعض تلك الأحجار موجودة حول العين وبعضها قد سحبها الناس ووضعوه في اساسات البيوت انتهى: يقول «مؤلفه» اما قوله ان بعض القبور المذكورة موجودة فالأمر كما يقول بوجودها هي موجودة الى الآن ولكن التاريخ يحدثنا بمصرع زيد بن صوحان في واقعة الجمل وبمصرع ابراهيم بن مالك الاشتر في الكوفة مع مصعب بن الزبير ولم يذكر لنا التاريخ مجيء عبدالملك بنفسه الى البحرين، نعم وجه قائداً له مع الجند اليها كما سيأتي بيان ذلك في محله المناسب أما كون صعصعه قضى في البحرين وقبره بها فليس فى ذلك شك والحاصل ان الحكاية تكاد تكون ضعيفة بما داخلها من المتناقضات ويوجد في البحرين قبر يزار وينسب للأمير زيد و لوجود هذه الاشكالات حول هذه الحكاية آثرنا نقلها هنا بما يلزم من التحفظ حذراً من تشويش للقسم التاريخي بالمستضعفات: وغربيها جنوباً بلدة «البديع» بصيغة التصغير وهي بلدة كبيرة واقعة على الساحل الغربي وهي طيبة الهواء جيدة المناخ وهي سكنى الدواسر وأهلها يحترفون بتجارة اللؤلؤ والغوص وصيد السمك وهي كبيرة آهلة بالسكان شامخة البنيان الا انها أخيراً ضعفت.

: وشرقيها قرية «بني جمرة» وبها قليل وبها قليل من النخيل وهي جيدة المناخ وظاهر اسمها يدل على ان أهلها في قديم الزمان كانوا احدى جمرات العرب فغلب عليها لقبهم وهي جيدة البناء وبها معامل نسج قلوع السفن «الشرع» والعبي: وشرقيها: قرية «المرخ» وهي كسابقتها طيبة الهواء جيدة المناخ والبناء وبها قليل من النخيل وحرفة أهلها نسج قلوع السفن والعبي: وشرقيها شمالاً قرية «مقابة» وهي ذات بساتين باسقة ومياه دافقة وأهلها فلاحون ونسب اليها بعض العلماء سنترجمهم في الجزء الأدبي انشاء الله تعالى: و جنوبيها قرية «سار» وهي قرية قديمة قامت على أنقاضها القرية الحالية وهي ذات بساتين باسقة ومياه غزيرة وأهلها فلاحون وشرقيها آثار قديمة ممتدة الى سلماباد ومقطع توبلي: وجنوبي بني جمرة «القرية» بصيغة التصغير وهي قرية من الساحل الغربي وهي ذات نخيل باسقة وأهلها فلاحون وملاحون ونساجون لأشرعة السفن والعبي: وجنوبيها قرية «الجنبية» وهي تبعد قليلاً عن الساحل وهي أيضاً ذات نخيل باسقة وأهلها فلاحون و ملاحون ونساجون لأشرعة السفن والعبي: وجنوبيها الى الغرب قرية «الجسرة» وهي على الساحل الغربي وبها قليل من النخل وأهلها ملاحون وغواصون وشرقي هذه الثلاث القرى الأخيرة تمتد آثار قديمة الى مسافة بعيدة: وشرقي جنوب هذه الآثار قرية «الخويص» بصيغة التصغير وهي ذات بساتين كثيرة ومياه غزيرة وأهلها فلاحون: وشرقيها قرية «عالي» وهي بلدة قديمة كبيرة ذات بساتين غناء ومياه غزيرة لهيبة الهواء جيدة البناء وبها مصانع الفخار والكلس وهي من المدن القديمة التي استوطنها الفينيقيون قبل أن يهاجروا الى فينيقية وبها آثار قبورهم التي ملأت رحاب صحرائها الى ما لا يدرك الطرف آخره ويرجع عهدها الى ما قبل خمسة آلاف عام[٣٤] وسيأتي شرح ذلك في محله انشاء الله تعالى: وجنوبي الخويص قرية «بوري» وهي ذات بساتين باسقة ومياه غزيرة دافقة وأهلها فلاحون وجنوبيها آثار قديمة: وغربيها قريو «مغزال» وهي قرية صغيرة ليس بها نخل: وجنوبيها غرباً «الهملة» قرية من الساحل الغربي وهي ذات بساتين باسقة

٣٤ ـ قال أديب الفريكه: وصلنا الى قرية عالي فانكشف امامنا مشهد غريب عجيب خصوصا وهو في جزيرة صغيرة مجهولة كالبحرين، تلال او اطلال تظنها لاول وهلة آثار مدينة قديمة ولكنها آكام هرمية اصطناعية قائمة في سهل فسيح بل في قصر سبسب بين المنامة والرفاع يدعى المراقيب هي مدافن البحرين وقد نبت فيها العوسج والقيصوم هي مدينة الاموات في كنف الزمان، وفيها احياء كالمدينة متفرقة متعددة، وفي كل حي مئات من القبور، مدينة دارسة لا يعرف لها تاريخ، كأن سكانها خلقوا وماتوا قبل ان يكتشف الانسان القراءة .. وللكتابة مسارا. صعدنا الى رأس أكمة علوها زهاء خمسين قدما ثم نزلنا الى جهة منها فيها اثر البناء ـ باب كبير وعضادة ونصف عضادة وعتبة تحت الاقدام، دخلنا فاذا نحن في بيت فيه غرفتان بنيتا بالحجارة الضخمة الراحلة فوق الاخرى، ويظهر ان الاموات كانوا يدفنون في هذه الغرف واقفين او جالسين او ان هذه القبور العالية كانت لامراء الجزيرة واعيانها، وهي تختلف علوا ولكنها لا تنقص عن الثلاثين ولا تزيد على الخمسين قدما ولكن شكل الغرف والمعابر فيها واحد لا يتغير وكلها في جوار قرية عالي.

ومياه جارية وأهلها فلاحون وملاحون: وجنوبيها شرقاً قرية «دمستان» وهي فارسية الاسم ومعناه ذيل البلاد وهي ذات بساتين باسقة ومياه جارية وأهلها فلاحون وغواصون وخرج منها العالم الاوحد ذا النظام الفائق والنثر الرائق الشيخ حسن الدمستاني المتوفى سنة : : : وستأتي ترجمته في الجزء الادبي وهذه القرية قديمة وقريبة من الساحل الغربي: وجنوبيها على الساحل المذكور قرية «كرزكان» وهي فارسية الاسم ومعناه : : : وهي ذات بساتين ناضرة كثيرة ومياه صافية غزيرة وقد مرت اشارة ابن مغرب اليها بقوله وأمضى شيء للقلوب قطايع بالمروزان لهم وكرزكان واهلها فلاحون وغواصون: وجنوبيها على الساحل المذكور قرية «المالكية» بجيم فارسية . جاء في معجم ياقوت «المالكية» من مياه عمرو بن كلاب , وربما كان لتسميتها بهذا الاسم علاقة لما يقال من ان ابراهيم بن مالك الاشتر جاء الى البحرين مع النفر الانفي الذكر في الحكاية المتقدمة في قرية الدراز ويكون موضع نزول ابراهيم بن مالك بالمالكية فعرفت به والله اعلم، وقريبها قبر ينسب للامير زيد ويريدون به زيد بن صوحان العبدي له مزار مبني ملاصق لمسجد كبير يزورونه ويتبركون به وينذرون اليه وهي قرية قديمة وذات بساتين كثيرة ومياه غزيرة واهلها فلاحون وغواصون: وجنوبيها على الساحل المذكور قرية «صدد» وهي قرية قديمة ذات بساتين ناضرة ومياه جارية واهلها فلاحون وملاحون وشرقيها جنوبا آثار قديمة ويقال انها اثار «مدينة رفين» وهي خراب ليس بها عمران ولاسكان ولم يبق منها غير آثار الرسوم الدوارس وقليل من يعرف اسمها من اهل البلاد. ذكرها البستاني في دائرة المعارف في مادة بحرين: وجنوبها قرية «شهركان» وهي فارسية الاسم ولعله محرف عن «شاه رايكان» بكاف فارسية ومعناه عطية الملك وهي ذات بساتين باسقه ومياه دافقة واهلها فلاحون: وجنوبها شرقا قرية «دار كليب» واسمها يدل على انها كانت في الجاهلية مصيفا لكليب الفارس المشهور وهي قديمة ذات بساتين ناضرة وعيون كثيرة مياهها صافية غزيرة وشرقها آثارا متصلة الى شهركان ولعلها تابعة لمدينة رفين السالفة الذكر واهلها فلاحون ونساجون لاشرعة السفن: وجنوبيها بمسافة كبيرة غربا على الساحل الغربي قرية «الزلاق» وهي مجاورة للساحل وليس بها نخل واهلها ملاحون وغواصون: وجنوبيها بمسافة كبيرة قرية «عدايم» وهي قرية صغيرة مجاورة للساحل واهلها صيادوا سمك: وجنوبيها شرقا «مملحة الممطلة» وهي ممتدة الى الجنوب في مساحة كبيرة مستطيلة وجنوبيها آثار قديمة ممتدة على الساحل الغربي الى الجنوب الى ما لا يدرك الطرف آخره وبعدها صحراء كبيرة الى رأس البر الجنوبي «تتمة في جبل الدخان» وهو جبل عظيم مستطيل واقع في قلب الجزيرة وفي الثلث الاعلى منه غار عجيب منحوت كانه داران الواحدة في جوف الاخرى متسع جدا عرضه نحو ثماني اذرع وطوله نحو خمسة وعشرون ذراعاً وارتفاع سقفه نحو ثماني اذرع وسقف الدار الاولى منحوت قبه ونصف مطوقة وبابها مقابل جهة الشمال وفي وسطها جهة الغرب باب في عرض ذراعين: وارتفاع قامة يفضى الى الدار الثانية وسقفها قبتان مطوقتان متلاصقتان وفي اعلا الجبل من جهة الغرب برج قديم متهدم ولم يبق منه سوى اساسه المحكم البناء واعلى موضع في الجبل يبلغ اربعمائة واربعون قدماً: «الرفاع الغربي» اسسها الشيخ علي بن خليفة حاكم البحرين سابقاً وهي واقعة في سفح الجبل الشمالي وبها بئر يسمى «أم غويفه» حفره والد المذكور خليفة بن سلمان وعمقه الى سطح البحر «٢٠٠» قدم واوقف عليه نخلاً لتعميره وهو عذب جداً: وغربيها «رفاع الشيخ محمد» اسسه الشيخ احمد بن محمد بن خليفة اول حاكم على البحرين من آل خليفة ثم نزله حفيده الشيخ خليفة بن سلمان

وبنى به مسجد كانت تقام فيه الجمعة وهو باق الى الآن، ثم نزله الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين سابقاً ثم نزله الشيخ محمد بن الشيخ عيسى وجدد بعض بناياته وسكنه: «الرفاع الشرقي» وهو شرقي الغربي المتقدم في سفح الجبل شمالاً وبه سكني الامراء السابقين من آل خليفة وبه القلعة التى بناها الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة على اساس من قلعة قرير بن رحال وزير الشيخ الجبرى الآتي ذكره وشرب اهله من الآبار وهي اربعة ثلاثة منها من جهة الجنوب في الروضة وهي من حفر الاقدمين والرابع جهة الشمال ويسمى الحنينية المشهور بالعذوبة حفره الشيخ سلمان بن احمد المذكور وعمقه الى سطح البحر «١١٠» اقدام واوقف عليه نخلا لتعميره وشرقي الزلاق على سفح الجبل «الصخير» اسسه الشيخ محمد بن خليفة ثم في سنة ١٣١٨ نزله الحاكم الشيخ حمد بن عيسى ال خليفة وبنى به قصورا جميلة ومجالس واسعة لاقراء الضيفان ومسجداً للصلاة ورتب له اماماً من علماء البلدة وهذه البلدة واقعة على ربوة نقية بين جبال متسعة تجتمع فيها الامطار والسيول فتنبت بها الاعشاب البرية وهي حمي للشيخ حمد ترعاها ابله وخيله وانعامه وفيه ثلاث عيون للشرب إحداهن تسمى «ام حصاة» وماؤها اعذب مياه البحرين والطفه ثم تليها في الحلاوة عين «ام الموميان» والثالثة تسمى «الجنوبية» وفي تلك الرياض ميدان للسباق على الخيل والتمرين على الكر والفرو الاقدام وبالجملة فان الصخير وما والاها لطيف الهواء عذب الماء نقي التربة معشب الرياض. وجنوبي غار الجبل السالف الذكر بمسافة كبيرة عين الغار «الزفت» ومدن «النفط» الذى باشرت الشركة التمهيدات لاستخراجه ببناء الاكواخ للعمال وتعبيد الطرق لسير السيارات ونقل الآلات والادوات وذلك في اواخر شهر محرم سنة ١٣٥٠ وعثر قريبا من النفط على معدن «كبريت» وشمالي غربي الرفاع الصحراء الممتدة وتعرف «بالمراقيب» وفيها آثار تلول كثيرة او مقبرة دارسة كأنها قري متفرقة وكل قرية منها تحتوى على نحو ثلاثمائة قبر دارس ومجموع هذه القبور يزيد على ستة الاف قبر وهي قديمة جدا لا يعرف تحديد زمنها وقد بنت فوق هذه الارض من طول ما لبثت شجر العوسج والشيح والقيصوم والجثجات والجعد وغير ذلك من النباتات.

ومن المدن القديمة التى ذكرت في البحرين ولم نقف على مواضعها «ددان» ذكرها صاحب التاريخ القديم بقوله. نزل «ددان» بن كوش بن حام بن نوح في البحرين فانهم وجدوا مدينة بهذا الاسم في بعض جزائر البحرين: وجاء في معجم ياقوت مانصه «دد» واد بعينه جاء في شعر طرفه بن العبد العبدى وهو قوله

كأن حدوج المالكية غدوة　　　خلايا سفين بالنواصف من دد

ويجوز هنا ان طرفة قد ذكرها بالترخيم اى اختزلها كما يصنع الشعراء في كثير من الاسماء وغيرها كقولهم في الحارث حار وطرفه هو من اهل البحرين كما يستدل عليه من نسبته وشعره في ذكر اوال وجاء فيه ايضا «ددن» وهو اقرب من سابقه موضع في قول ابن مقبل

يثنين أعناق ادم يختلين بها　　　حَبَّ الاراك وحَبَّ الضال من ددن

وهذا الشاعر ايضا من البحرين وستاتى ترجمتيهما في الجزء الادبي انشاء الله تعالى: ومن المدن القديمة «شبا» هي من منازل بنى ددان السالفي الذكر كما حققه المستشرقون وسياتى نص كلامهم عليها وعلى السابقة في القسم التاريخي باوفي بيان وذكرها يا قوت في معجمه فقال «شبا» مدينة خربة باوال البحرين«ناربرد»«٣٥»

٣٥ - موضع بالبحرين بجزيرة اوال وهو من حمى الامير الفضل بن عبدالله بن على العيوني الذى ملك الاحساء والقطيف والبحرين اربعة عشر عاما منها سبعة اعوام اقامها في جزيرة اوال و «ناربرد» هي موضع بجزيرة اوال وهي حمى الامير المذكور التى عناها ابن مقرب بقوله:

متى يلتقى من نار برد محله/ واخر سودى بعيد ملعبه / ولهذا الموضع حكاية مع الامير الفضل ستاتى على ذكرها في محله المناسب ان شاء الله.

الفصل الثاني
في جزيرة المحرق وهي تعد الثانية

المحرق ثانية جزر البحرين وتقع شرقي المنامة بينهما مسافة نصف ساعة في السفن والعمل جار لربطها مع المنامة بجسر يصل بينهما وشرع في ايصال التيار الكهربائي لتنويرها سنة ١٣٥٠ وبها مشتى الحكام آل خليفة واختلف في وجه تسميتها بهذا الاسم، قيل سميت باسم صنم فيها يسمى محرق كما ذكره ياقوت في كتابه مراصد الاطلاع، حيث قال «المحرق» صنم كان بسلمان لبكر بن وائل وسائر ربيعه: واما قول الفاضل خليفة بن نبهان في ان سبب تسميتها بالمحرق هو ان المجوس كانوا يحرقون امواتهم في ناحية منها لما كانوا مالكيها قبل الاسلام فهذا اشتباه منه لان المجوس ليس في دينهم عادة حرق موتاهم. ولكن ربما يكون قد اتفق ان امرؤ القيس المحرق بن عمر اللخمي والى الحيرة نزلها مدة اذ كانت تحت حكمه وهو واباؤه عمالاً للاكاسرة الفرس على ملكهم في جزيرة العرب ومن ضمنها البحرين وكان من عادة هذا المعروفة عنه آن يعاقب بالنار حرقاً وهو على عهد ابهرام الثالث وولى من سنة ٣٨٢م الى سنة ٤٠٣م ولا يخرج هذا عن حد الظن والاولى اصح: وهي اجود مناخاً وهواء من المنامة وشرب اهلها من ينابيع في البحر تقدم الكلام عليها وفي سنة: : : حفر فيها على نفقة الاهالي جملة آبارا ارتوازية عذبة واغلب اهليها من السنة المالكي فالشافعي فالحنبلي وقليل من الاحناف وبعض قرى اهلها شيعة جعفرية وهي عظيمة التجارة واهلها غالبهم اصحاب ثروة وعقار وتجارة كبيرهم واغنى اغنياء البحرين فيها هو سلمان بن حسين بن مطر الذي تقدر ثروته بما لا يقل عن . . . . روبية وفيها من المدن والقرى ما ياتي شرحه.

«مدينة المحرق» وهي العاصمة على الساحل الغربي واسواقها كبيرة وتجارتها واسعة واكثر اهلها تجار كبار في جميع انواع التجارة كاللؤلؤ والخشب والتتن والدهن وغير ذلك واهلها اما تاجر في اللؤلؤ وفي صيده او في التجارات الاخرى او ملاح وليس فيهم فلاح او مزارع الا الشاذ النادر وهؤلاء من الشيعة ويقدر اهلها باربعين الف نفس وتكبر المنامة في ازدحام السكان وتراص الأبنية وجلهم من السنة وقليل من الشيعة وهم المعروفون بالحياك «الحاكة» وهؤلاء يحترفون بتجارة اللؤلؤ وبعضهم بالصياغة والبناء وبها القصور الجميلة الشاهقة وفي شماليها مدرسة « الهداية الخليفية المؤسسة سنة: : : وبها الجمرك وهو تابع لجمرك المنامة و احدث فيها شارع واسع على ساحلها سنة: : : واسست بها البلدية سنة: : : وهي في تقدم مستمر: وجنوبيها «حالة ابو ماهر» وكانت جزيرة صغيرة تفصلها عن المحرق مخاضة دفنت اخيراً واتصلت بالمحرق واشتبكت معها بالبنايات حتى تكون منهما مدينة واحدة وبها قلعة «ابو ماهر» نسبة الى ينبوع الماء الذى في وسط البحر ويستقى منه اهل القرية ويسمى «كوكب ابو ماهر» يعلوه البحر في المد بنحو ستة اذرع وشرب اهل الحالة والمحرق منه بل وجميع السفن ترده ويقال ان القلعة المذكورة هي من ابنية امام مسقط الذى استولى على البحرين كما سياتى بيانه في محله وقد بنى فيها سنة ١٣٤٩ المحجر الصحي ومحطة للطيارات وقصراً لرئيس الخليج لم يتم بناؤه بعد واهلها تجار وغواصون وبحارون: وشمالى المحرق بمسافة نصف ساعة قرية «البسيتين» بصيغة التصغير وهي على الساحل الغربي المذكور واهلها بحارة وغواصون وشربهم من ينبوع في البحر يسمى «الساجة» وهو جهة الشمال الغربي منها. وشرقيها شمالاً بمسافة ثلثي الساعة للراجل قرية «الدير» وهي على

الساحل الشمالي ومما يظهر من اسمها انها كانت قديمة وان اهلها السابقين نصارى ولهم فيها دير العبادة فغلب عليها فعرفت به وهي ذات نخيل باسقة ومياه جارية و اهلها يحترفون الفلاحة والغوص وصيد السمك: وشرقيها قرية «الجنمه» وهي قريبه من الساحل المذكور وبها النخيل الباسقة والمياه الصافية الدافقة واهلها يحترفون الفلاحة والغوص وصيد السمك: وشرقيها قرية «رية» اسم العين التى فيها وهي على طرف الساحل الشمالي شرقا وهي ذات بساتين غناء ورياض فيحاء ومياه غزيرة وقد إتسع عمرنها اخيراً وقد بنى فيها الشيخ عيسى بن علي سنة ١٢٣٠ قصراً فخماً قريباً من البستان الشهير المعروف ببستان «رية» مطلاً على البحر وهو دائما يتردد عليه صيفا وشتاء ويعد من متنزهات البحرين وبني فيها ايضا فيها المثرى الكبير سلمان بن مطر القصور الشاخة الفخمة فكثر عمرانها وزاد سكانها واكثر اهلها يحترفون الفلاحة والغوص وصيد الحوت : وجنوبيها قرية «سماهيج» قريبة من الساحل الشرقي وكانت احدى المدن الكبار في قديم الزمان وهي فارسية الاسم محرف عن «سه ما هي» اى ثلاث سمكات. وقال الاصمعي «سماهيج» جزيرة في البحر تدعى بالفارسية س ما هي فعربتها العرب وانشد:

يا دار سلمى بين دارات العوج جرت عليها كل ريح سيهوج
هو جاء ما جت من جبال يا جوج من عن يمين الخط او سماهيج

: وفي معجم ياقوت عن الاصمعي ايضا قال: ماء سمهج سهل لين وانشد:
فَوَّرتَ عذبا نقاهاسمهجا :
وسماهيج قرية على جانب البحرين قال فيها ابو داوود
واذا ادبرت تقول قصور من سماهيج فوقها اكام :
وقال كثير يصف نخلاً كثيرا
كدهم الركاب باثقالها غدت من سماهيج او من جوثا: وممن نسب اليها من العلماء الاجلاء الشيخ عبدالله السماهيجي صاحب التصانيف المفيدة المتوفي سنة ١١٣٥ وستاتي ترجمته في محلها. وهي ذات بساتين باسقة ومياه جارية واهلها فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وقريبا منها قرية «الحلة» وهي قرية صغيرة ذات نخيل باسقة ومياه جارية واهلها فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وشرقيها جنوباً قرية «قلالي» وهي على مسافة نصف ساعة للراجل على الساحل الشرقي وشرب اهلها من ينبوع في البحر يسمى «جرذى» واهلها غواصون وصيادوا سمك: وجنوبيها على مسافة ساعة للراجل «الحد» وهي مدينة كبيرة واقعة على لسان ممتد في البحر جنوباً والبحر حائط بها من ثلاث جهات وهى كثيرة السكان شاخة البنيان اهلها اكثرهم اصحاب ثروة وجاه وبها سكنى قبيلة السادة وبعض من آل ابن علي وشرب اهلها من بئر في البر يسمى عين «الزمة» ويشربون ايضا من ينبوع في البحر يسمى «ام السوالى» وحرفة اهلها التجارة في اللؤلؤ والغوص وصيد الحوت وبها مدرسة اسست سنة: : :
«عراد» وهي شبه جزيرة بارزة في البحر، حائط بها من ثلاث جهات، واقعة غربي الحد بينهما البحر وشرقي المحرق بينهما البحر ايضا وهي ذات بساتين باسقة وعيون كثيرة ذات مياه صافية فيه غزيرة، وبها القلعة التى بناها السيد سعيد بن احمد لما كان متوليا عليها من قبل اخيه سلطان مسقط السيد سلطان بن احمد سنة ١٢١٥ كما سياتى ذكر ذلك في غير هذا الموضع وهي تسمى «قلعة عراد» وعراد هذه كانت في العصور القديمة مدينة

عظيمة سكنها الفينقيون قبل ان يذهبوا الى فينقية بقرون كما ذكر ذلك المستشرقون في الكتب التاريخية كالتاريخ القديم والدرس التام وما كتبه المنقبون عن الآثار وسياتى بيان ذلك في محله من هذا الكتاب انشاء الله تعالى وتعرف عند الفينقيين باسم «ارادوس» واكثر اهلها يحترفون الفلاحة والغوص وصيد الحوت: وجنوبها «حالة النعيم» وهي قرية صغيرة ممتدة على راس في البحر واهلها غواصون وصيادوا سمك: وشربهم من عيون عراد وجنوبيها حالة «الخليفات» بصيغة التصغير وهي جزيرة صغيرة منفردة في البحر واهلها غواصون وصيادوا سمك وشربهم من عيون عراد وشرقيها حالة «السلطة» وهي جزيرة صغيرة كالسابقة الا انها تكبرها قليلا وحرفة اهلها الغوص وصيد السمك وشربهم من عيون عراد: جنوبي الحد «ام الشجر» وهي ايضا جزيرة صغيرة منفردة في البحر واهلها غواصون وصيادوا سمك: وجنوبيها بمسافة «ام شجيره» بصفة التصغير وهي ايضا جزيرة كالسابقة واهلها غواصون وصيادوا سمك وشرب اهل هاتين الجزيرتين من ينبوع «ام السوالي» السالف الذكر: هذا ما اشتملت عليها جزيرة المحرق وتوابعها من المدن والقرى والجزر وعلى الجميع جمرك المحرق التابع لجمرك المنامة بالأجمال فان المحرق ومشتملاتها آخذة بالنمو والعمران بخطى واسعة يوماً فيوماً.

الفصل الثالث

في جزيرة سترة وهي الجزيرة الثالثة ومحتوياتها

جزيرة «سترة» وهي شرقي جنوب ساحل توبلى السالفة الذكر راسها الشمالى شبه مستدير ينتهي الى الجنوب براس مستطيل شبه مخروط وطولها نحو ثلاثة اميال واعرض محل فيها نحو ميل واحد وهي على مسافة ثلاثة ارباع الساعة من الرفاع جهة الشرق وتفصلها عن جزيرة أوال في حالة الجزر مخاضة وكانت مقيظ الشيخ خالد بن علي آل خليفة وهي ذات بساتين ناضرة وعيون كثيرة مياهها صافية غزيرة واليك ما قاله فيها السيد عبدالجليل من ضمن ارجوزته المتقدم ذكرها: حتى قدمنا باعتجال سترة/ والله مسبل علينا ستره/ ترى بها النخيل باسقات / من كل نوع لذ للجنات/ فيها ينابيع المياه قد جرت/ في برها وبحرها تفجرت : وقد انتابها جملة من الوقايع فمن ذلك ما شار اليه ان مقرب في قوله ويوم ستره. . . .

الى غير ذلك مما سيأتى تفصيله في محله انشاء الله تعالى، ونسب اليها بعض العلماء سناتى على تراجمهم في الجزء الادبي انشاء الله تعالى: واليك ما اشتملت عليه من القرى «القرية» بصيغة التصغير وهي على الساحل الشمالي ذات بساتين من النخيل الباسقة والمياه الصافية الدافقة وبها العين العظيمة «عين الرحى» ومن قوة دفعها تصب في البحر منحدره كالرعد واهلها كلهم يحترفون الفلاحة والنوص وصيد الحوت: وشرقيها على الساحل الشرقي قرية «الحالة» وهى ذات بساتين كثيرة مياه جارية غزيرة واهلها يحترفون الفلاحة والغوص وصيد السمك: وجنوبيها على الساحل المذكور قرية «مهزة» وهي مجاورة للساحل ذات نخيل باسقات وانهار جاريات كثيرة النخيل غزيرة المياه وفيها العين العظيمة «عين مهزة» التى تقذف ماءها في البحر واهلها فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وجنوبيها على الساحل المذكور قرية «سفالة» مجاورة الساحل ذات بساتين باسقة ومياه صافية دافقة واهلها هم فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وغربيها قرية

«مركوبان» وهي واقعة في الداخلية ذات نخيل باسقة ومياه جارية واهلها هم ايضا فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وغربيها جنوباً قرية «واديان» وهي ايضا في الداخلية وبها بساتين النخيل باسقة والمياه الغزيرة الدافقة واهلها هم ايضا فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وغربيها شمالا قرية «الخارجية» وهي ايضا في الداخلية بقرب من الساحل الغربي ذات نخيل باسقة ومياه دافقة واهلها هم ايضا فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وغربيها شمالا «قلعة الشيخ خالد» وهي مجاورة للساحل الغربي: وجنوبي[٣٦] واديان المتقدم ذكرها صحراء خالية تنتهي بلسان ممتد في البحر جنوباً في قرية «حالة ام البيض» واهلها بحارون صيادوا سمك وغواصون وليس بها نخل وبالاجمال فجزيرة سترة كثيرة البساتين غزيرة المياه الجارية وحولها مصائد الحوت الشهيرة بوفرة صيدها نخص بالذكر الحضرة المسماة بحضرة «مغيرطة» بصيغة التصغير وهي كثيرة الصيد وغالب صيدها الروبيان الذى يفضل في قوته ولذته اللحوم وبعض الاوقات بعظم صيدها منه حتى لا يفي مدة الجزر لا ستيعاب نقله منها فيدركهم المد ويضطرون لترك اكثره على الخصوص اذا هب ريح الشمال فانه يكثر صيدها ومبلغ ضمانها السنوي ثلاثة آلاف روبيه عدا ما يربحه الضامن «المقنطر» والقيم على مباراتها اي حراستها واخراج صيدها وهذا يستحق نصف الصيد تقريباً وقد يبلغ قيمة صيده واحدة منها نحو سبعة آلاف روبية عدا باقي صيدها طول السنة.

الفصل الرابع

في محتويات الجزيرة الرابعة وهي جزيرة النبي صالح

جزيرة النبي صالح وهي رابعة جزر البحرين وهي واقعة في خليج توبلي شرقي توبلي وجنوبي ام الحصم وغربي شمال جزيرة سترة وهي كثيرة المياه تكاد تكون رقعة الجزيرة كلها حديقة واحدة وارضها كالبساط السندسي لوفرة مائها واكتساء تربتها بالعشب وبها اثر قديم يتكون سقفه من قبة كانها نقرة من الصخر ويعرف بمبرك ناقة النبي صالح كما تعرف نفس الجزيرة بجزيرة النبي صالح ويقصدها عموم اهالي البحرين بالنذورات ويتبركون بهذه الآثار لنسبتها لنبي الله تعالى فالله اعلم بحقيقة الامر وربما ان هذه النسبة محرفه عن النبيه صالح إذ أن النبى صالح موطنه وقومه كما تذكره التواريخ بالاحقاف اذ انها ليست في هذه الجهات والجزيرة هي كاحسن منتزه جميل: اما قراها فهي قرية «كافلان» وهي تشغل مع بساتينها ثلاثة ارباع الجزيرة جهة الشمال وبها عين عظيمة تسمى «عين السفاحيه» تسقى معظم بساتين الجزيرة وتصب في البحر منحدرة كالسيل الهائج وبها عين اخرى تسمى «الخضرا» وبها اثر ناقة النبي صالح السالف الذكر وفيها اوقاف مخصصة لاستقبال قاصديها ونقلهم في سفينة من ضمن الوقف وغير ذلك ما يلزم لهم من اوانى وقدور ووقيد ووسائل راحتهم، وبساتينها جميلة ومياهها كثيرة واهلها كلهم فلاحون وغواصون وصيادوا سمك وجنوبيها «القرية» وهي في الطرف الجنوبي على الساحل الغربي وهي ذات بساتين باسقة ومياه دافقة وأهلها فلاحون وغواصون وصيادوا سمك: وشمالي الجزيرة جزيرة صغيرة منفردة في البحر تسمى «الجزيرة» بصيغة التصغير ولا يتعدى نزلها عائلتين وبها دولاب «بستان يسقى بالدلاء» وقد جاء ذكر جزيرة النبي

[٣٦] ـ شمالى قرية «الحمرية» على الساحل الغربي وهى اكواخ كثيرة والاغلب انها مصيف حاشية الشيخ خالد وبعض اتباعهم وكلهم من السنة وبعضهم يتاجر في اللؤلؤ وغالبهم غواصون وصيادون سمك.

صالح في مراصد الاطلاع لياقوت وفي معجمه ايضا تحت مادة «لافت» جزيرة في بحر عمان بينها وبين هجر وهي جزيرة ابن كاوان ايضا وفيها قري وعيون: وذكر ابن حجر في الاصابة في ترجمة صعصعه بن صوحان العبدي انه جرى بينه وبين معاوية كلام في الكوفة بعد صلح الحسن بن علي فالزمه بمغادرة العراق فخرج ونزل في جزيرة لافت وقيل جزيرة ابن كاوان من جزيرة البحرين او الخليج ومات بها: وقد مر عليك ان المذكور مات في البحرين وقبره قريباً من قرية عسكر في موضع يسمى «راس حيان» وبالاختصاران جزيرة ابن كاوان او لافت هي قرية كافلان التى في جزيرة النبى صالح السالفة الذكر وقد عرض لها التحريف وتعددت عليها الاسماء وربما كان منزل صعصعه كان بها وحيث انه مات قتيلاً في احدى الوقائع فقد دفن حيث قتل كما تقدم فيما اسلفنا.

الفصل الخامس

في خامسة جزر البحرين «جزيرة ام نعسان»

وهي ثانية جزر البحرين او الثالثة بالنسبة لمساحتها وهي واقعة غربي جنوبي البديع مربعة الشكل تقريباً بزوايا حادة ولا نعرف عن تاريخها القديم شيئاً وفي التاريخ الحديث لم يكن بها سكان ولا عمران فهي مهجورة وربما كان ذلك لقلة مياهها ونختصر وصفها بما نظمه السيد عبدالجليل فيها ضمن ارجوزته السابقة حيث قال سنة ١٢٤١ وام نعسان نحوها عبرنا/ ومذرأينا وضعها اعتبرنا/ شاطؤها غربا به وسى جبل/ بطوله يقطر ماء للنهل يجري الى البحر وينبت القصب/ بينهما وذاك من اوفي العجب/ فالموج يرقي لا يميت الوجه/ وكل صنع الله جل حكمه/ في الكهف حوض فيه صب الباردا/ منه أرتواء من يمر واردا/ وان في اثنائها او في جبل/ دكدك بعضه وباقيه قلل/ وفيه كم مغارة مضلة ليست على الداخل بالمظلة/ وبعض ما يشبه نحت العمل/ وموضع الباب مع القفل حلى/ حوض مربع اتى في ذروته/ مجرى السيول قاصد لو جهته/ وبعض عشب مزهر في وسقه/ تستنسق الطيب تشم نفحه/ فيها مراعي شملت اكنافها/ تغنى ولو تبلغن اطرافها. . . الى أن قال/ وقد راي الصحب بها كم حية/ ميتة فيه كم من حية/ لما تركناها الى المسير/ الى جزائربها الطيور/ ما بين واقع بها اوطائر/ قاطنة بهاتك الجزائر:

وهي وان لم يكن بها عمران فلا تخلو من بعض الرعاة، ومن مدة قليلة امتدت لها يد الشيخ حمد بالاصلاح حيث انزل بها بعض الفلاحين عمالا لفلاحة المزارع التى انشئت بها لما تم فيها حفر اول بئر ارتوازية ولا يبعد ان تكون بعد سنوات قلائل متنزهاً يقصد للنزهة والترويح ويعمها العمران.

ويوجد تبع البحرين بعض الجزر الصغيرة الغير اهلة بالسكان منها جزيرة «ام الصبان» وهي جزيرة مستطيلة من الشمال الى الجنوب ضيقة المساحة وهي جنوبي غربي البديع: وغربيها جنوبا جزيرة «جدا» وهي ذات جبل شاهق وربما كانت تسكن في بعض الاحيان وفيها بعض النخيل وعين غير جارية وسهلها صغير لا يحتمل نزلا كثيراً: وغربي كرزكان جزيرة «يعصوف» وهي جزيرة صغيرة جدا وليس بها سكان وفيها قبر ينسب الى ابراهيم بن مالك وتعزى اليه كرامات كثيرة ويقصدها كثير من الزوار بالنذور وغيرها: وشرقي عسكر جزيرة «مشايخ» وهي جزيرة صغيرة جدا.

«جزيرة حوار»

جزيرة حوار واقعة جنوبي البحرين بينها وبين شبه جزيرة قطر «٣٧» وهي مهمة ليس فيها احد من السكان الا من كان ينتابها من صيادي السمك فيتخذوا تلك قاعدة لعملهم وليس بها عيون ولا آبار وكما يوجد بها بعض كوخ خربة لمأوى الصيادين وبعض البرك المبنية لحفظ ماء المطر.

٣٧ ـ ذكرها ياقوت في معجمه بقوله وحوار ناحية من نواحي هجر. ويقال لها حوارين ايضا بلدة بالبحرين افتتحها زياد فكان يقال له زياد حوارين وهو زياد بن عمرو بن المنذر بن عصر واخوه خلاس ابن عمرو وكان فقيهاً من اصحاب علي «رض» قاله السمعاني وقال الحفصي حوارين بلفظ التثنية وكسر اوله والجبار قريتان بالبحرين كانه ضم الجبار الى حوار واسماها حوارين نحو قولهم القمران قال عمارة بن عقيل.

واسأل حوار غداة قتل علم
فليخبرنـــــك ان
سألت حوار
عن عامر وبني جذيمة اذ هوى
للحين حد جذيمة
العشار.

الباب الرابع

في احوال عرب البحرين في الجاهلية

الفصل الاول

في أديان عرب البحرين في الجاهلية

كان دين العرب الغالب قبل الاسلام الوثنية: قال الشهر ستاني وعرب الجاهلية اصناف فصنف انكروا الخالق والبعث قالوا بالطبع للحين والدهر المفنى «اي ماديين»، وصنف اعترفوا بالخالق وانكروا البعث، وصنف عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان لكل قبيلة صنم خاص فكان «اوال» لبكر وتغلب بنى وائل وعبد القيس من ربيعة فسميت جزيرة البحرين باسم صنم القبيلة «اوال» وكان لهم صنم آخر يسمى «محرق» وهو في الجزيرة الثانية من جزر البحرين فعرفت به. وكان منهم من يميل الى اليهودية كقبيلة اياد التى نزلت البحرين حقبة من الزمان حين اجلتها عبدالقيس من تهامة كما سيجىء بيان ذلك في محله، وقد وجد اثر يدل على هذا الزعم وهو تل كبير في واجهة الطرف الشمالى من قرية الماحوز يعرف الى اليوم بصرح اليهودي او قبر اليهودي وهو قديم جداً ويخال لنا ان التاريخ قد اشار الى ان اياداً قد بنت صرحاً عالياً في البحرين كما انه قريبا من تلك الجهة شرقاً يوجد موضعا يسمى «شبات» قريبا من قرية هلتا السالفة الذكر ومعنى «شبات» على ما يظن السبوت او سبت السبوت وربما لحقه بعض التحريف بحكم تطاول الزمن ولعله كان موضع اجتماعهم في سبتهم وأعيادهم في ذلك العهد وان التل السابق هو بيعتهم التى يتعبدون فيها: ومنهم من يميل الى النصرانـية والذى يؤيد وجودها ببلاد البحرين في تلك الازمان وجود قرية بها تسمى «الدير» وهي معروفة بهذا الاسم الى يومنا هذا وقد تقدم ذكرها وهذا الاسم يطلق على معابد النصاري: ومنهم من يميل الى الصابئة وكان سبب دخول دين الصابئة في البحرين راجع الى استيلاء الدولة الاشورية عليها ونزول نبط العراق بها في ذلك العهد وكانوا يدينون بها كما سياتى ذكر ذلك في محله انشاء الله تعالى. وكان كذلك فيهم من يدين بالمجوسية وكان الذى يدين بها في البحرين هم من الفرس الذين استوطنوها في ذلك العهد بعد استيلاء الاكاسرة المتقدمين عليها ولعل وجه تسمية جزيرة «المحرق» بهذا الاسم ان معبدهم النارى الذى لا تبرح به النار متقده كان فيها فغلب عليها وعرفت به: هذا وقد ظهر من ادلة شتّى ان اعتقادهم «العرب» الاصلى التوحيد كما كان الامر عند اكثر الامم في اوائلها ثم طال عليهم الامد فاخذوا يعظمون انصاب وتماثيل عظمائهم حتى آل بهم الحال الى ان عبدوها بدلاً من الملك المتعال إذ لم تكن تلك الاصنام اولا الا آلهة ثانوية بلغت شيئا فشيئا المقام الاول كما يدل عليه تلبية بعضهم حين دخوله مكة المشرفة اذ يقول: **لبيك لاشريك لك/ ان الحمد لك/ لا شريكا هو لك/ لاشريك لك/ تملكه وما ملك/ لبيك لا شريك لك:**

وقد تحقق من التواتر ان البيت الحرام «الكعبة» كان محترماً جداً من قديم والمحجوج الاول لكل العرب وتنازعوا في حراسته وحتى الطواف والسقاية والرفادة كما يظهر في اخبار جرهم وبنى اسماعيل: قال ابو الفدا وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون

ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار. ولم يتخذ العرب عبادة الاصنام الا بعد الاحقاب الاولى اذ كانوا سابقاً يدينون بحنيفية ابيهم ابراهيم خليل الرحمن، ومع تطاول الزمان لم ينكرو الخالق والديان، يؤيد ذلك عن ما حكاه عن لسانهم القرآن اذ يقول «ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى»: وقال المسعودي. كانت العرب في جاهليتها فرقاً منهم الموحد المقر بخالقه المصدق البعث والنشور موقناً بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي وفيهم من دعا الى الله عز وجل ونبه اقوامه على آياته في الفترة كقس بن ساعدة الايادي ورباب السبتي وبحير الراهب وكانا من عبد القيس وكان منهم من اقر بالخالق واثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عنهم قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا البدن ونسكوا بها النسائك واحلو لها وحرموا.

الفصل الثاني

في بعض ما جاء في فضل العرب وما امتازوا به على غيرهم من الامم

ان اهل البحرين في العصور القديمة لا يختلفون عن غيرهم من العرب الا بمقدار ما تميزهم به بيئتهم ومحيطهم كما يمتاز البدو ى على الحضرى وما يشبه ذلك من بعض الفوارق الاخرى. وقد امتاز العرب على غيرهم باشياء تكاد تكون اس الفضائل. منها. قوة ذكاء وإصابة حدس وحدة المعية وصدق فراسة يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم كأن قد شاهدوه، ويصف لهم الحدس صائب حال الورد قبل ان يردوه ويثبتون ابعد شيء بحدة المعيتهم كأن ليس ببعيد وينظم لهم المجهول صدق فراستهم في سلك المعروف منذ زمان مديد «٣٨»: قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم ما ذكروا فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم ولم يستثن فارس ولا غيرها: فقال كسرى وقد اخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت في امر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حال من يقدم على من وفود الامم. فوجدت الروم لها حظاً في اجتماع الفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وان لها دينايين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهلها، ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عديدها. وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات ايديها وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديدوان لها ملكاً يجمعها. ولم ار للعرب شيئاً من خصال الخير في امر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة. ومع ان مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون اولادهم من الفاقة وياكل بعضهم بعضا من الحاجة، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فافضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التى يعافها كثير من السباع لثقلها وسؤ طعمها وخوف دائها. وأن قرى احدهم ضيفا عدها مكرمه. و ان طعم اكله عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التنوخية التى اسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا. وان لها مع ذلك آثاراً او لبوساً وقرى

٣٨ ـ نهاية الارب للالوسي.

وحصوننا واموراً تشبه بعض امور الناس يعنى اليمن ثم لا اراكم تستكينون على ما بكم من الدولة او القلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا و تريدون ان تنزلوا فوق مراتب الناس. .
فاجابه النعمان بقوله. اما امتك ايها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها واحلامها وبسطه محلها وبحبوحة عزها وما اكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. واما الامم التى ذكرت فاى امة تقرنها بالعرب الافضلتها: قال كسرى بماذا؟ قال النعمان: بعزها ومنعتها وحسن وجوهها ومجلسها وسخائها وحكمة السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها. فاما عزها ومنعتها: فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء. اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور: وما حسن وجوهها والوانها. فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والروم المقشرة: واما انسابها واحسابها: فليست امة من الامم الا وقد جهلت آبائها واصولها وكثيرا من اولها حتى ان احدهم ليسال عمن وراء ابيه ديناً فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمى آبائه اباً فابا احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعي الى غيرابيه. واما سخاؤها: فان ادناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغة في حمولة وشبعه وديه فيطرق الطارق الذى يكتفى بالفلذة ويجتزىء بالشربه فيعقرها ويرضى ان يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثه وطيب الذكر: واما حكمة السنتهم: فان الله تعالى اعطاها في اشعارهم وورنق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضربهم للامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الاجناس: ثم خيلهم افضل الخيل ونساؤهم اعف النساء ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التى لا يبلغ على مثلها سفن ولا يقطع بمثلها بلد قفر: وامادينها وشريعتها: فانهم متمسكون به حتى يبلغ احدهم من نسكه بدينه ان لهم اشهراً حراماً وبلداً محرماً وبيتا محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على اخذ ثأره وادراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله باذى. . : واما وفاؤها: فان احدهم يلحظ اللحظة ويومي الايماء فهى ولب وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه وان احدهم يرفع عوداً من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان احدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى ان يكون ناءياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى أصابته او تفني قبيلته لما اخفر من جواره، وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون انفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله: واما قولك ايها الملك يئدون اولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث انفة من العار وغيره من الارواج. واما قولك ان افضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها الا احتقار له فعمدوا الى اجلها وافضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها اكثر البهائم شحوماً واطيبها لحما وارقها البانا وأقلها غائله واحلاها مضغه وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه. واما تحاربهم واكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم امورهم وينقادون اليهم بازمتهم، واما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا

ملوكاً أجمعين مع انفتهم من اداء الخراج والوطف بالعسف، واما اليمن التى وصفها الملك، فلما اتي جد الملك اليها الذى اتاه عند غلبة الجيش له على ملك متسق وأمر مجتمع فاتاه مسلوبا طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن ابوائه وصغر في عينه ما شيد من بنائه ولولا ما وتربه من يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الاشرار قال فعجب كسرى لما اجابه النعمان به: ولما رجع النعمان الى الحيرة وجه الى كسرى وفداً من العرب ليتكلموا بحضرة الملك، ولما حضروا وأذن لهم الملك بالكلام تكلموا حتى دارت النوبة لعامر بن الطفيل العامرى فقام وقال: كثر فنون المنطق وليس القول الى أعمى من جندى الظلماء وانما الفخر في الفعال والعجز في النجدة والسودد مطاوعة القدرة وما اعلمك بقدرنا وابصرك بفضلنا وبالحرى ان ادالت الايام وثابت الاحلام ان تحدث لنا امورا لها اعلام. قال كسرى وما تلك الاحلام. قال مجتمع الاحياء من ربيعة ومضر على امر يذكر، قال كسرى وما الامر الذى يذكر قال مالى علم باكثر مما خبرنى به مخبر، قال كسرى متى تكاهنت يا ابن الطفيل، قال لست بكاهن ولكنى بالرمح طاعن، قال كسرى فان اتاك آت من جهة عينك العوراء ما انت صانع قال ما هيبتى في قفاى بدون هيبتى في وجهي وما اذهب عينى في عبث ولكن مطاوعة العبث «٣٩». اجتمع عبدالله بن المقفع بجماعة من العرب فسالهم اى الامم اعقل، فتحاشوا من اساءته لكونه ينتسب للفرس فقالوا الفرس فقال ليسوا بذلك لانهم ملكوا كثيرا من الارض ووجدوا عظيما من الملك وغلبوا على كثير من الخلق ولبث فيهم عقد الامر فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ولا ابتدعوا باقى حكم في نفوسهم. قالوا فالروم قال اصحاب صنع قالوا فالصين: قال اصحاب طرفه. قالوا فالهند قال اصحاب فلسفة: قالوا السودان قال شر خلق الله. قالوا الخزر قال سائمة قالوا فقل قال العرب. قال فضحكوا. قال اما الى ما اردت موافقتكم ولكن اذا فات حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة. ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار اثرت، اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك في ميسوره ومعسوره ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ويفعله فيصير حجة ويحسن ما يشاء فيحسن ويقبح ماشاء فيقبح ادبتهم انفسهم ورفعتهم هممهم واعلتهم قلوبهم والسنتهم فلم يزل حباء الله فيهم وحباؤهم في انفسهم حتى رفع لهم الفخر وبلغ بهم اشرف الذكر وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر وافتتح دينه وخلافته بهم الى الحشر على الخير فيهم ولهم فقال سبحانه «ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» فمن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خصم ودفع الحق باللسان أكبت للجنان: «٤٠».

كانت معارف العرب القدماء. القيافة والعيافه ومعرفة الاثر وعلم الانساب والشعر ولهم القدح المعلى فيه وعلم النجوم والانواء والبيطرة والطب.

الفصل الثالث

في طرق معايشهم وصنائعهم في العصور القديمة

المعروف عن العرب القدماء ان جل وسائل معائشهم هو التجارة التى ينقلونها من بلد الى اخرى وغزو بعضهم بعضا وهؤلاء هم الذين سكنوا خارج المدن في البوادي اما عرب البحرين القدماء فقد منحتهم الطبيعة في محيطهم الخصب اسباب المعاش المتوفرة واستفادوا من مخالطتهم للامم التى زاحمتهم في بلادهم او استولت عليها فاتسعت لديهم دائرة العمل

٣٩ ـــ ٤٠ ـــ نهاية الأرب للالوسي.

فاستعاضوا للغزو بزراعة الارض واستخراج فرائد اللآل من قرار البحر وبدل ان ينقلوا متاجرهم على ظهور الابل نقلوها على ظهور السفن شقوابها اليم فزراعتهم راقية واعانهم عليها خصب بلادهم وكثرة مياهها واذ كانوا في جزر منقطعة وجب ان يعتمدوا على انفسهم ضروريات حياتهم فكانت تجارتهم البحرية رائجة منتشرة في الممالك الشاسعة بما يصدرونه من منتوجات بلادهم الزراعية و الصناعية فكانوا يصدرون اللؤلؤ والتمور والقطن والمنسوجات ويوردون من البلدان الاخرى ما يلزمهم منها وقد كان من انواع الصناعة في تلك الازمان الحياكة وكانت رائجة حتى كانت منسوجاتها تصدر الى الهند وغيرها من البلدان، تجارة ولهم فيها اليد الطولى على الخصوص بناء السفن كما كانوا اول من ركب متن البحر وفارق الشاطىء بعد سفينة نوح كما تقدمت الاشارة بذلك ومنها صناعة الطرق كالحدادة والنحاسة والصياغة وغير ذلك كالصباغة والبناء الى غير ذلك من مرافق الحياة التى اضطرتهم اليها طبيعة جزرهم ولكثرة الطامعين فيها والمتغلبين عليها والاحتكاك بهم قد اكسبهم التحضر والتمدن وهيأ لهم وسائل المعاش من دون طريق الغزو وشن الغارات الذى اضطر اليه اهل البوادى لضيق وسائل المعيشة عندهم وجذب اراضيهم القاحلة في الغالب

القسم الثانى

وهو تاريخ البحرين من العصور الاولى الى الوقت الحاضر وفيه ابواب

الباب الاول

في التاريخ القديم الى الفتح الاسلامي

«مقدمة»

ان التاريخ القديم يكاد يكون تحديد ازمنة حوادثه بالضبط من الامور المستحيلات وقد اختلف جميع المؤرخين المتقدمين والمتأخرين وتباينوا تبايناً كليا جعل ازمنة حوادث التاريخ مختلطة ولا يستثنى منهم الذين بنوا تحقيقاتهم على آثار اكتشافاتهم من الحفريات فانهم لم يخرجوا من ظلمة الشك الى نور اليقين وما وقع فيه اسلافهم من المؤرخين المتقدمين من الخلط والخبط لم يسلموا هم انفسهم منه ولم تخرج تحقيقاتهم من حيز الظنيات والتخمينات بدليل انقسامهم على انفسهم وتباينهم فيما حسبوا ان فيه فصل الخطاب والواقع يخالف ذلك. وبما ان امامنا سرد حوادث التاريخ القديم التى تخص وطننا العزيز المحروس «البحرين» وما له علاقة به وتحديد ازمانها اذن فقد وقعنا أمام مشكلة لم تحل ولم تتقارب فيها الآراء وهي مبدأ وجود الانسان على ظهر هذه الكرة السابحة في الفضاء وحيث ان عمر البشرية على الارض هو بيت القصيد وهو نقطة المركز الذى تتجه اليه وقايع التاريخ وحوادثه وكان الخلاف في تحديد زمنه كلياً اذ ان اقل خلاف فيه ان من مبدأ البشرية على وجه الارض الى ميلاد المسيح يزيد عن سبعة الاف سنة ٧٠٠٠ ولا ينقص عن ثلاثة الاف وسبعمائة سنة ٣٧٠٠ و منهم رفعه الى ملايين السنين. لهذا السبب قدمنا هذه المقدمة والقصد منها ان ما سنورده من مدد ازمنة التاريخ القديم الغالب منها لم يخرج من حيز التقريب اذ لا سبيل لتحقيقه بالضبط فان وقع مناشذوذ في تحديد أزمنة بعض الحوادث فلسنا باول من شذ ولنا بمن تقدم ومن سياتى اسوة ولم يكن ذلك عن قصد بل غايتنا وضالتنا التى ننشدها الحرص على ايراد الحوادث بالضبط والتحقيق حسب الطاقه وجهد الامكان وبالله المستعان وعليه التكلات.

الفصل الاول

فيما أشارت اليه التواريخ وما قاله المستشرقين في المدافن القديمة

يكاد يكون من المحقق ان ضفاف الخليج الفارسي كانت اول موطن للانسان في عهد حضارته وأن شئت فقل بداوته الاولى. ويرى بعض العارفين الذين حاولوا درس طبيعة البحرين ان هذه الجزيرة كانت على الراجح مهد السلامة البشرية بعد ارتقائه في سلم النشؤ فأن مجموعة المدافن التى تملأ ربعاتها رحاب الصحراء وتمتد الى ما لا يدركه الطرف

آخره، حيرت كل من وقف بها من السياح يحاول اكتناه سرها ولقد أمها الناس في كل عصر وزمان وجاسوا خلالها من الاسود الذى ربها كان جد الانسان المدنى الى الكلدانى فالبابلى فالفينقى فاليوناني فالفارسي فالعربي فالانكليزي ونكاد نسمع وقع اقدامهم على مر الادهار ومع ذلك لم يتركوا لنا أثراً يأتم به المستهدون منا او قبساً يستضيء به المعتسفون في دياجير التاريخ«٤١»: ان في جزيرة البحرين اثراً تاريخيا لم يكشف بعد كل سره «كتلول قرية عالي المتقدم ذكرها» اما المقبرة الفسيحة الارجاء المقبرة العامة على ما اظن فتمتد اميالاً في جهتي الشرق والجنوب وفيها من القبور ما يزيد على ستة آلاف قبر يتراوح علوها بين الخمسة والعشرة اقدام. هي من اكبر مدافن الشرق ولا يبعد ان تكون اقدمها عهدا. ومع ذلك لم يهتم لها علماء الآثار والتاريخ اهتمامهم لغيرها وقد يكون السبب في ذلك خمول ذكر الجزيرة عند عامة الناس وبعدها عن جادات السياح المألوفة. بيد ان رجلا انكليزياً اسمه «دوران» جاء الى البحرين سنة ١٨٧٩م وكان اول من فتح مدفنا من تلك المدافن على ما اعلم وباشر الحفر والتنقيب. ومما وجده غير عظام الانسان قطع من عظام الخيل وشقف من الفخار وآنية من العاج وسجف وستائر بالية واخشاب نخرها السوس والديدان ولا يذكر هذا السائح انه عثر على كتابة او صورة محفورة في تلك القبور«٤٢»: وقال آخرون ان الفينقيين من هذه الديار العربية. فقد جاء في بعض كتابات المصريين القديمة ذكر «البنط» POUNT. وهو اسم الفينقيين قبل ان يحتلوا بلاد الشام والظاهر انهم من اصل عربى فقد نقلت التقاليد القديمة انهم ظعنوا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر المتوسط «٤٣»: ومما قاله رولنسون. انهم كانوا يسافرون من «ارواديبلوس» براً الى الخليج العجمى فيبحرون منه الى الهند وسيلان ثم يعودون وهم يحملون الذهب من «اوفير» كأنهم بعد ظعنهم غربا الى سوريه كانوا يعودون الى بلاد هي بلادهم وقد توارثوا علومها مع علم الملاحة بعضهم عن بعض ولا عجب اذا كان الخليج وجواره ومنشأ الفنيقيين ومطلع انوار المدينة الاولى فان ابناء هذه الربوع الذين حضروا ارض الكلدانيين وشيدوا قصور بابل وأشور «٤٤».

الفصل الثاني
في بني شباوددان

اول من انبأنا التاريخ بنزولهم البحرين من الاقوام في بعد تفرق ابناء نوح فى بابل هم بنو شباودادان ابناء رعد بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح .

ان اكثر مؤرخى الأفرنج يرون ان اقدم من سكن البحرين من الامم القديمة هم الفينقيون على ان صاحب التاريخ القديم وهو ممن بنى تاريخه على ما حققه المؤرخون الاثريون وهو عهده فيا كتب وتذكر لنا في تاريخه النهج القويم في التاريخ القديم ان بنى شبا وبنى دادان ابنى رعد بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح كانوا اول من سكن البحرين وكانت اول وطن استوطنوه بعد تفرقهم من بابل واستدل المؤرخون على وجود هاتين القبيلتين في البحرين ونواحيها بأدلة تكاد ان تكون ناطقة فأنهم وجدوا مدينتين باسمى هاتين القبيلتين في جزائر البحرين«٤٥» الاولى ولكن ذكر ياقوت في معجمه فقال: «شبا» مدينة خربة باوال في هجر البحرين«٤٦». وقد اكتشف الاثريون على آثار لهاتين القبيلتين في جزائر البحرين واستدلوا على وجودهما فيها بآثار قديمة اهمها وجود مدينتين قديمتين تسميان باسم القبيلتين آنفتا الذكر ويتخذ الاثريون التشابه في الاسماء دليلاً على وجود المسميات وذلك

٤١ ـ دائرة المعارف للبستاني.
٤٢ ـ ملوك العرب للريحاني.
٤٣ ـ لغة العرب.
٤٤ ـ ملوك العرب.
٤٥ ـ واستدلوا من كتب موسى ان بنى كوش بن حام استوطنوا بلاد العرب فان موسى قال فى تل ١٠ : ٧ ان مبنى كوش هم سبا وحويله ورعمه ربته وبنى رعمه شبا ردداف: ونعلم ان اسماء النسبة التى اوردها هناك هى اسماء قبائل وقد وجد بعضهم بعد البحث ان شبا من بنى رعمه فزعموا ان نسله سكن عمان، كما ذكر بطليموس وجود مدينة تسمى رعمة او رغمة فى نواحى عمان ولكن.

٤٦ ـ فيظهر من هذا انهم نزلوا فى عمان والبحرين.

بازاء ما يتعلق بمسائل التاريخ القديم يبنون عليها استنتاجات مهمه ولا يعلقون كبير اهمية على التخريفات الطارئة على بعض الاسماء وينسبونه الى اختلاف الاقلام واللغات التى نقلت اليها او عنها. . والنتيجة ان هاتين القبيلتين «شبا» و «دادان» هم اول من استوطن البحرين وكانت اول وطن لهم بعد تفرق بنى كوش في بابل وانهم كانوا على شيء من المدنية وحسن الحال العمومية بحسب محيطهم وزمانهم فقد انشأوا بعض العمارة واعتنوا بالتجارة على الخصوص بنو شبا فكانوا ينقلون متاجرهم التى هي الطيب والاحجار الكريمة بحالة منتظمةفي قلب جزيرة العرب بين عمان ونجد والعراق والحجاز واليمن الى سوريا وليس لهم تجارة بحرية والظاهرة انه لم يعتنوا في ذلك العهد بسلك البحار وبناء السفن الكبيرة كالامة الفنيقية التي خلفتهم على البحرين نحو سنة ٣٥٠٠ ق.م تقريباً كما سياتى بيان ذلك في الفصل التالى انشاء الله تعالى.

الفصل الثالث
«الفينقيون وجزائر البحرين
في 3500 - 2500 - او سنة 2300 ق.م»

وفي الامم القديمة التى سكنت البحرين بعد شبا ودادان او معهم شعوب من بنى كوش بن كنعان المذكور آنفا يدعون بالفينقيين الذين يتسابق علماء الآثار الى البحرين من اجلهم وكشف اجيالها للاطلاع على آثارهم والوقوف على شيء في اخبارهم. واسم الفينقيين ورد كثيرا في تواريخ سوريا وارض كنعان وقد ذهب العلماء الى انهم كانوا في البحرين قبل ان عرفوا في سوريه واكدوا ان البحرين هي مواطنهم الاولى ومحال نشئتهم الاصلية. . وقال صاحب التاريخ القديم ان اجداد فينيقي سوريه سكنوا البحرين اولا ثم انتقلوا الى بلاد كنعان «سوريه». وقال في محل آخر أثناء كلامه عن تجارة الفينقيين القديمة. ولا ريب ان هذه التجارة انشئت ايام الكوشيين فانهم سكنوا اشطوط اليمن وعمان والبحرين. . وقال هيرودتس اليونانى. ان الفينقيين توصلوا الى سورية وسائر الاماكن من البحرين. . وقال رينان في كتابه تاريخ لغات اولاد سام. وطن الفينقيين الاول يلزم ان يكون عند مصب الفرات في الوسط التجارى في الخليج الفارسي. . وقال المؤرخ فرنسيس لو نورمان في تاريخه الامم المشرقية. ان اصل الفينقيين حسب نصوص التوراة وكما كانوا هم انفسهم يقولون به في سالف الازمان وحكته ذراريهم للحبر المسيحي «سنتوغوستان» ونصت عليه الكتب المأثورة عن انهم من نسل كنعان الذى هو من نسل حام بن نوح غير ان بنى كنعان لم ينحصروا في الفينقيين فقط بل كانوا فروعاً متفرعين كان منهم هؤلاء الفينقيون وكان هذا الفرع قد تكون فى اول الامر في صورة وجودية منفردة عن سائر الفروع الكنعانية وكان اشهرهم واكبرهم وآخرهم انقراضاً واقدرهم وقد كانت مدائنهم في اول الامر على سواحل الخليج الفارسى في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم «القطيف والبحرين» وفي جزائر البحرين وقد كانت اثنتان منها تسمى احداهما في ذلك العصر باسم «صور» والثانية باسم «ارواد» ونحو سنة ٢٥٠٠ ق.م تقريبا كانوا قد اخطروا للخروج من هذه النواحي اما لداعي زلازل ارضية وقعت فيها فاخرجهم منها كما ذكر ببعض الروايات واما كما ذكر برواية اخرى لداعي اجبارهم على الخروج منها عقب واقعة حربية وقعت عليهم من بعض ملوك بابل وكانوا قد انتصروا عليهم فيها فاضطروا للخروج من اوطانهم الاصلية وهاجروا

كلهم منها واخترقوا بلاد العرب في سالف الازمان سائرين في الطريق الاصلية التى لم تـزل القوافل تسير فيها من تلك الاقطار لغاية الآن حيث كانت هي التى تـوجـد بها آبـار الماء العذبة حتى وصلوا الى بلاد فلسطين وقد حملوا معهم اسماء وطنهم الاول واطلقـوا بعضهـا على الوطن الجديد مثل «ارواد» او «ارادوس» و «صور» و «جبيل» الى غير ذلك «٤٧» انتهى ببعض التصرف «٤٨» وآثار الفينقيين في البحرين وما جاورهـا فممتـده فـوق السـواحل من قرب الفرات الى اقصى بلاد عمان ومعظمها بجزائر البحرين لا سيما كبراهـا جـزيـرة اوال وقد حار علماء الآثار في تعليل ذلك وذهبوا فيه مذاهب شتى. واشتهر من زار هذه الآثـار في البحرين من علماء العاديات واسهب في الكـلام عنهـا الـدكتـور تيـودور بنت الرحالة الانجليزي الشهير فقد ساح هذا المستشرق سنـة ١٨٨٩م في جنـوب بـلاد العـرب ودخل البحرين في السنة المذكورة ونقب في مجموعة المدافن التى تملأ رحـاب الصحـراء في «عالى» وغيرها وكتب رحلته في كتاب مشهـور سماه بـلاد العـرب الجنـوبيـة وقـد جـاء في كتـابـه بخصوص البحرين ما ملخص معناه. . ما برح الناس في حالة الشك والتردد عن حـالـة الكوم الموجودة في البحرين وفي عمرها ولكن من مزاولتنا للاعمال الاثرية ما وجدنـاه بكتب القدماء زال الريب وحصل اليقين في انها للفينقيين، يقـول هيرودتس بـان الحديث الجارى بين الناس في ايامه ان الفينقيين جاؤا من هذه الاطراف والفينقيين انفسهم يصـادقـون على ذلك. واسترابوا ايضا يـؤكـد هـذا ويقـول بـان الجزائر التى تسمى بحـرين كـانت تسمى «تايروس» و «ارادوس». وبلينى ايضا يقول بقـول استرابو في هذا الخصـوص لكن يسمى احدى الجزيرتين «تايلوس» بدل «تايروس» وهذا الفرق بينهما كتابيا فقط لان اليونـان كثيرا ما يلفظون الراء بدل اللام وبالعكس. . الى ان قال (الرحالة) وبالحقيقة ان كل ما عرفناه عن حـالـة الخليج قبل البرتغـال مأخـوذ ممـا كتبـه «نيارخوس. ايراتوثينس» أحد ضبـاط «الاسكندر» يقول هـذا ان طـول الخليج من راس «هرموز» الى «تردون» فم الفـرات عشرة الاف استاديـاً و «انـدروس ثينيس» الـذى رافق نيارخوس» لاحظ الشواطـىء العـربيـة في الخليج بالدقة وهو يقول بانـه رأى على جـزيـرة «ايكورس» قريب «تردون» هيكل «ايولو» معبود الفينقيين والى الجنوب على بعد ٢٤٠٠ أستاديا و ٤٣ ليك في «ايكـورس» وصل الى «جرها» (لعله يعني اجهره او الجرعا) وقريب جرها راى جـزيـرة «تايروس» و «ارادوس» التى بها هيـاكل تشبـه هيـاكل الفينقيين وممـا وصفـه «نيارخوس» علمنا بانه كـان يـوجـد للفينقيين في خليج فـارس بلـدة تسمى «صيدون» او «صيدونا» وقد زارها كما زار جـزيـرة يسميها «تيرين» والناس فيها قد شوفـوه قبر «ايرتراس» وهو كومة مغطاة بـالنخيل والخليج كان يسمى باسم ذلك الـرجل «وجوستين» يؤكد خبر مهاجـرة الفينقيين في خليج فـارس ويقول «رينان» بانه من المؤكد بان وطن الفينقيين الاصلي عند الفرات في الوسط التجـاري في الخليج. لم نر آثار الهياكل الفينقية في البحرين كما لم نرهـا في فينقيـة الشـام لانـه دون شك ان تلك الهياكل كانت مصنوعة من الخشب ولهذا قـد زالت مع طـول المدة ولكننـا لما ابتدأنا بالحفر وجدنا اشياء ظهـرت لنـا بـانها من آثـار الفينقيين ولا نشك ان هـذه الكـوم كانت قبورهم ولنا في ذلك رأيين الاول اما انهم عاشوا هنا ثم هـاجـروا الى البحـر الابيض وسموا هذه البلاد «بوني» «بوني فيني» واخذوا اسمهم فينقيين من هذا ولفظة بوني في لغتهم تطلق على النخيل والثانى بان هذه الجزائر كانت مقدسة عندهم ولـذلك جعلوهـا مـدفن لامواتهم كما يقدس الهنود نهر الكنج والفرس كربلاء والمشهد لكن فكـرى يـرجح الـرأي الاول وان الجزائر كانت مركز التجارة والمدرسة الاولى للشعب الفينقي فيها تعلموا الأسفار

٤٧ ــ الـدرس التـام في التـاريخ القديم.

٤٨ ــ وقـد ذكرنـا في تـاريـخ الفينقيين والكنعانيين ان اجدادهم سكنوا البحرين اولا ثم انتقلوا الى بلاد كنعـان وهم من نـسـل حام على رأى البعض ولما رحلوا مـروا في نجـد والحجـاز وظـن البعض ان تفرع منهم في اثناء الطريق قوم واستـوطنـوا نـواحـى جبـل سعير منهـم الحوريـون المذكورون في التـوراه في تـك (١٤ : ٦ و ٣٦: ٢٠) مـن نـسـل سعير ولا يعرف من هو سعير وقد ظن البعض انهم شعبة من قـوم الكنعانيين (الـدرس التام في التاريخ القديم)

المؤلف: وهـذا ما نـرجحه حيث توطنهم معهم في بلاد واحدة وما نسبتهم الا عارضة بعـد هجرتهم الاولى، وسعير هو الجبل الذى هاجروا اليه والحقيقة انهم من الكنعانيين الذين خرجوا من البحرين وقـد لصق بهم توطنهـا فيهـا ولم ينفـك عنهم حتى في وطنهم الاخير فقد سمتهم التـوراة حوريين وهـذا الاسـم هو اسـم لقرية في جزيرة البحرين قديمة والى الآن معروفـة بهذا الاسـم بدون ان يطـرأ عليه تحريـف تسمـى الحورة والتـسميـة اليهـا حورى وحـوريون وقد تقدمـت الاشـارة في هـذا المعنى فيا سلـف في ذكـر القريـة المذكورة:

ومن الادلة ايضا ما رأيناه في تاريخ الكلـدانيين الاولين مــن ان الكـوشيين سكنوا ارضهـم قديما وانهم دخلوهـا من الجنوب كأنهم اتـوا من البحـرين منهـم سكنوا بلاد العرب اولا.

في كل اطراف الدنيا ولم يستثنوا الاتلنتيكى حتى وصلوا في اسفارهم التجارية الى بريطانيا فاذا امكنا ان نتخذ الاسماء دليلا فاسم «تايلوس» و «ارادوس» الذى يعرف الى يومنا هذا يثبت هذا للفكر ويؤكده باليقين (ماذا وجدنا في تلك المدافن) قد حفرنا اساس اول كومة الى ١٥ قدم ومن الغريب انا وجدنا في ارض الطبقة الاولى سعف من سعف النخيل فدلنا هذا على النخل كان موجوداً بالبحرين قبل سنة ٥٠٠٠ وان الناس كانوا يستعملون سعف النخيل في البناء في تلك الازمنة ووجدنا ايضا على ارض الغرفة الاولى تراب مرتفع عن الأرض قدر فوت واحد فاخذنا نغربل ذلك التراب فوجدنا كسر من العاج وانواع من الحلي والمصاغات العاجية مثقبة للانف والاذن وشكل تمثال آخر صغير وشكل ثور على مصطبه كلاهما من العاج ورجل تمثال آخر وقطع اخرى لاشياء كثيرة كلها من العاج وعلى كثير من قطع كانت نقوش تمثل الميزان والورود محاطة بسلاسل كلها عاجية وبالحقيقة ان هذه النقوش تشبه تماما النقوش التى وجدوها منقوشة على الالآت العاجية التى استخرجوها من القبور الموجودة على السواحل الفينقية بسوريا وتشبه الآثار العاجية الموجودة في بيت الآثار العادية في انكلترا المستخرجة من القبور التى رأوها في بلاد نينوى واكثر العلماء متفقين على ان الفينقيين هم الذين قد نقشوا هذه النقوشات لانهم عملاء ماهرين في النقوش العاجية وقد استخدمهم سليمان في بناء هيكله وهم كانوا قبل ظهور المهندسين المصريين واليونان اشهر مهندسي العالم خصوصاً في النقش ولما سلمنا هذه الآثار ليد المستر «مرى» مدير متحف الآثار في انكلترا كتب لنا يقول بانه يجزم ولا يتردد بان هذه الآثار العاجية هي بلاشك من اثار الفينقيين وقد وجدنا ايضا بعض الآثار الخزفية وقد زال رونقها وكذلك كسر من بيض النعام منقوشة بالصبغ وهذا ايضا اكد لنا ان الاثار للفينقيين ولم نجد عظاما الا في الطبقة الفوقانية وجدنا بها عظام حصان وفي التراب الذى غربلناه وجدنا شيئا من عظام الانسان ومن هذا ظهر لنا بانه كانت عادتهم ان يجعلوا في الغرفة الفوقانية حصان الرجل والآته وفي التحتية جسدة ورفاته. وفي سنة ١٨٨٩ وجدوا في شمال افريقيا قبراً ذا طبقتين كالذى في البحرين. انتهى «٤٩» وذكر استرابوا في كتابه انه راى اهل البحرين اذ ذاك يقولون بانهم ذرية الفينقيين وانه.شاهد بجزائر البحرين التى يسميها «تايلوس» و «ارادوس» هياكل عظمية تشبه هياكل الفينقيين التى في سوريه. . وقد زالت الآن تلك الآثار ودرست بالتمام واصبحت اثراً بعد عين ولم يبق الا اطلام قبورهم وهي تلال عالية منتشرة في سهول عالي الى آخر ما يدركه البصر وقد فتح بعضها الرحالة «تيودور بنت» سنة ١٨٨٩م كما تقدم ذكره وكذلك فتح بعضها الميجراف بي بريدكس قنصل انكلتره في البحرين سنة ١٩٠٧م ولايزال اكثر تلك التلال باقية على حالة كما كانت لم تعبث بها يد انسان تكاد تعبر عن اهلها بقول القائل «ان آثارنا تدل علينا، فانظروا بعدنا الى الآثار».

وبناء على ماسبق لم يبق اشكال في توطن الفينقين في البحرين وما جاورها وفي اسماء البلاد التى ذكرت وانهم استوطنوها ونقلوا اسمائها الى مهجرهم الاخير اكبر شاهد ودليل وفضلا عن الشواهد الاخرى ولا يعرف تطبيق تلك الاسماء على بلاد البحرين وما جاورها ما طرأ عليها من التحريف بحكم تطاول الزمن واختلاف الالسن والاقلام. . فاما «أرواد» او «ارادوس» فهي بلاشك بلدة عراد القديمة الكائنة في جزيرة المحرق من البحرين واما «تيرين» و «تارلوس» فهما بلاشك دارين وتاروت شبه جزيرة من اعمال القطيف واما «صيدون» أي «صيدونا» فهي اما صدد باوال ـ او الصداين عين ماء بالقطيف الى غير ذلك من غير تكلف واما «صور» فهي اما بلدة سار باوال او صور بعمان واما «جبيل» فهي

٤٩ ــ تقريبا عن كتاب بلاد العرب الجنوبيين.

قريب من القطيف لها فرضة بحرية واما «ايكورس» فهي على ما يظهر العقير واما «جرها» فهي «اجهره» والله اعلم.

دينهم ـ هو الوثنية الصابئية ومدارها على التعصب والاعتقاد بروحانية الكواكب ولهم هياكل للكواكب السيارة يعبدونها وكان لهم انواع في صور الاصنام التي جعلت مثالا للأجرام السماوية وما ارتفع عن ذلك من الاشخاص العلوية.

تجارتهم ـ يكادوا ان يكونوا اول من تاجر وسن قوانين التجارة لمن بعدهم من الشعوب والامم اذ كانت تجارتهم البرية تخترق قلب جزيرة العرب الى العراق والحجاز ومصر وفلسطين والشام الى غيرها من الممالك و البلدان واما تجارتهم البحرية فيكادوا ان يكونوا اول من ابتنى السفن الضخمة وسلك فيها البحار وغامر في اللجج وفارق السواحل مستهدياً بنجمة القطب وبكل جرأة اقتحموا البحار الشاسعة لتقل تجارتهم الى السند والهند والبحر الاحمر والبحر الابيض وبادلوا بتجارتهم ومنتوجاتهم جميع الممالك والدول وقد جاء في كتب التاريخ في البراهين على ذلك بما لا يحتاج لزيادة مستزيد قال صاحب التاريخ القديم. ولعلهم (الفينقيين) اتخذوا البحرين عاصمة لتسهيل اعمالهم البحرية التى سبقوا اهل الارض بها ايام عظمتهم وقد تحققت مباشرتهم التجارة في العصور القديمة ولاسيما الاتجار بحراً ومن الامتعة التى جلبوها من الهند الذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والقطن واتوا من شطوط افريقيا الى اليمن بخشب الابنوس وريش النعام وبعض انواع الكثير والعاج والذهب وجاء في مجلة الهلال«٥٠». تحت عنوان «تجارة الشرق القديمة» ما نصه: كان الفينقيون ذوى خبرة بالتجارة بل كانوا ادرى الامم المعروفة حينئذ باصولها فنشؤا عند خليج العجم ذوى تجاره واسعة بالاسماك واللؤلؤ وكانوا يتاجرون مع سكان الدجله والعراق ويصدرون اللؤلؤ الى بابل لان تجارة البحر بيدهم ويتاجرون مع الهند والشرق الاقصى ثم ساروا فراجع مدينة الشرق القديمة حتى وصلوا الى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط: فالشعب الفينقي كان في البحرين كما كان في سورية شعب نشيط عامل عالي الهمة متوقد الذكاء دائم الحركة فهو اول من غارب البحار وابتنى المراكب الضخمة وسيرها ترد الاقطار وانشأ العمارة وادار فن التجارة لا سيما تجارة البحر بخلاف من سبق ذكرهم من بنى شباوداذان مولعين بركوب متن البحر والمعيشة بين عجاجه وامواجه حتى انهم من هذا القبيل يكادوا يشبهوا طائر البحر الذي لا تلذ له المعيشة الا عائما او محلقا فوق البحر فترى أثارهم انى وجدتها رايتها على السواحل والجزر البحرية وكذلك آثارهم في البحرين ممتدة فوق السواحل من قرب الفرات الى اقصى بلاد عمان ومعظمها بجزائر البحرين لا سيما كبراها جزيرة اوال وكانوا على شيء من الحضارة والمدنية ورفاه الحال وقد باشروا الصناعة والزراعة علاوة على التجارة وهذا اكبر دليل على تمدنهم وحضارتهم ورقى حالتهم الاجتماعية وكانت لهم روابط متينة تربطهم مع الامم بسبب الارتباط التجاري ومشاركتهم لامم الارض المعروفة في تلك الاجيال.. اما اسباب انحصار آثارهم بكثرة عظيمة في جزائر البحرين فذلك على ما يرجح ان جزائر البحرين كانت عاصمة املاكهم الواسعة وعاصمة تجارتهم العظيمة ونقطة الاتصال التجارى بين مستعمراتهم البعيدة في الشرق الاقصى والشرق الادنى عندهم بل هي مدرستهم التجارية التى يؤمونها من سائر الاطراف والظاهر انهم يرونهم مقدسة اذ كانت مدفن موتاهم الوحيد.. واذا «٥١» نظرنا الى احوال الكوشيين في وطنهم حق النظر وبحثنا عن علة مهاجرة الكنعانيين والفينيقيين رأينا ان التشويش وقع بينهم حين مهاجمة الاريانيين

٥٠ ـ عدد ٦ شهر مارس سنة ١٩١٥ ـ جرجي زيدان.

٥١ ـ التاريخ القديم.

والعيلاميين لمملكة النهر وان الكوشيين ضويقوا حينئذ فلعل ذلك سبب مهاجرة بعضهم الى شطوط بحر الروم فان صح هذا الظن فارتحالهم يكون في نحو سنة ٢٣٠٠ ق.م تقريبا. وقيل ان هجرتهم من البحرين نحو سنة ٢٥٠٠ ق.م تقريبا كما تقدم بيان ذلك عن «لونورمان».

الفصل الرابع
فيمن استولى على البحرين بعد الفينقيين: سنة 2300 ق.م تقريبا

قد تضاربت الروايات التاريخية فيمن خلف الفينقيين على البحرين بعد غلبهم عليها ونزوحهم عنها ولا يمكن الجزم بدولة من الدول او شعب من الشعوب فرأينا ان نسوق الروايات التاريخية في هذا الصدد ثم نبدى راينا في ترجيح احدها قال السيد رشيد السوري في كتابه «٥٢ ما نصه» ان العرب لما استضعفوا دولة الكلدانيين ناؤوهم وحاربوهم واخذوا املاكهم التى هي خارج العراق ومنها البحرين وحصروهم في العراق فتبين في هذا الكلام ان الكلدان كانوا ملكوا البحرين والكلدان هم اهل بابل ولكنهم عدة دول في زمان واحد وازمنة مختلفة واشهر دول الكلدان الاولى الدولة التى اسسها النمرود بانى برج بابل وكان جيله نحو سنة ٢٦٤٠ ق.م وعمرت دولته سنة ٢٢١٨ ق.م وانقرضت سلطتها بعد ذلك بخضوعها لقبيلة ارم العربية ايام الملك شداد ابن عاد ولا نعرف اذا كان السيد رشيد السعدى يعنى بقوله العرب هم هؤلاء بنوارم او غيرهم كالدولة السموآبية وهى المسماة بدولة حمورابي ونرى بعض المؤرخين يذكر تغلب طسم وجديس في العصور القديمة على اليمامة والبحرين ولكنا نرجح ان الذين غلبوا الفينقيين على البحرين هم البابليون دولة حمورابي وقد اسلفنا ذكر ما يؤكد هذا الراي في قول ما اورده المؤرخ «لونورما» «٥٣» وقد بدأ تكوين الدولة الحمورابية في بابل من سنة ٢٤٦٠ ق.م بساموآبى وازدهرت في ايام حمورابي في القرن الثالث والعشرين ق.م وانقرضت من بابل سنة ٢٠٨٠ ق.م ونظن ان الذى استولى على البحرين من ملوكها هو حمورابي لانه في ايامه اتسعت الفتوحات اتساعاً عظيماً ويحسبها بعض المؤرخين عربية ومعنى سموآبيين (ابناء سام) وكانت لغتهم على ما يظن عربية وديانتهم وثنية الصائبة يعبدون تماثيل الاجرام السماوية.

زراعتهم ـ زاهية راقية جداً لما استفادوه منها في بابل ولما يقتضيه خصب تربة البحرين وكثرة مائها

تجارتهم ـ التجارة البحرية راقية عندهم فقد حملوا متاجرهم الى العراق وجزيرة العرب والشام ومصر والحجاز وغيرها«٥٤» البحرية كما يقتضيه موقع البحرين الجغرافي شملت فارس والسند والهند والبحر الاحمر وبانقراض دولهم في بابل غلبوا على البحرين كما سياتى في بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس
العمالقة يستولون على البحرين: من 2100 ـ 1900 ق.م تقريبا

لما نزح عرب الشمال بعد سقوط الدولة الحمورابية الى جنوب جزيرة العرب كونوا دولة عاد

٥٢ ـ قرة العين فى الجزيرة وما بين النهرين.
٥٣ ـ العرب قبل الاسلام ـ جرجى زيدان.
٥٤ ـ كما يقتضيه موقع البحرين الجغرافى.

الاولى وكانت مواطنهم باحقاف الرمال بين اليمن وعمان وان شداد ولقمان دوخا البلاد وفتحا البلاد واذعن لطاعتهما الحاضر والباد وليس لدينا نص تاريخي صريح يثبت تسلط قوم عاد على البحرين وانما ذلك على سبيل التخمين والظن لما وافق وجودهم في تلك الايام وقربهم من هذه البلاد.«٥٥» وقيل ان طسم للاوذبن سام بن نوح وديارهم بالبحرين وهم قبيلة من عاد ويقال لهؤلاء عمالقة نسبة الى ابيهم عمليق بن لاوذبن سام المضروب بهم المثل في الطول والجثمان وشدة البطش ومنازلهم بالبحرين. وفي نقل آخر ومنازلهم الاولى عمان والبحرين: وقال الطبرى عمليق ابو العمالقة كلهم امم تفرقت في البلاد فكان اهل المشرق واهل عمان البحرين واهل الحجاز منهم. الى ان قال وكان الذين بالبحرين وعمان والمدينة يسمون جاشم وقد اجمع المؤرخون تقريبا على نزولهم بالبحرين وما جاورها وبقيت البحرين في ايديهم الى ان غلبهم عليها المعينيون ولغة العمالقة هي العربية اما معبوداتهم فهي الاوثان ولهم تجارة برية واسعة الى جميع حلولهم في البلاد وربما شغلوا اكثر ايامهم في الغزو وحالهم اشبه شيء بحالة البدو الرحالة والله اعلم.

الفصل السادس
المعينيون يستولون على البحرين:
من 1900 ـ 1200 ق.م تقريبا

نزح«٥٦» المعينيون في جملة من نزح من القبائل عن العراق لما انقرضت الدولة الحمورابية العربية منها وذلك نحو سنة ٢٠٨٠ ق.م او سنة ١٩٩٣ ق.م كما تقدم وكانت هجرتهم الى اليمن فلما نزلوها لم يلبثوا على من كان فيها قبلهم وما لبثوا ان امتدت سيادتهم وفتوحاتهم على معظم جزيرة العرب قبل قيام دولة سبابا جيال: وبما ان قدماء المؤرخين لم يذكروا عن هذا الدولة شيئا والمتأخرون من علماء الاثار اكتشفوا الكثير من اثارها ولكنه لم يكن كاف لمعرفة تمام احوال دولتها وبناء عليه اننا نفترض ابتداء تملكهم على البحرين فى القرن التاسع عشر افتراضا اما تملكهم عليها فبدرجة اليقين انها مدة ابتداؤه وانتهاؤه افتراض وهى عربية تنسب لسام بن نوح، وربما سماها المؤرخون القدماء دولة الرعاة وبعضهم يسميهم الهكسوس وسميت المعينية بعاصمتها معين فى اليمن او باسم مؤسس دولتها الذي سميت العاصمة باسمه وقد «٥٧» جاء ذكرها فى التوراه حيث قال فى سفر الاخبار الثاني فى الاصحاح ٢٦ عدد ٧ «واعانه الله (عزيا) على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل وعلى المعونيين» وقد عثر على امة بهذا الاسم ذكرت فى اقدم آثار بابل بين اخبار «نرام سين» سنة ٣٧٥٠ ق.م على نصب عليه نقوش كتابية مسمارية قد اضربنا عن ذكرها وذكرها حضرة الفاضل جرجي زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام وقد امتد نفوذ المعينيين فى ابان دولتهم الى شواطى البحر المتوسط وشواطىء خليج العجم وبحر العرب اي انها شملت كل جزيرة العرب.

لغتهم ـ لسانهم العربية وهم اقدم امة عربية عرفت قبل التاريخ

زراعتهم ـ راقية جدا بالنسبة لمحيطهم وزمانهم.

تجارتهم ـ كانت طرقهم التجارية ممتدة فى اواسط جزيرة العرب وخليج العجم وبحر العرب والبحر الاحمر والهند وهم فى التجارة لا يقلون عن الفنيقيين وانتهت دولتهم قريبا فى القرن الثامن عشر ق.م على اثر قيام الدولة السبأية فى هذا الزمان وخلفتها على البحرين كما خلفتها على اليمن كما سيأتي بيانه ذلك فيما يلي انشاء الله . ولم نقف على شيء اخر

٥٥ ـ خلاصة تاريخ العرب.
٥٦ ـ العرب قبل الاسلام ـ جرجي زيدان.
٥٧ ـ العرب قبل الاسلام ـ جرجي زيدان.

من احوال هذه الدولة او امرائها فى البحرين ولعل المستقبل يميط اللثام عن ظلمة التاريخ الحالكه بما يكتشفه الاثريون من علماء التنقيب عن العاديات واستنطاقها عن المكنونات

الفصل السابع
السبأيون يستولون على البحرين:

قامت«٥٨» هذه الدولة بعد ان تغلبت على الدولة المعينية فى اليمن فخلفتها وامتدت فتوحاتها وتجارتها برا وبحرا حتى سادت على جزيرة العرب مثل عمان واليمامة والقطيف والبحرين واتسعت متاجرها فى هذه الجهات.. وذلك نحو سنة ١٢٠٠ ق.م تقريبا على ما يظن واما ما ذكره الفاضل جرجي زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام فى ان ابتداء الدولة السبأية فى منتصف القرن التاسع او اول الثامن قام بناء على تحقيقات المستشرقين التى اوردها، فضعفه ظاهر ومعارض بما جاء فى الذكر الحكيم بقوله تعالى «جئتك من سبأ بنبأ يقين. انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم» حكاية الهدهد عن بلقيس لنبي الله سليمان بن داود وباجماع المؤرخين ان هذا الامر واقعي وان سليمان ابتداء ملكه كان فى سنة ١٠١٩ ق.م وبموجب كلام المؤرخين المتقدمين والمتأخرين انه قد سبق بلقيس على هذه الدولة عدة ملوك حتى وصلت الى تلك العظمة والمجد الذى نوه به كتاب الله المجيد كما مر عليك وحتى انتهى الامر ببلقيس.

لغتهم ـ عربية وهم من ولد يعرب بن قحطان جد العرب.

تجارتهم ـ واسعة جدا برا وبحرا فقد جلبوا محاصيل اليمن على اختلاف انواعها بما فيها من الطيب الكثير وغير ذلك من منتوجات اليمن الى العراق وبلاد العرب والهند ومصر والشام والحجاز واستبدلوا من كل بلد بمنتوجاته الى البلاد الاخرى، وبقيت البحرين وما جاورها تحت حكمهم خمسة قرون تقريبا من ١٢٠٠ ـ ٧٨٠ ق.م لا ينازعهم فيها منازع الا ان تكون الدول الفارسية بعض الاحيان فيما يلي ارياف الخليج الفارسية لقربهم منها وذلك لا يخرج عن حيز التخمين واخيرا غلبهم على البحرين الاشوريون كما سياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالي.

الفصل الثامن
الدولة الاشورية
تستولى على البحرين فى ٧٢٢ ـ ٥٢٠ ق.م تقريبا

يظن«٥٩» ان البحرين وما جاورها وقعت تحت سيطرة ملك اشور سرجون الثاني الذي تولى الملك من ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م واتفق فى ايام هذا الملك ان العرب غزوا السامرة ونهبوها وكانت فى حماية الاشورين فعمل الملك سرجون بالشدة والعنف على الانتقام وعزم على اكتساح جزيرة العرب كلها فاوغل فيها سنة ٧١٥ ق.م حتى قطع البوادى الى أقصى البلاد العامرة.. وفى نقل «٦٠» اخر. قام سرجون لتأديب عرب البادية فغزاهم واخضع بعض قبائلهم ومنها قبيلة ثمود نحو سنة ٧١٥ ق. م واخذ منهم قوما واسكنهم ارض السامرة وسلط عليهم ولاة اشوريين وهذه الغلبة اخافت القبائل المجاورة حتى وفدوا على سرجون بالهدايا اية خضوعهم، وبينما كان فى بابل بعد فتحه لها وفد عليه القبائل البعيدة

٥٨ ـ العرب قبل الاسلام ـ جرجي زيدان.

٥٩ ـ العرب قبل الاسلام.

٦٠ ـ وفى سنة ٨٢٣ ق.م امتدت سلطة شمس قول بن شلمناصر الثانى من بحر الروم الى خليج العجم ومن ارمينية الى بلاد العرب وتخوم مصر (النهج القويم والدرس التام).

بالهدايا لان رعبه قد استولى على الامم وفي جملتهم سكان احدى جزائر خليج العجم ولعلها جزيرة البحرين. وخلف سرجون سنحاريب في ٧٠٥ ق.م فقام بحملة بحرية ركب فيها سفنا فنيقية على : : : : ونزل بها الى خليج العجم ومن ثم حمل على شطوط عيلام. ولما سكن سنحاريب الثورة البابلية التي هيجها مردوخ بلادان التجأ هذا الى بعض جزائر خليج العجم، وفي رواية اخرى الى البحرين وخلفه ابنه سرحدون سنة ٦٨١ ق.م الى ٦٦٨ ق.م وبعده اشور بانيبال في ٦٦٨ ـ ٦٠٥ ق.م وجرت في عهد هذا معارك كبيرة ما بين العراق وخليج العجم الى الشام وكان النصر حليف الاشوريين في جميع ذلك وبعده خلفه بختنصر في ٦٠٥ ـ ٥٣٧ ق.م قام فيها بختنصر ودوخ جزيرة العرب«٦١» قد رأيت فيما تقدم ان جزيرة العرب مما يلي العراق اصبحت في القرن التاسع قام مرسحا لملوك اشور يكتسحونها الواحد بعد الاخر وقبائلها تؤدي الجزية ولو مؤقتا على غير نظام وخلف الدولة الاشورية على البحرين مادان بن يعفر المعروف بذي رياش كما يأتي بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل التاسع
الدولة الحميرية تستولى على البحرين نحو سنة 520 ق.م

لم يحدثنا التاريخ عن استيلاء هذه الدولة على البحرين كيف ومتى وممن، وكل ما انبأنا به التاريخ بهذا الصدد هو ان الملك«٦٢» مادان بن حمير المعروف بذي رياش قد استولى على البحرين وما جاورها وهذا الملك«٦٣» وملكة في اليمن في سنة ٥٢٠ ق.م الى سنة «٦٤» ولا نعلم بالتحقيق هل كان استيلاؤه عليها من ايدي الاشورين حيث قد انقرضت دولتهم نحو سنة ٥٣٠ ق.م او في يدي حكومة فارس بعد ان استولت عليها كما استولت مملكة بابل واشور وبسببها انقرضت هذه الدولة او كان استيلاؤه عليها من اهاليها اذ ربما كانوا حين سمعوا بانقراض الدولة الاشورية استقلوا ببلادهم كل هذه الوجوه محتملة على الخصوص الاخر.

الفصل العاشر
في استيلاء الدولة الفارسية على البحرين في 530 - 331 ق.م

وملك فارس يجمع شتات ملكه حتى تم له تثبيت قواعده ثم شرع بمناوشة جيرانه مملكة اشور وبابل ومن جاور مملكة فارس وقويت شوكتها وذلك بعد هلاك بختنصر وضعف دولته وبعده قام كورش بفتوحات كبيرة حتى استولى على اشور وذلك نحو سنة ٥٣٠ ق.م فاستولى على البحرين وضفاف الخليج الفارسي وبقيت البحرين تحت حكم الدولة الفارسية الى آخر حياة دارا بن اردشير الثالث وفي اخر مدة هذه الملك قضى الفاتح العظيم الاسكندر المكدوني : : : العظيمة وما جاورها في الممالك وذلك في سنة ٣٣١ ق.م وبحسب القرائن ان مدة هذين القرنين لم تصف فيها فارس: : : وممتلكاتها الخارجة في منازع لدوام الحرب بينها وبينهم بحسب الفرص السانحة ويغلب على الظن ان الدولة: : : بن القرنين كانت في موقف المنافس لفارس في مستعمراتها لاشتغال الاخير بغزوها لليونان وغيرهم: : : الغربية فربما كانت كفة الدولة الحميرية هي الراجحة في بعض الاحيان بهذه الجهات وقد خلف الدولة الفارسية على: : : الاسكندر في الشرق سنة ٣٣١ كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي ان شاء الله تعالى.

٦١ ـ العرب قبل الاسلام.
٦٢ ________
....
٦٣ ــــ «دارا» كان في ايام داريوس/ الارب.
٦٤ ـ وهو الذي حارب النعمان بن يعفر في صغره فلما كبر هذا حبس ذا رياش.

الفصل الحادى عشر
استيلاء اليونان على البحرين فى 331 تقريبا

: : : قائد الاسكندرية فى وأس الاسطول اليونانى فاستولى على البحرين عملا بامر مولاه الاسكندر بن فيلبس المكدوني المشهور : : وذلك انه بعد ان تم له فتح مملكة فارس بعد قتل دارا الثالث واخضع كل البلاد التى كانت تدين لبابل : : : فى العراق وجانب من الهند سنة ٣٣١ ق.م ثم ارسل فى الهند اسطولا بقيادة نيارخوس أشهر قواده لدخول الخليج كل فريق على العصيان فى البلاد الواقعة على الخليج : : : وفعلا جاء الاسطول المذكور بقيادة القائد الانف الذكر : : : على جميع شواطئه الفارسية والعربية وتفقد جزره ومعابره وكتب القائد المذكور نيا رخوس بعض الايضاحات. . وبلدانه لذلك العهد ولم يذكر فيها كما لم يذكر احد فى المؤرخين انه جرت بالخليج محاربات بين اهالى الخليج : : بل الظاهر مما حرره القائد ان زيارته لهذه النواحى كانت سلمية مما يدل على ان البلدان كلها كانت قد : : : الفاتح الاكبر الاسكندر بمجرد سقوط عاصمة والعراق فى قبضة يده سنة ٢٣ ق.م وقد بلغ ما فتحه الاسكندر : : : فارس الى الهند ولما مات الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م تجزأت هذه المملكة بعده بين قواده فكان يطلق على هذه ملوك الطوائف وبقيت مدة خمسة قرون يتقلص ظلها شيئا فشيئا حتى انقرضت سنة : : : وكانت مملكة الفرس : : : فوطد ملكه وكان فى القواد العظام واستخلص اكثر فتوحات الاسكندر وهاجم الهند وخلفه ابناؤه على هذه : : فى الفرس تحت نير الأستعباد ولم يستقلوا الا على يد قورش وقيل على يد ازدشيربن بابك وذلك سنة ٢٢٦م : : اليونان سنة ١٠٠ ق.م تقريبا ك ما سياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثاني العاشر
فى استقلال العرب بالبحرين فى180 ق.م الى 226 ب م تقريبا

: : : وغيرها فى تهامة واليمن والعراق بعد موت بختنصر سنة ٥٣٧ ق.م ونزلت منهم طوائف استولوا على البحرين فاستقلوا بها بعد ان حاربوا عمال ملوك الطوائف وطردوهم : : : ق.م تقريبا ونحو سنة ٧٠.ب.م تقريبا هاجموا ملوك الطوائف فى العراق وكونوا لهم فيها دولة كما سياتى بيانه فيما يلى فكانت البحرين تحت حكم العرب مستقلين بها مدة لا تقل عن : : :

قال ابن خلدون وابن الاثير فى تاريخها رواية عن محمد بن هشام بن الكلبي قال. لما مات بختنصر الذين اسكنهم الحيرة حين غزى جزيرة العرب الى اهل الانبار ومعهم من انضم اليهم من بني اسماعيل وبنى معد وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا واهلها بالانبار لا يطلع عليهم قادم من العرب ثم لما كثر اولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ومزقتهم الحروب خرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم فى بلاد اليمن ومشارف الشام وانتقلت منهم قبائل فنزلوا البحرين وبها يومئذ قوم من الازد نزلوها ايام خروج فريقيا فى اليمن وكان الذين اقبلوافى تهامة من العرب مالك وعمرو ابناء فهم بن تيم اللاة بن اسد بن وبرة بن قضاعه وابن اخيهما مالك بن زهير بن عمرو بن فهم فى جماعة من قومهم والحيقاد بن الحنق بن عمر بن قبيص بن معد بن عدنان فى قبيص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثنان بن عوذ مناة بن يقدم بن افصى ابن دعمي بن اياد بن نزار

بن معد بن عدنان وغيره فى اياد وزهير بن الحرث بن اليل بن زهير بن اياد واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على المقام وتعاقدوا على : : : والتساعد فصاروا يدا واحدة وضمهم اسم

تنوخ وتنخ عليهم بطون فى نماره بن لخم ودعى مالك بن زهير جاره بن مالك بن فهم بن غانم بن اوس الازدى الى التنوخ معه وزوجه اخته لميس فتنخ جذيمة وكان اجتماعهم ايام الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة فى الارض : : منهم يغير على صاحبه ويرجع على اكثر من ذلك فتطلعت نفوس العرب بالبحرين الى ريف العراق وطمعوا فى غلبتهم عليه او مشاركتهم فيه واهتبلوا الخلاف الذى كان بين ملوك الطوائف فسيأتى تمام الخبرة فى الفصل الآتى ان شاء الله تعالى.

الفصل الثالث عشر فى
البحرين تهاجم العراق

لما اجمع رؤساء العرب الذين قد مناخبرهم فى الفصل السابق على المسير الى العراق«٦٥» بحسب روايتهم المتقدمه فسار منهم الاول الحيقاد بن الحنق فى اشلاء قنص بن معدومن معهم من اخلاط الناس فوجد الارمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردواتيين وهم ملوك : : : وهو ما بين نفز وهى قرية من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم والارمانيون من بقايا ارم فلهذا سموا الارمانيين وهم نبط السواد ثم طلع مالك وعمر وابناء فهم بن اللاة وغيرهم من تنوخ الى الان : : : الارمانيين وطلع

نماره ومن معه الى نفز على ملك الاردوانيين وكانوا لا يدينون للاعاجم : : وهو اسعد أبو كرب مليكيكرب فى جيوشه فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسارتبع : : : فاقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل ونزلت تنوخ فى الانبار الى الحيرة : : : بيوت المدر . فكونوا لهم دولة على عهد ملوك الطوائف استمرت مستقلة واول ملوكهم : : : اخوه عمرو بن فهم ثم من بعده ابن اخيه جذيمة الابرش وطالت مدته ثم خلفه ابن اخته على : : : ابن الاثير فى تاريخه ان عمرو بن عدى كان ملكه فى الحيرة قبل

اردشير بن بابك بخمس وتسعين فكان فى جملة من اغتنم هذه الفرصة أهل البحرين فانهم قاموا على عامل الفرس فطردوه واستقلوا بالبلاد وملكوا عليهم عمرو بن تميم بن مر اختاروه لانه كان شيخا طاعنا فى السن قد حنكته التجارب والسنون التى مرت عليه وقيل ان سنة حينئذ يناهز الثلاثمائة عاما، ثم لم يقفوا عند هذا الحد من الاستقلال بل طمعوا فى غزو فارس كما طمع فيها غيرهم من الملوك والقبائل وكانت العرب اقرب الكل الى مملكة فارس فسارجمع عظيم منهم فى البحر تحت قيادة امراء بنى عيار وعبدالقيس واهل البحرين الى بلاد فارس فنزلوا «بوشهر» وسواحل «اردشيرخرة» وغلبوا اهلها على مواشيهم ومعايشهم واكثروا العبث والفساد ومكثوا حينا لا يغزوهم احد من الفرس لصغر ملكهم وذلك من سنة ٣٠٩م الى سنة ٣٢٥م حين شعر سابوراذ بلغ سنه ست عشر سنة وسمع يوما ضوضاء وجلبة فسأل عن الباعث لهذه الضوضاء فقيل له لازدحام الناس على الجسر فقال لينصب جسر آخر ليكون احدهما للذاهب والاخر للاتى فاستصوبوا منه هذا الفكر ثم لما بلغه ما فعله العرب بملكه آلا على نفسه ان ينتقم منهم اشد انتقام وفعلا نفذ ما الابه على نفسه وسياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

٦٥ ـ ابن خلدون وابن الاثير

الفصل الرابع عشر

فارس تنتقم من العرب وتسترجع البحرين

ولما بلغ سابور من العمر ست عشر سنة كما قدمنا جمع رؤساء مملكته واستشارهم فيما فعل العرب من العبث والفساد فى ملكه فاجمع رأيهم على تأديب العرب فانتخب من فرسان عسكره وحدة اختارها وسار بهم الى العرب لينتقم منهم فقتل من وجد منهم فى سواحل فارس، ولم يبق على احد واسر واكثر من القتل، ثم قطع البحر الى القطيف والاحساء فقتل من كان بها من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس وأياد عبدالقيس وغور مياه العرب وكان يخلع اكتاف الاسرى وقيل يمزقها فيشد كل اثنين بحبال من الحرير ولهذا عرف بذى الاكتاف ثم قفل الى البحرين ففر من بها من العرب خوفا منه بعد ما بلغهم من افعاله بغيرهم وارادوا ان يحملوا معهم كبيرهم عمرو بن تميم فابي وقال انا هالك اليوم او غد وماذا بقى لى من فسحة عمر ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب على يدى فتركوه وشأنه، فبقى فى زنبيله معلقا فى عمود البيت فلما صبحته خيل سابور واحدقت بالبيت المذكور صاح بهم وطلب ان يأخذوه الى ملكهم ففعلوا واخذوه واحضروه امام الملك فنظر الملك الى دلائل الهرم ومرور الاعوام عليه ظاهرة فقال من انت ايها الشيخ الفانى ولم بقاؤك هنا واين الناس عنك؟ فقال انا عمرو بن تميم بن مر وقد بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس منك لاسرافك فى القتل وشدة عقوبتك اياهم فاثرت الفناء على يديك لتبقى على من مضى من قومى ولعل الله ملك السماوات والارض : : : على يديك فرجهم ويصرفك عما انت بسبيله من قتلهم وانا سائلك عن امرين ان اذنت فقال قل يسمع لك قال ما الذى يحمل الملك على قتل رعيته ورجال العرب، فقال قتلتهم لما ارتكبوه من اخذ بلادى والنكاية فى اهل مملكتى : : فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم فلما بلغت بقوا على ما كانوا عليه من الفساد هيبة قال سابورولانا ملوك الفرس نجد فى مخزون علمنا وما سلف من اخبار اوائلنا ان العرب ستدال علينا فتكون لهم الغلبة على ملكنا فقال وهذا امر تتحققه ام تظنه قال بل اتحققه لابد ان يكون، قال ان كنت تعلم انه لابد كائن فلم تسيء الى العرب والله لان تبقى على العرب وتحسن اليهم ليكافؤك عند ادالة الدولة لهم على قومك باحسانك، وان انت طالت بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم فيبقون عليك وعلى قومك ان كان الامر كما تقول فهو احزم فى الرأى وانفع فى العاقبة وان كان باطلا فلم تستعجل الاثم وتسفك دماء رعيتك، فقال سابور الامر صحيح والرأى ما قلت والحزم اتباع ما به اشرت ولقد صدقت فى القول ونصحت فى الخطاب وامر المنادى ينادى فى اطراف البحرين بالامان فى الناس ورفع السيف والكف عن القتل ويقال ان عمرو بقى بعد هذا ثمانين عاما والله تعالى اعلم(٦٦) وكان ذلك نحو سنة ٣٢٥ وبقيت البحرين وما جاورها من جملة اعمال مملكة الساسانية الفارسية فلبثت تحت حكمهم نحو قرن كامل او يزيد ثم خضعت للدولة الحميرية الثانية او ملوك كندة كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس عشر

كنده تسود على البحرين

ونحو سنة ٣٣٠م وقعت البحرين وما ولاها تحت سيادة ملوك كنده، واصل كنده فيما رواه الثقاة من البحرين والمشقر وانهم اجلوا عنها الى حضرموت وعددهم ثلاثون الف

٦٦ – ملخصا عن ابن الاثير وابو الفدا والمسعودى وسرجان ملكم وتاريخ ايران.

نفس فى زمن لا يمكن تحديده وربما كان ذلك حين اجلتهم عبدالقيس من البحرين فاقاموا هناك ما شاء الله تعالى واتفق على عهد حسان بن تبع ملك حمير ان حجر بن عمرو سيد كنده دخل فى خدمته لقرابة بينهما، ولما طلب العرب منه تعيين ملكا عليهم ولاه عليهم. والسبب فى ذلك ان سفهاء بكر غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الامر واكل القوى الضعيف فنظر العقلاء فى امرهم فراوا ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى ورأوا مع ذلك ان هذا لا يستقيم بان يكون الملك منهم اذلا يطيعه قوم الا ويخالفه اخرون، فاجمعوا على ان يسيروا لتبع اليمن، وكان التبابعة للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا اليه ان يولى عليهم ملكا وكان حجر بن عمرو آكل المرار ذا رأى ووجاهة فولاه عليهم كما تقدم فقد حجر الى نجد ونزل بطن عاقل وكان اللخميون قد ملكوا كثيرا من تلك البلاد ولاسيما بلاد بكر بن وائل فنهض حجر بهم وحارب اللخميين وانقذ ارض بكر منهم فاجتمعت كلمة القوم على احترامه ومازال كذلك حتى مات ودفن فى بطن عاقل وذلك نحو سنة ٤٥٠ م، فخلفه على الملك ابنه عمرو بن حجر ويسمونه المقصور لانه اقتصر على ملك ابيه فلما مات سنة ٤٩٠م خلفه ابنه الحارث بن عمرو وكان شديد الملك واسع الصوت كبير المطامع وفى ايامه فتح الاحباش اليمن واذهبوا دولة حمير فضعف شأن كنده لانها تنتمي اليها فوجه الحارث التفاته الى بنى لخم وكان يحسدهم على تقربهم من الاكاسرة، وما زال يترقب الفرص حتى رأى تغير قباذ على المنذر بن ماء السماء لسبب الدعوة المزدكية التى تعصب لها كسرى قباذ واضطهد الرعية على قبولها، وكان المنذر ممن نفر منها والحارث الكندى وافق كسرى قباذ عليها وتولى على الحيرة بعد ان طرد عنها المنذر فعظم الحارث فى اعين القبائل واستضعفوا بنى لخم وتوافدوا اليه وفيهم الاشراف من معد يهنئونه ويتقربون اليه بالطاعة وطلبوا منه ان يولى عليهم من ابنائه من يحكمهم ليبطل ما قام بينهم من الفتن والقتل، ففرق فيهم اربعة من بنيه تولى كل منهم بعض تلك القبائل على هذه الصورة حجر بن الحارث تولى بنى اسد بن جذيمة وغطفان توفى سنة ٥٥٠م. شرحبيل بن الحارث تولى بكر بن وائل باسرها معد بكرب بن الحارث تولى قيس عيلان وطوائف غيرهم. سلمة بن الحارث تولى تغلب والنمر بن قاسط. اما ابوهم الحارث فلم يطل سلطانه على الحيرة فما هو الا ان مات قباذ وتولى انوشروان سنة :: م حتى ارجع المنذر بن ماء السماء وفر الحارث بماله واولاده على الهجن فتبعه المنذر على الخيل من تغلب وإياد وبهراء، فلحق بارض كلب ونجى فانتهبوا ماله وهجانه وأخذت تغلب ثمانية واربعين نفسا من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابناء الحارث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم فى ديار بنى مريناو فى ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بنى حجر بن عمرو	يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة اصيبوا	ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسيل	ولكن فى الدماء مزملينا
تظل الطير عاكفة عليهم	وتنتزع الحواجب والعيونا

اما الحارث فظل فى بنى كلب حتى قتل فيهم وبقى اولاده الاربعة على ما ملكوه ولكن موت ابيهم اضعف نفوذهم وعمل المنذر على الانتقام لنفسه منهم بالاغراء بينهم حتى قتل منهم شرحبيل فى يوم ذى الكلاب وقتل سلمة فى واقعة يوم اوارة فلما قتل هذين وذهب سلطانهما اضعف ذلك نفوذ اخويهما ولما راى بنواسد تضعضع شأن الدولة تنكروا بحجر ملكهم وساءت سيرته فيهم فاجتمعوا على خلافه وبعد ان نكل بهم تربصوا به

وقتلوه فانهزم رجاله وهو والد امرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور الذى قام لطلب ثأر ابيه حتى قضى فى مملكة الروم فى خبر يطول اضربنا عن ذكره: فتضعضعت دولة كندة ولم يبق من ملوكها غير معد يكرب على قيس عيلان وامراء صغار لهم سيادة على بعض القبائل هى بقية نفوذ ابائهم وربما حكم الواحد منهم بلدا او واديا واشهر فروع تلك الدولة اربعة فى الاماكن الاتية«١» بدومة الجندل «٢» بالبحرين «٣» نجران «٤» بغمر ذى كنده وكل من هذه الفروع دولة صغيرة قائمة بنفسها حتى ظهر الاسلام فذهبت جميعها، وذكر اليعقوبي والقفطى فى طبقات الحكماء. ان مرتع بن معاوية بن ثوز اول من ملك على معد ومدة ملكة عشرون سنة واللذين وليا بعده مدتهما قليلة وهما ثور بن مرتع ومعاوية بن ثور والحارث بن معاوية بن ثور وهذا ملك اربعون سنة ومعاوية بن الحارث بن معاوية وقيل وهب بن الحارث وملك ثلاثون سنة وهولاء كانوا ملوكا على معد بالمشقر واليمامة والبحرين، وقيل غير ذلك فقد ذكر الدينورى فى اخباره الطوال. ان مرتد اللات تنوف ذوشناتر ملك عنس ويحابر استولى على عمان واليمامة والبحرين وكان عظيم الملك كثير الجند ولكن لم نقف على زمن استيلاءه على البحرين وأما استواؤه على عرش الدولة الحميرية فهو فى نحو سنة ٤٨٠م وقتل نحو سنة ٥١٥م وبعد مقتله وقعت القلاقل فى اليمن على وجه التوفيق بين ما سبق بيانه والرواية الثانية ان ملوك كندة هم كعمال لحمير كما كان المناذرة اللخميون عمالا على العرب للاكاسرة. ويقال ان فارس استرجعت البحرين بعد ان تم للنعمان انتقامه من الكنديين وسيأتي بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل السادس عشر

فارس تسترجع البحرين

لما هلك كسرى قباذ خلفه كسرى انوشروان سنة: : : فطرد الحارث الكندى كما تقدم وأعاد المنذر بن ماء السماء فقام هذا مجردا سيف انتقامه على ملوك كنده الحارث واولاده حتى تم له ما اراد وهنا لم تصرح لنا كتب التاريخ هل استعادت فارس البحرين ام لا؟! ولكن الراجح انها استعادتها وذلك لان الحارث الكندى واولاده كانوا كعمال لقباذ والد انوشروان فسواء كان امراؤها كنديين ام لخميين فهم يعملون لدولة الفرس الا ان يكون اميرها الكندى قد استقل بها بعد طرد ابيه ولكن المؤرخين ذكروا ان عامل كسرى انو شروان على البحرين كان ازاد بن فيروز بن جتيش المعروف عند العرب بالمكعبر: والخبر المتقدم فى الفصل السابق يفيدنا ببقاء البحرين تحت امرة احد ابناء الحارث الكندى كما تقدم حتى زمن الفتح الاسلامي: ولما مات المنذر سنة: : : خلفه ابنه مضرط الحجارة عمرو بن المنذر ومدة ولايته ١٣ سنة ثم خلفه اخوه قابوس اربع سنين وقيل لم يتول ثم المنذر بن المنذر ثلاث سنين ثم خلفه النعمان بن المنذر وكنيته ابو قابوس ومدة ولايته ٢٢ سنة وقتله كسرى ابرويز سنة ٦١٣ م وبسبب مقتله كانت وقعه ذى قاربين الفرس والعرب ثم انتقل الملك على الحيرة والعرب من اللخميين بعد النعمان المذكور الى اياس بن قبيصة الطائى ولستة اشهر من ملكه بعث النبي (ﷺ) وفى وقعة ذى قار انتصرت بكر بن وائل على الفرس واستقلت بالبحرين وما يليها كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل السابع عشر

بكر بن وائل تنتصر على الفرس وتستقل بالبحرين

لما قتل كسرى ابرويز النعمان بن المنذر سنة ٦١٣ كما تقدم استعمل اياس بن قبيصة الطائي على الحيرة مكانه وامره ان يجمع ما خلفه النعمان ويرسله اليه فبعث اياس الى هانى بن مسعود بارسال ما استودعه النعمان فابى فغضب كسرى واذ كانت شيبان وبكر بن وائل نزولابذى قاربعث اليهم كسرى ان يسلموا ما خلفه النعمان عندهم او الحرب، فاختاروا الحرب فحمل عليهم اياس بن قبيصة ومعه جند الفرس والعرب واياد بالافيال والعدة الثقيلة فتواقعوا فانهزم الفرس بصفوفهم وخيولهم، وثبت العرب ثباتا جيلا فانتصروا وفر الفرس مع كثرة عددهم، وقد انتصرت فيه العرب على الفرس ونقمت سائر العرب على اياس وكان ذلك سنة ٣ للبعثة وفيه قال النبي (ص) اليوم انتصفت العرب من العجم واستقلت بنو شيبان وبكر بن وائل بالبحرين وما يليها الى سنة ٦ هـ وقيل سنة ٨ هـ وقيل بل ما برحت البحرين تحت تصرف الفرس حتى اسلمت وربما كان العرب انما استقلوا بالبوادى وما جاورها وربما كان المؤرخون بنو استدلالهم ببقاء البحرين تحت سلطة الفرس على وجود عمال الفرس فيها الى زمن الفتح الاسلامي، ويحتمل ان تكون البحرين استقلت وان العمال بقوا فى مراكزهم يعملون لامر العرب منضمين اليهم بالاستقلال والله اعلم بحقيقة الحال.

الباب الثانى

الفتح الاسلامي وفيه فصول

الفصل الاول

فى مجيء العلاء ابن الحضرمي الى البحرين

لما كانت(٦٧) سنة ٨ هـ وجه رسول الله (ص) العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمى حليف بني عبدشمس الى البحرين لدعوة اهلها الى الاسلام والجزية، وكتب الى المنذر بن ساوى والى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما الى الاسلام او الجزية فاسلما واسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم، فأما اهل الارض من المجوس واليهود والنصارى فانهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته. بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي اهل البحرين، صالحهم على ان يكفونا العمل ويقاسمونا التمر، فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين(٦٨): ٢

واما جزية الرؤوس فانه اخذ لها من كل حالم دينارا: وعن العباس بن هشام عن ابيه عن الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس قال كتب رسول الله (ص) الى اهل البحرين بعد البسملة: اما بعد فانكم اذا أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوه ونصحتم الله ورسوله وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ولم تمجسوا اولادكم فلكم ما اسلمتم عليه غير ان بيت النار لله ورسوله وان ابيتم فعليكم الجزية: ويقال ان ذلك سنة ٦ هـ.

وقال ابن الاثير فى تاريخه. واما المنذر بن ساوى والى البحرين «حين اتاه كتاب رسول الله (ص) السابق، فلما اتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام والجزية وكانت ولاية البحرين للفرس، فاسلم المنذر بن ساوى واسلم جميع العرب بالبحرين فأما اهل البلاد من النصارى واليهود والمجوس فكأنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية كل حالم دينارا ولم يكن بالبحرين قتال انما بعضهم اسلم وبعضهم صالح:

وفى سنة ١٠ هـ مضى وفد من البحرين الى النبي (ص) بالمدينة وسأتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثانى

فى وفد عبد قيس البحرين على النبي (ص) بالمدينة

قال صاحب السيرة الحلبية وايضا فى السيرة الدحلانية: وفد عبدالقيس وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال ابياتا خاطب بها النبي (ص) منها قوله

يا نبي الهـــدى اتاك رجـال　　قطعت فد فـــدا والا فآلا

نتقى منه وقع يوم عبـــوس　　اوجل القلب فى ذكره ثم هالا

وذكر بعضهم ان وفد عبدالقيس كان قبل فتح مكة ويمكن ان وفادتهم تكررت وجزم بذلك فى المواهب، وجاء فى رواية انه (ﷺ) بينما هو يحدث اصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير اهل المشرق. وفى رواية يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا الركائب وافنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر (رض) فتوجه نحو مقدمهم فلقى ثلاثة عشر راكبا وقيل عشرين وقيل اربعين رجلا فقال من القوم

٦٧ ـ فتوح البلدان البلاذرى.

٦٨ ـ وذكر ابن الشحنه فى تاريخه: وفى سنة ٥٠٧ ارسل النبى (ص) العلاء بن الحضرمى الى ملك البحرين المنذر بن ساوى فاسلم هو وجميع عرب البحرين.

قالوا من بني عبدالقيس فقال اما ان النبي (ﷺ) قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي (ﷺ) فقال لهم من القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى، فقالوا يا رسول الله أنا نأتيك من شقة بعيدة اى لان مساكنهم بالبحرين وانه يحول بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لانتصل اليك الا فى شهر حرام. . الخ. وقد كانوا دخلوا عليه بثياب سفرهم وكان فيهم عبدالله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان اصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي (ﷺ) واخرج ثوبين ابيضين فلبسهما، ثم جاء يمشى حتى اخذ بيد رسول الله (ﷺ) فقبلها وكان رجلا دميا ففطن لنظر رسول الله (ﷺ) الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقى من حولك الرجال (اى لا يشرب فى جلودهم) انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فقال له رسول (ﷺ) ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناه فقال يار سول الله انا أتخلق بهما ام الله جبلنى عليهما، قال (ﷺ)بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله، وبعد ان سألوه بجملة مسائل. واجابهم عنها علمهم الاسلام واوامره ونواهيه فاسلموا على يده الشريفة وحسن اسلامهم. انتهى ببعض التصرف الذى لا يمس المعنى.

الفصل الثالث
فى ولاة النبي (ﷺ) على البحرين ومبلغ خراجها

كان اول عامل عليها المنذر بن ساوى: وبحذف الاسناد عن عمرو الناقد يوصله الى موسى ابن عقبة ان النبي (ﷺ) كتب الى المنذر بن ساوى من محمد النبي (ﷺ) للمنذر بن ساوى لم انت فانى أحمد اليك الله الذى لا آله الا هو اما بعد فان كتابك جاءنى وسمعت مافيه فمن صلى صلواتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم ومن ابى ذلك فعليه الجزية. ثم ولى عليها العلاء الحضرمى: عن الحسين بن الاسودعن ـ عبيد الله بن موسى عن شيبان النحوى عن قتاده قال لم يكن بالبحرين ايام رسول الله (ﷺ) قتال ولكن بعضهم اسلم وبعضهم صالح العلاء على هذا فى الحب والتمر وفى رواية اخرى عن العلاء بن الحضرمى قال بعثنى رسول الله (ﷺ) الى البحرين وكنت اتي الحايط بين الاخوة قد اسلم بعضهم فاخذ فى المسلم العشر وفى المشرك الخراج: وعن شيبان بن فروخ يرفعه الى حميد بن هلال قال بعث العلاء الحضرمى الى رسول الله (ﷺ) مالا من البحرين يكون ثمانين الفا ما اتاه اكثر منه قبله ولا بعده فاعطى منه العباس عمه . . قالوا وعزل رسول الله (ﷺ) العلاء الحضرمي ثم ولى البحرين ابان بن سعيد بن العاصى بن أميه وقوم يقولون ان العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف وان ابان كان على ناحية اخرى فيها الخط والأول اثبت ولما توفى رسول الله(ﷺ) خرج ابان من البحرين فاتى المدينة .«٦٩» وذلك لاسباب ردة اهل البحرين.

الفصل الرابع
فى ردة اهل البحرين

لما قدم الجارود بن المعلى العبدى على النبي (ﷺ) وتفقه ردّه الى قومه عبدالقيس فكان فيهم حتى مات النبي (ﷺ) وكان المنذر بن ساوى العبدى فمات بعد النبي (ﷺ) بقليل فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده اهل البحرين فأما بكر فتمت على ردتها وأما عبد القيس فانهم جمعهم الجارود فكلمهم بما معناه ان جميع من بعثهم الله من الانبياء قبل

٦٩ ـ قال ابن عساكر فى تاريخه. لما صدر الثامن من الحج سنة تسع بعث رسول الله أبان بن سعيد الى البحرين عاملاً عليها، فسأله أبان أن يحالف عبدالقيس فأذن له بذلك وقال يا رسول الله اعهد الى عهدا فى صدقاتهم وجزيتهم وما اتجروا به من كل حالم من يهودى او نصرانى او مجوسي دينارا الذكر والانثى. وكتب رسول الله الى مجوس هجر يعرض عليهم الاسلام فان ابوا اعرض عليهم الجزية بان لا تنكح نسائهم ولا تؤكل ذبائحهم وكتب له صدقات الابل والبقر والغنم على فرضها وسنتها كتابا منشورا مختوما فى اسفله، وخرج ابان بن سعيد بلواء معقود ابيض وراية سوداء يحمل لوائه رافع مولى رسول الله (ﷺ)، فلما أشرف على البحرين تلقته عبدالقيس حتى قدم على المنذر بن ساوى بالبحرين، فاستقبله المنذر على ليله فى منزله ومعه ثلاثمائة من قومه فاحتفا ورحب به وسأله عن رسول الله (ﷺ) ثم ثناه فى المسألة فاخبره ابان بذكر رسول الله (ﷺ) اياه، وانه قد شفعه فى قومه، واقام ابان بالبحرين ياخذ صدقات وجزية معاهديهم وكتب الى رسول الله (ﷺ) يخبره بما اجتمع عنده من المال فبعث رسول الله (ﷺ) أبا عبيدة الجراح الى البحرين فاحتمل ذلك المال: وقال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لما استعمل النبي (ﷺ) أبان بن سعيد على البحرين قالوا يا رسول الله اوصه بنا فاوصاه بهم وقال أبان يا رسول الله اوصهم بى فاوصاهم به: وذكر ابن حجر فى اصابته ابن عبدالله بن سوار من عمال النبي على البحرين وانه كان رقى لأبان بن سعيد بن العاص.

محمدقد ماتوا ومات محمداً فمن كان يعبد محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فأنه حي لا يموت فلما سمعو: : حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمي«٧٠» وفى نقل اخر لما مات المنذر بن ساوى بعد وفاة النبي (ﷺ) بقليل ارتد فى البحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابه مع الحطم وهو شرع بن ضبيعه بن مريداحد بني قيس بن ثعلبه وانما سمى الحطم بقوله « قد لفها الليل بسواق حطم» وارتد سائر من بالبحرين من ربيعة خلا الجارودى وهو بشر بن عمرو العبدى ومن تابعه من قومه وامروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر يقال له المنذر فسار الحطم حتى لحق بربيعة فانضم اليها بمن معه وبلغ العلاء بن الحضرمى الخبر فسار بالمسلمين حتى نزل جواثا وهو حصن البحرين قد لفت اليه ربيعة فخرج اليه بمن معه من العرب والعجم فقاتلها قتالا شديداً.

ثم أن المسلمين لجأوا الى الحصن فحصرهم فيه عدوهم، ففى ذلك يقول عبدالله بن حذف الكلابي

الا ابلغ ابا بكر الوكـــا ... وفتيان المدينــة، أجمعينا
فهل لك فى شباب منك أمسوا ... اسارى فى جـواث محاصرينــا

ثم ان العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة فبيت ربيعة فقاتلوا قتالا شديدا وقتل الحطم: وفى خبر آخر اتى الحطم ربيعة وهو بجواثا وقد كفر اهلها جميعا وامروا عليهم المنذر بن النعمان فاقام معهم فحصرهم العلاء حتى فتح جواثا وفض ذلك الجمع وقتل الحطم والخبر الاول اثبت وفى قتل الحطم يقول مالك بن ثعلبة العبدى.

تركنا شريحا قد علته بصـيرة ... كحاشية البرد اليمانى المحـبر
ونحن فجعنا ام غضبان بابنها ... ونحن كسرنا الرمح فى عين حبتر
ونحن تركنا مسمعا متـجدلا ... رهينة ضبع تعـتريه وأنســر :

قالوا وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال لست بالغرور ولكنى المغرور ولحق هو وفل ربيعة بالخط فاتاها العلا ففتحها وقتل المنذر ومن معه وقيل غير ذلك فى قتل المنذر اعرضنا عن التوسع فيه خشية التطويل. وقيل اسلم وحسن اسلامه وهو اثبت. وقد كان العلا كتب الى ابى بكر (رض) يستمده فكتب الى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض اليه فى اليمامة وانجاده فقدم عليه وقدْ قتل الحطم فحضر معه الخط ثم اتاه كتاب ابي بكر بالشخوص الى العراق فشخص اليه من البحرين وذلك فى سنة ١٢ هـ وسناتى بملحوظة على اخبار الردة فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس
فى ملاحظات على أخبار الردة

ان كل مؤرخ محقق اذ جرد نفسه عن الاغراض لابد وان يظهر له ما فى اخبار الردة من التناقض و ان اسدل عليها المؤرخون القدماء حجبا كثيفةنتج عنها تشويه وجوه الحقائق الا انه لا يزال قبس من الحق بين ثنايا صفحات التاريخ باق وان كان ضئيلا. ان اخبار الردة لا تخلو من مبالغات وان اكثر ما اورده التاريخ فى هذا الخصوص لا يلزم ان يكون قضية مسلمة لا يجوز انتقادها وتمحيصها ولا يعقل ان بمجرد ان انتقل النبي (ﷺ) الى الرفيق الاعلى ارتد اكثر جزيرة العرب عن الاسلام وان تصور مثل هذا موجب للشك فى صحة وقوعه والمسألة تحتاج الى تدقيق وتحقيق وتمحيص غثها من ثمينها نعم انه لا ينكر ان هناك من ارتد من العرب عن الاسلام ولكن جميع من قوتلوا كمرتدين فى ايام الردة ليست بصحيحة ردة جميعهم عن الاسلام ان صح على البعض فلا يصح على الكل فان مثل اهل

٧٠ - وقال ابن عساكر فى تاريخه: ولما توفى رسول الله (ﷺ) وارتدت العرب ارتد اهل هجر عن الاسلام فقال ابان بن سعيد لعبدالقيس ابلغونى مأمنى قالوا بل اقم فلنجاهد معك فى سبيل الله فان الله معز دينه ومظهره على ما سواه وعبدالقيس لم ترجع عن الاسلام قال بل ابلغونى مأمنى فاشهد امر اصحاب رسول الله (ﷺ) فليس مثل يغيب عنهم فاحيا بحياتهم واموت بموتهم فقالوا لا تفعل وانت اعز الناس علينا وهذا علينا وعليك فيه مقالة يقول قائل فر من القتال، قال ومشى اليه الجارود العبدي فقال انشدك الله لا تخرج من بين اظهرنا فان دارنا منيعة ونحن سامعون ولو كنت اليوم بالمدينة لوجهك ابوبكر الينا لمحالفتك ايانا فلا تفعل فانك ان قدمت على ابي بكر لامك ولم يقبل رأيك، وقال تخرج من عند قوم اهل سمع وطاعة ثم يرجعك الينا. قال اذا لا ارجع ابدا ولا اعمل لاحد بعد رسول الله (ﷺ) فلما ابى عليهم الا كلمة واحدة قال أبان ان معى مالا قد اجتمع. قالوا احمله. فحمل ما ئة الف درهم وخرج معه ثلثمائة من بنى عبدالقيس خفراء حتى قدم المدينة على ابى بكر فلامه ابوبكر وقال الا تثبت مع قوم لم يرتدوا او قال لم يبدلوا، قال أبان هم على ذلك فما ارغبهم فى الاسلام واحسن نياتهم ولكن لا اعمل لاحد بعد رسول الله (ﷺ): وقال عمر بن الخطاب لأبان بن سعيد حينما قدم المدينة ما كان حقك ان تقدم وتترك عملك من غير اذن امامك، ثم على هذه الحال ولكنك امتنت فقال (ابان) والله ما كنت لا عمل لاحد بعد رسول الله (ﷺ) ولو كنت عاملا لعملت لابى بكر فى فضله وسابقته وقديم اسلامه ولكن لا اعمل لاحد بعد رسول الله (البلاذرى عن ابن الكلبي).

اليمن الذين يقول فيه النبي (ﷺ) الايان يمان ومثل بنى حنيفة قوم مالك بن نويرة (رضى) وموقفه فى اسلامه الصحيح الذى لا يشوبه شك ولا يعتريه تمويه ففى حياة النبي (ﷺ) عاملا له صدقات بنى حنظلة وقوله فى الردة لخالد والله ما ارتددت وشهادة ابوقتادة الانصارى ان بنى حنظلة وضعوا السلاح واذنوا ومثل اهل البحرين الذين اسلموا طوعا واختيارا من غير ان يهددوا بخيل ولا رجال معها تقدم فى حق وفدهم على النبي (ﷺ) المبجل وما استقبلهم به واثنى عليهم فيه كما مر سابقا فان الردة عن الاسلام لهؤلاء غير صحيحة وان منعوا الزكاة ولم يذعنوا للولاة فلا يعني ذلك عبادة غير الله وما ذلك لنكوصهم عن الاسلام وما هو الا لرفضهم الخلافة التى تمت على غير ما يعتقدون وهم على اسلامهم ثابتون لا يتزعزعون وان ما وقع بينهم قد وقع مثله واعظم فى نفس عاصمة الاسلام فوقع الخصام وعلى الشجار بين المهاجرين والانصار والنبي (ﷺ) مسجى جنازة بلا اقبار وبعدها بين هاشم والمهاجرين والادلة ببقائهم على الاسلام قول ابى بكر (رضى) حين سمع مقالة بعض الطوائف نقيم الصلوة ولا نؤدي الزكاة . لو منعونى عقالا لقاتلتهم عليه ودفاع الخليفة الثانى عمر (رض) فى حق مالك بن نويره وطلبه من ابي بكر (رضى) ادانة خالد بهم مالك لكونه قتل مسلما وانتهك حرمته وارجاعه فى خلافته على بنى حنيفة قوم مالك ما اخذ منهم: والخلاصة ان المسألة لم تخرج عن حد كونها فتنة و الله سبحانه وتعالى يقول «**والفتنة اشد من القتل**» ويقول «**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فان الله غفور رحيم**»: هذا ما اردنا ايراده بهذا الخصوص وبما انه ليس لنا قصد الخوض فى هذا البحث الذى ربما مس بعض العواطف ولكنا دفعنا اليه مجبرين حيث ان التاريخ جرح عواطفنا جرحا لا يندمل الى قيام الساعة بما شوهه من فى الحقائق فى نسبته ابائنا الى الارتداد عن الدين بعد ان اسلموا طائعين مختارين غير مكرهين ولو كانت حقيقة لقبلناها رغم انفنا لان اثمها ونقصها على مرتكبها لا علينا لا يضار والد بولده ولا مولود بوالده ولكن بعدها عن الحق كبعده عن الباطل ومع ذلك فانا مررنا عليها مر الكرام واجتزناها اجتياز حذر من وقوع الخصام متجنبين جرح العواطف جهد الامكان ونستغفر الله ونتوب اليه فى هفوات اللسان وعثرات الاقلام.

الفصل السادس
ولاة الخليفتين ابي بكر وعمر على البحرين وبقية اخبار الردة

بعد الردة سأل اهل البحرين ابا بكر (رضى) ان يرد عليهم العلاء بن الحضرمى فرده عليهم فكان عامله على البحرين«٧١» فعمل العلاء مدة خلافة ابى بكر الى ان تولى الخلافة عمر بن الخطاب (رضى) فابقى العلاء بن الحضرمى على عمله: قالوا وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذى كان وجهه لقتل بني تيم حين عرضوا لعيره واسمه «ارنادبن فيروز بن حشيش بالزاره وانضم اليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من اداء الجزية فقام العلاء على الزارة فلم يفتحها فى خلافة ابى بكر وفتحها فى اول خلافة عمر وفتح العلاء السابون ودارين فى خلافة عمر عنوة وهناك موضع يعرف بخندق العلاء: وقال معمر بن المثني. غزى العلاء بعبد القيس قرى من السابون فى خلافة عمر بن الخطاب ففتحها ثم غزى مدينة الغابة فقتل من بها من العجم ثم اتى الزاره وبها المكعبر فحصره ثم

٧١ ــ وقال ابن عساكر فى تاريخه: بعد ان قدم ابان بن سعيد المدينة كما سبق وقال لا اعمل لاحد بعد رسول الله (ﷺ) شاور ابو بكر اصحابه فيمن يعمل الى البحرين فقال عثمان بن عفان ابعث رجلا قد بعثه رسول الله (ﷺ) اليهم فقدم عليهم باسلامهم وطاعتهم وقد عرفوه وعرفهم وعرف بلادهم يعنى العلاء بن الحضرمى فابى عمر ذلك وقال اكره أبان بن سعيد فانه رجل قد حالفهم فابى ابوبكر ان يكرهه وقال لا افعل. لا اكره رجلا يقول لا اعمل لاحد بعد رسول الله (ﷺ) واجمع ابوبكر بعثه العلاء بن الحضرمى الى البحرين.

ان مرزبان الزارة دعى الى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله واخذ سلبه فبلغ اربعين الفا ثم خرج رجل من الزاره مستأ منا على ان يدل على شرب القوم فدله على العين الخارج من الزاره فسدها العلاء فلما راوا ذلك صالحوه على ان له ثلث المدينة وثلث ما فيها من ذهب وفضة وعلى ان يأخذ النصف مما كان لهم خارجها واتى الاخنس العامرى العلاء فقال له انهم لم يصالحوك على ذراريهم وهم بدارين ودله كراز النكرى على المخاضة اليهم فتقحم العلاء فى جماعة من المسلمين البحر فلم يشعر اهل دارين الا بالتكبير فخرجوا فقاتلوهم من ثلاثة اوجه فقتلوا مقاتلتهم وحووا الذرارى والسبى ولما رأى المكعبر ذلك أسلم وقال كراز

هاب العلاء حياض البحر مقتحما　　فخضت قدما الى كفار دارينا

وغزى العلاء فارس باهل البحرين كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل السابع
البحرين تغزو فارس على عهد عمر

ارادالعلاء بن الحضرمى ان يصنع فى الفرس شيئا وذلك منافسة للقائد الذى وجهه عمر لغزو فارس وما قام به من الفتوحات. ولم ينظر فى الطاعة والمعصية وقد كان عمر نهاه عن الغزو فى البحر ونهى غيره ايضا خوف الغرر فندب العلاء الناس لغزو فارس فاجابوه وفرقهم اجنادا على احدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الاخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر وبازائهم اهل فارس وعليهم الهربذ فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد فى الناس فخطبهم ثم قال اما بعد فان القوم لم يدعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فاجابوه الى ذلك ثم صلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا بمكان يدعى طاووس فقتل سوار والجارود وكان خليد قد امر اصحابه ان يقاتلوا رجاله ففعلوا فقتل من اهل فارس مقتله عظيمة ثم خرجوا يريدون البصرة ولم يجدو الى الرجوع فى البحر سبيلا واخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر صنيع العلاء ارسل الى عتبة بن غزوان يامره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا فجاءتهم الأمدادات وفتح الله على المسلمين: ويقال ان العلاء لم يزل واليا على البحرين حتى توفى سنة ٢١ هـ فولى عمر مكانه ابا هريرة الدوسي. ويقال ايضا ان عمر ولى ابا هريرة قبل موت العلاء فاتى العلاء توج من ارض فارس وعزم على المقام بها قال ثم رجع الى البحرين فمات هناك وكان ابوهريرة يقول دفنا العلاء ثم احتجنا الدفع لبنة فرفعناها فلم نجده فى اللحد: وقال ابو مخنف كتب عمر بن الخطاب الى العلاء بن الحضرمى وهو عامله على البحرين يامره بالقدوم عليه وولى عثمان بن ابى العاصى الثقفى البحرين وعمان فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل اليها حتى مات وذلك فى سنة ١٤هـ او فى اول سنة ١٥ هـ ثم ان عمر ولى قدامه بن مظعون الجمحى جباية البحرين وولى ابا هريرة الاحداث والصلوة ثم عزل قداحة وحده على شرب الخمر واعاد العلاء وولى ابا هريرة الصلوة والاحداث«٧٢» ثم عزل ابا هريرة وقاسمه ماله ثم ولى عثمان بن ابى العاصى البحرين وعمان ومات عمر وهو واليه عليها وكان خليفته على عمان والبحرين وهو بفارس اخوه مغيرة بن ابى العاصى ويقال حفص بن ابى العاصى. وفى خبر مرفوعا الى ابن

٧٢ ـ وقال ابن حجر فى اصابه: عياش بن ابى ثور ولاه عمر البحرين قبل قدامه بن مظعون.

سيرين عن ابى هريرة انه لما قدم من البحرين قال له عمر يا عدو الله وعدو كتابه اسرقت مال الله قال لست عدو الله ولا عدو كتابه ولكنني عدو من عاداهما ولم اسرق مال الله قال فمن اين اجتمعت لك عشرة الآف وفى خبر اخر اثنا عشر الف درهم قال خيل تناسلت وعطاء تلاحق وسهام اجتمعت لقبضها منه فلما صلى الغداة قال اللهم اغفر لعمر قال فكان يأخذ منهم ويعطيهم افضل من ذلك حتى اذا كان بعد ذلك قال الا تعمل يا اباهريرة قال لا قال ولم وقد عمل من هو خير منك يوسف قال اجعلني على خزائن الارض قال يوسف نبي ابن نبي وانا ابوهريرة بن امية واخاف منكم ثلاثا واثنتين قال فهلا قلت خمسا قال أخشى ان تضربوا ظهرى وتشتموا عرضى وتأخذوا مالى واكره ان اقول بغير حلم واحكم بغير علم.

الفصل الثامن
ولاة الخليفة الثالث عثمان بن عفان على البحرين

لما مات عمر رضى سنة ٢٣ هـ وعثمان بن ابى العاصى واليه على البحرين كما تقدم سار عثمان الى فارس ففتحها وكان خليفة على عمان والبحرين وهو بفارس اخاه مغيرة بن ابى العاصى وفى خلافة عثمان قام عامله على البحرين وهو عثمان بن ابى العاصي: المذكور بتجريده من عبدالقيس لتنضم مع من اخرجهم عبدالله بن عامر بن كريز من اهل البصرة الى بلدان فارس ففتحوا اصطخر ودارا بجرد وجور وغيرها وكان عبدالله بن عامر هو القائد وعثمان بن ابى العاصي على مقدمته فى عبدالقيس.

الفصل التاسع
فى عمال امير المؤمنين
علي بن أبي طالب (رضى) على البحرين

ذكر ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغة ان عمر بن سلمة المخزومى ربيب رسول الله ﷺ كان عاملا لعلي (رضى) يصلى عنه علي البحرين وحين عزم علي (رضى) التوجه الى صفين استقدم عمر المذكور من البحرين ليشهد معه حرب صفين لأنه من الخواص واستعمل مكانه على البحرين النعمان بن عجلان الزرقى الانصارى وهو الذى خلف على خولة زوجة حمزة بن عبدالمطلب (رضى) بعد قتله وكان لسان الانصار وشاعرهم: وفى نقل آخر ان علي (رضى) استعمل على البحرين ابا قتادة الانصارى ثم عزله وولى مكانه النعمان بن عجلان الزرقي.

الفصل العاشر
فى عمال الحسن بن على (رضى) على البحرين

ذكر العلامة الشيخ يوسف البحرانى فى كشكوله حكاية وقد تقدم ذكرها فى الكلام على قرية الدراز جاء فيها ان زيد بن صوحان العبدي استعمله الحسن بن على رضى على البحرين وبقى على عمله الى ان تولى الخلافة عبدالملك بن مروان وقد كان لحق به اخوه صعصعه بن صوحان بعد تنازل الحسن رضى عن الخلافة فى صلحه مع معاوية لكلام احفظ قلب معاوية عليه فامر باخراجه من الكوفة فلحق بالبحرين وقد عصت البحرين على عبدالملك فجرد عليها جيشا جرار وبعد وقائع ومعا مع استنفدت جيش عبدالملك تغلب عليهم باستمالة اشرارهم على اخيارهم، فتم له ما اراد وانتقم منهم اشد انتقام فقتل زيد وصعصعة ابني صوحان، ويوجد بالبحرين لهما قبرين معروفين يزاران ويتبرك بهما

وتقدم لهما النذور والمنسوب منهما لزيد موقعه بقرية المالكية والمنسوب لصعصعة موقعه بقرية عسكر : الا ان التاريخ يناقض ما تقدم حيث ذكر التاريخ ان زيد قتل فى حرب الجمل فى البصرة مع امير المؤمنين ولما وقف امير المؤمنين (رضى) على مصرعه ترحم له واثنا عليه ولا نعلم اي الخبرين اصح ما اقترن بوجود الاثر ام الخبر بغير اثر و ان كان الخبر اصح سندا واضبط مصدرا والله اعلم.

الفصل الحادى عشر
فى ولاة معاوية
وعبدالملك بن مروان على البحرين

ذكر ابن الامير فى تاريخه ان زياد ولى البصرة وخراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان لمعاوية سنة ٤٥ هـ: وفي خلافة عبدالملك بن مروان استعمل الحجاج حسان بن سعيد عاملا على البحرين.

الفصل الثاني عشر
نجده بن عامر الحنفي
يستولي عل البحرين سنة ٦٧ هـ

فى سنة ٦٧ سار نجدة بن عامر الحنفى الخارجي فى زهاء ثلاثة الآف من اصحابه الى البحرين فقالت الازد «ازد البحرين» نجدة احب الينا من ولاتنا لان ينكر الجور وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته واجتمعت عبدالقيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته فقال بعض الازد نجدة اقرب اليكم منه الينا لانكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه وقال بعضهم لا ندع نجدة وهو حروري مارق تجرى علينا احكامه فالتقوا بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير.

وسبى نجدة من قدر عليه من اهل القطيف فقال الشاعر:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها ... وما نفع نصح قيل لا يتقبل

فلما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة ٦٩ هـ بعث عبدالله بن عمير الليثى الاعور فى اربعة عشر الفا فجاء هذا بعساكره الى القطيف فجعل يقول اثبت نجده فانا لا نفر فقدم ونجده بالقطيف فاتى نجده عسكر ابى عمير وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا واصبح ابن عمير فهاله مارأى فى عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجده فلم يلبثوا ان انهزموا وتشتت شملهم فلم يبق عليهم نجده وغنم ما فى عسكرهم واصاب جوارى فيهن ام ولد لابن عمير فعرض عليها ان يرسلها الى مولاها فقالت لا حاجة بى الى من فر عني وتركني: وبعث نجده ايضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا الى عمان فبايعه اهلها واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفى وقد غلب عليها عباد بن عبدالله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد، فلما اتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها اشهرا ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى ابا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابناء عباد واهل عمان ثم خالف عطية نجده. ثم بعث نجده الى البوادى بعد هزيمة ابن عمير ايضا من ياخذ من اهلها الصدقة فقاتل أصحابه بنى تميم بكاظمة واعان اهل طويلع بنى تميم فقتلوا من الخوارج رجلا فارسل نجده الى اهل طويلع

من اغار عليهم وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى ثم انه دعاهم بعد ذلك فاجابوه فاخذ منهم الصدقة ثم سار نجدة الى صنعاء فى خف من الجيش فبايعه اهلها وظنوا ان وراءه جيشا كثيرا فلما لم يروا مددا ياتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال ان شئتم اقلتكم بيعتكم وجعلتكم فى حل منها وقاتلتكم فقالوا لا تستقيل بيبعتنا. فبعث الى مخاليفها فاخذ منهم الصدقة. وبعث نجده ابا فديك الى حضرموت فجبي صدقات اهلها وحج نجده سنة ٧٨ هـ وقيل سنة ٦٩ وهو فى ثمانى مائة وستين رجلا وقيل الفين وستمائة رجل وصالح ابن الزبير على ان يصلى كل واحد باصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض فلما صدر نجده عن الحج سار الى المدينة فتاهب اهلها لقتاله وتقلد عبدالله بن عمر سيفا فلما كان نجده بنخل اخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع الى الطائف واصاب بنتا لعبد الله بن عمر بن عثمان واتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه ولم يدخل نجده الطائف واستعمل الحاروق وهو حراق على الطائف وتباله والسراة واستعمل سعد الطلائع على ما يلى نجران ورجع نجده الى البحرين فقطع الميره عن اهل الحرمين منها ومن اليمامة فكتب اليه ابن عباس بما اثر عليه فجعلها نجده لهم ولم يزل عمال نجده على النواحى حتى اختلف عليه اصحابه.

الفصل الثالث عشر

الاختلاف على نجده وقتله
وولاية ابى فديك مكانه

ثم ان اصحاب نجده اختلفوا عليه لاشياء نقموها منه فخالف عليه عامة من معه وانحازوا عنه وولوا امرهم ابا فديك عبدالله بن ثور احد بنى قيس بن ثعلبة واستخفى نجده فارسل ابو فديك فى طلبه جماعة من اصحابه وقال ان ظفرتم به فجيئونى به وقيل لابى فديك ان لم تقتل نجده تفرق الناس عنك فالح فى طلبه فكان يستخفى من مكان الى آخر حتى ادركوه فقتلوه وهو يقول

وان جر مولانا علينا جريرة　　صبرنا لها ان الكرام الدعائم

ولما قتل نجده سخط لقتله قوم من اصحاب ابى فديك ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنى عشر ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل ابا فديك الى منزله قبراً وذلك سنة ٧٢ هـ واستتب له الامر وقام باعباء الرياسة خير قيام، وكاتبه الخليفة عبدالملك بن مروان على الطاعة واقراره على ما بيده من الولايات فابى واستكبر وعصى ونفر فندب الخليفة عبدالملك لقتاله عمر بن عبيد الله بن معمر كما سيأتى بيانه فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع عشر

عبدالملك بن مروان يقتل ابا فديك
ويستولى على البحرين

لما ثبت قدم ابى فديك فى البحرين وما والاها واطاعه اصحاب نجده بن عامر الخارجي فاستتب له الامر كما يجب:

وفى سنة ٧٢ هـ ارسل خالد بن عبدالله اخاه امية بن عبدالله على جند كثيف فهزمه ابو فديك وسار امية على فرس له حتى دخل البصرة فى ثلاثة ايام: وفى سنة ٧٣ هـ اصدر

عبدالملك بن مروان امره الى عمر بن عبيد الله بن معمر ان يندب الناس من اهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتال ابا فديك فصدع بالامر ... بهم وانتدب معه عشرة الآف فأخرج لهم ارزاقهم ثم سار بهم وجعل اهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله واهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن اخى عمر وجعل خيله فى القلب وساروا حتى انتهوا الى القطيف فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل ابو فديك واصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى ابعدوا الى المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبدالرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى صف اهل الكوفة بالميمنه وجرح عمر بن موسى فلما راى اهل الميسرة اهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم امير لان اميرهم عمر بن موسى كان جريحا فحملوهم «فحملوه» معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج وحمل اهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من اهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا ابا فديك وداسته الخيل فى عدوها وحصروا اصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة الآف واسر نحو ثمانى مائة ووجدوا جارية عبدالله بن امية حبلى من ابى فديك وعادوا الى البصرة وذلك سنة ٧٣ هـ وارسلوا الاسرى الى الشام فاستتابهم عبدالله وعفى عنهم واطلق سبيلهم من الاسر فعادوا حامدين وضم عبدالملك ولاية البحرين الى اعمال البصرة وكان الوالى على البصرة لذلك العهد بشر بن ارمان «ولعل هذه الوقعة هى نفس الوقعة التى يذكر اهل البحرين ان نفس عبدالملك حضر فيها وان ابطالها وقوادها زيد وصعصعة ابناء صوحان وابراهيم بن مالك الاشتر وغيرهم وقد تقدم ذكرها فى الكلام على قرية الدراز الا ان ابا فديك لم يكن له ذكر فيها والله اعلم بحقيقة الحال» وولى بشر بن ارمان من قبله على البحرين واعمالها الاشعث بن عبدالله بن الجارود فبقى هذا عاملا بها يقدم الطاعة الى الدولة الاموية حتى سنة ١٠٥ حيث انهزم فيها من امام مسعود بن ابى زبيب العبدي كما سيأتى ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس عشر

استيلاء مسعود بن ابى زبيبة العبدى على البحرين

وفى سنة ١٠٥ هـ خرج مسعود بن ابى زبيبة العبدى فى البحرين فانحازت اليه قبائل ربيعة فحارب الاشعث بن الجارود وضيق عليه الخناق ففارق الاشعث البحرين منهزما هاربا الى البادية وتولى مسعود شئون البحرين سنة ١٣٤ هـ: وسار مسعود الى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلى ولاه اياها عمر بن هبيرة فخرج اليه سفيان فاقتتلوا بالخضرمة قتالا شديدا فقتل مسعود واقام بامر الخوارج بعده هلال بن مدلج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج وقتلت زينب اخت مسعود فلما امسى هلال تفرق عنه اصحابه وبقى فى نفر يسير فدخل قصرا وتحصن به فنصبوا عليه السلاليم وصعدوا اليه فقتلوه واستأمن اصحابه فآمنهم، وقال الفرزدق فى هذا اليوم شعرا.

لعمرى لقد سلت جنيقة سلة	سيوف ابت يوم الوغى ان تغيرا
تركن لمسعود وزينب اخته	رداء وسربا لا من الموت احمرا
ارين الحروريين يوم لقائهم	ببرقان يوما تجعل الموت اشقرا

وقيل ان مسعودا غلب على البحرين واليمامة تسع عشر سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلى سنة ١٣٤ كما تقدم

الفصل السادس عشر

استيلاء سفيان بن عمرو العقيلى على البحرين بعد قتل مسعود بن ابى زبيبه العبدى

لما ان قتل مسعود بن ابى زبيد العبدى واكثر رجاله كما تقدم فى الفصل السابق استتب الامر فى البحرين واليمامة لسفيان بن عمرو العقيلى من قبل عمر بن هبيرة وذلك سنة ١٣٤ هـ فلبث هذا اميرا على اليمامة والبحرين مدة لم تتحقق تحديدها ولما مات سفيان بن عمرو العقيلى المذكور ثار اهل البحرين على خلفه فقتلوه وولوا عليهم مكانه سليمان بن حكيم العبدى كما سياتى بيانه انشاء الله فيما يلى.

الفصل السابع عشر

ولاية سليمان بن حكيم العبدى على البحرين

قام اهل البحرين بالثورة على خلف سفيان بن عمرو العقيلى فقتلوه وولوا عليهم مكانه سليمان بن حكيم العبدى كما اسلفنا ولكنا لم نتحقق الزمن الذى تمت فيه هذه الامور: ولما تربع سليمان بن حكيم العبدي على كرسى امارة البحرين واستتب له الامر فيها ودانت له البلاد برمتها وكان رجلا عالى الهمة كبير المطامع لم يزل فى تسلطه على امارة البحرين الى سنة ١٥١ هـ حين ولى امور الخلافة ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى فولى على البصرة واعمالها عقبة بن سليم الفهري فكاتب هذا امراء الاطراف بطلب طاعتهم واذعانهم للخلافة فعصت البحرين عليه واعتزت باميرها حتى آل الامر ان جردوا عليها حملتين برية وبحرية كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثامن عشر

استيلاء جعفر المنصور على البحرين وقتل سليمان ابن حكيم العبدى اميرها

وفى سنة ١٥١ هـ جهز ابوجعفر المنصور الخليفة العباسى على جزيرة البحرين جيشا عظيما تحت قيادة اميره عقبة بن سليم الفهرى بجنود كثيرة واستعداد كامل فدخلوا البحرين بحملتين برية وبحرية فدافع سليمان بن حكيم العبدى مع اصحابه دفاع الابطال ولكن ابى القضاء ان يساعده فسقط قتيلا بعد مدة وجيزة فانكسر اهل البحرين وكثر فيهم القتل والاسر وانتهبت خزائن البلاد واموال الاهالى وسيروا الى دار الخلافة ببغداد وعينوا على البحرين اميرا من قبلهم نافع بن عقبة ولما وصل السبى والاسرى الى بغداد ادخلوهم على الخليفة ابى جعفر المنصور فقتل بعضهم ووهب الباقين لولى عهده المهدى فاطلقهم وكساهم ثم عزل عقبة عن البصرة وابنه نافع عن البحرين لانه لم يستقصى على اهل البحرين وولى عليها عبدالملك بن ضبيان ثم عزل عنها سنة ١٥٧ هـ وولى عليها سعيد بن دعيج ولم تزل تحت حكم الخلافة العباسية يتعاقب عليها ولاتهم الى سنة ٢٤٩هـ حيث استولى عليها صاحب الزنج كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل التاسع عشر

استيلاء صاحب الزنج على البحرين وتفصيل أحواله

وملخص ما كتبه المحققون من المؤرخين كابن خلدون وابن الاثير والطبري وغيرهم: ان رجلا من عبدالقيس من قرية تسمى «ودريفن» من قرى الري واسمه علي بن عبدالرحيم حدثته نفسه بالتوثب ورأى كثرة خروج الزيديه من الفاطميين فانتحل هذا النسب وادعاه وليس من اهله، ثم سار الى البحرين سنة ٢٤٩هـ فادعى انه علوى بن ولد الحسين بن عبيد الله بن العباسى بن على بن ابى طالب ودعا الناس الى طاعته فاتبعه كثير من اهل هجر ثم تحول الى الاحساء ونزل على بعض بنى تميم ومعه قواده يحي بن محمد الازرق البحرانى وسليمان بن جامع وقاتل اهل البحرين فهزموه وافترقت العرب عنه فلحق بالبصرة والفتنة فيها بين البلالية والسعدية وبلغ خبره محمد بن رجاء العامل فطلبة فهرب وحبس ابنه وزوجته وبعض اصحابه ولحق هو ببغداد فانتسب الى عيسى بن زيد بن على بن الحسين الشهيد ثم اقام بها حولا ثم بلغه ان البلالية والسعدية اخرجوا محمد بن رجاء من البصرة وان اهله خلصوا من الحبس فرجع الى البصرة فى رمضان سنة ٢٥٥ ومعه يحي بن محمد الازرق وسليمان بن جامع واهل بغداد الذين استمالهم جعفر بن محمد الصمد حانى وعلى بن ابان وعبدان غير من سمينا فنزل بظاهر البصرة ووجه دعوته الى العبيد من الزنوج وافسدهم على مواليهم ورعيتهم فى العتق ثم فى الملك واتخذ راية رسم فيها ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية﴾ وجاء موالي العبيد فى طلبهم فامرهم بضربهم وحبسهم ثم اطلقهم وتسايل اليه الزنوج واتبعوه وهزم عساكر البصرة والابلة وذهب الى القادسية وجاءت العساكر من بغداد فهزمهم ونهب النواحى وجاء المدد الى البصرة مع جعلان من قواد الترك وقاتلوه فهزمهم ثم ملك الابلة واستباحها وسار الى الاهواز وبها ابراهيم بن المدير على الخراج فافتتحها واسر ابن المدير سنة ٢٥٦ الى ان فر من محبسهم. فبعث المعتمد الخليفة العباسى سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة ٢٥٧هـ وهو يومئذ عامل البصره وسار من واسط فهزمه على بن ابان من قواد صاحب الزنج لحربهم هزمه الى البحرين فتحصن بالبصرة وزحف على بن ابان لحصاره حتى نزل على امانه ودخلها واحرق جامعها ونكب عليه صاحب الزنج فصرفه وولى على البصره مكانه يحي بن محمد البحرانى، وبعث المعتمد محمد المولد الى البصرة فاخرج عنها الزنج ثم بيتوا محمد بن المولد فهزموه. ثم ساروا الى الاهوازوعليها منصور الخياط فواقع الزنج فغلبوه وكان المعتمد قد استقدم اخاه ابا احمد الموفق من مكة وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكه واليمن ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز وامره ان يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح الذى انهزم فعقد ليارجوج وعقديا رجوج لمنصور بن جعفر وجعله مكان سعيد بن صالح السالف الذكر فانتصر عليه صاحب الزنج ثم قتله، وقيل انه لما تم لصاحب الزنج الانتصار على منصور بن جعفر قائد الخليفة واحتوى على ما فى المعسكر من مال ومتاع وسلاح وارسله الى البحرين فقويت شوكته واشتدت شكيمته وازدادت جرأته ولما بلغ الخليفة خبر انكسار المنصور ضاقت عليه الارض بما رحبت ودعى باحد رجاله المشهورين المدعو محمد بن ثور «اونور» وولاه امر البحرين وامره باخذ الاهبة والاستعداد لمقاتلة صاحب الزنج واطلق يده فى البلاد التى يمر بها وان يفعل ما يراه موافقا للمصلحة فقام محمد واستعد بما قدر عليه وجمع الجموع

واركبها السفن وسار يقصد البحرين بطريق البر فحمل عليها وباد الجزائر وبها بعض من رجاله مقيمين لجمع الخراج وجباية الاموال فقتلهم جميعا واخذ كل ما معهم من مال ونوال وادب كل من على شاكلتهم ثم سار من هناك الى دارين والقطيف والاحساء ولم يزل كل محل حله قتل من به من رجال الطاغية وانتهب اموالهم وسبى عيالهم وجمعهم من الاموال وارسلها بطريق البحر الى عاصمة الخلافة بغداد ثم عقد لبعض رجاله بقيادة الجيش ووجهه لمتابعة صاحب الزنج فى نواحى الفرات وقد اعرضنا عن تتبع احوال صاحب الزنج لطولها ومن اراد الوقوف عليها فليراجعها فى مكانها ونكتفى هنا بايراد خبر انتهاء أمره: امر المعتمد العباسي اخاه الموفق بالمسير الى صاحب الزنج فى ربيع سنة ٢٥٨ وعلى مقدمته مفلح فاجفل الزنج عن البصره وسار قائدهم على بن ابان فالتقى مفلحا فقتل مفلح وانهزم اصحابه ورجع الموفق الى سامرا وكان اصطيخور ولى الاهواز بعد منصور الخياط وجاءه يحي بن محمد البحرانى من قواد الزنج وبلغهم مسير الموفق فانهزم يحيي البحرانى ورجع فى السفن فاخذ وحمل الى سامراء فقتل فبعث صاحب الزنج مكانه علي بن ابان وسليمان الشعرانى فملكوا الاهواز من يد اصطيخور سنة ٢٥٩هـ بعد ان هزموه وهرب فى السفن فغرق فسرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا بعد ان عقد له على تلك الاعمال فبعث الى الاهواز عبدالرحمن بن مفلح والى البصرة إسحق بن كيداجق والى باداورد ابراهيم بن سليمان واقاموا فى حروبهم مدة سنة ونصفا ثم استعفى موسى بن بغاوولى على تلك الاعمال مكانه مسرور البلخى وجهز المعتمد اخاه ابا احمد الموفق لحربهم بعد ان عهد له بالخلافة ولقبه الناصر لدين الله الموفق وولى على اعمال المشرق كلها الى اخر اصفهان وعلى الحجاز فسار لذلك سنة ٢٦٢ واعترضه يعقوب الصفار يريد بغداد فشغل بحربه وانهزم الصفار وانتزع من يده ما كان ملكه فى الاهواز وكان مسرور البلخى قد سار الى «الموفق» وحضر معه حرب الصفار فاغتنم صاحب الزنج خلو تلك النواحى من العسكر وبث سراياه للنهب والتخريب فى القادسية وجاءت العساكر من بغداد مع اغرتمش وغشتش فهزمهم الزنج وقائدهم سليمان بن جامع وقتل خشتش «او ـ اغشتش» وكان على بن ابان من قوادهم قد سار الى الاهواز واميرها يومئذ محمد بن هزارمرد الكردى فبعث مسرور البلخى أحمد بن الينونة للقائهم فغلب اولا على الاهواز على بن ابان ثم ظاهره محمد بن هزاد حرد والاكراد فرجع الى السوس. . الى ان قال وبعث ابنه ابا العباس لحرب الخبيث بنهر ابى الخصيب واستأمن اليه جماعة من قواده فامنهم وكتب اليه بالدعوة والاعذار وزحف اليه فى مدينته المختارة له واطلق السفن فى البحر وعبىء عساكره وهي نحو من خمسين الفا والزنج فى نحو ثلاثمائة الف مقاتل ونصب الآلات ورتب المنازل للحصار وبنى المقاعد للقتال واختط مدينة الموفقة لنزوله وكتب بحمل الاموال والميرة اليها فحملت وقطع الميرة عن المختارة وكتب الى البلاد بانشاء السفن والاستكثار منها واقام يحاصرها من شعبان سنة ٢٦٧ الى صفر سنة ٢٧٠ ثم اقتحم عليهم المختارة فملكها وفر الخبيث وابنه انكلاي وابن جامع الى معقل اعده واتبعه طائفة من الجند فانقطعوا عنه وأمرهم من الغد باتباعه فانهزم وقتل من اصحابه واسر ابن جامع ثم قتل صاحب الزنج وجي برأسه ولحق انكلاى بالدينارى فى خمسة الآف فلحقهم اصحاب الموفق فظفروا بهم واسروهم اجمعين وقيل ان عدد القتلى فى تلك الوقائع كان الفى الف وخمسائة الف انسان وكان صاحب الزنج رجلا فاضلا فصيحا بليغا لبيبا استمال قلوب العبيد بالبصرة ونواحيها فاجمع اليه منهم خلق كثيرون وناس آخرون من غيرهم وعظم شأنه وقويت شوكته وكان فى مبدأ حاله فقيرا لا

يملك سوى ثلاثة اسياف فلما قام بدعوته بلغ الى تلك القوة والثروة التى سلف ذكرها ثم انتهى الى ما تقدم من استئصال شافته.

الفصل العشرون

البحرين تغزو عمان

وذلك فى عهد ولاية رشيد بن النضر على امارة عمان سنة ٢٧٣ هـ واختلت الامور فى عمان وانتثر النظام حتى اضطر اهالى عمان لمراجعة الخليفة المعتضد العباسى وكان رجل اسمه عزان الخروسى حاول ان يحكم بالقهر والعسف فلم يتسق له الامر وصار الناس فوضى فذهب اثنان من الاهالى الى البحرين يتكلمان مع محمد بن تور عامل الخليفة على البحرين فى الاستيلاء على عمان وازالة الفوضى التى فيها وقد قصد احدهما بغداد لمخاطبة الديوان فى هذا الامر فاصدر الخليفة امره الى محمد بن تور عامله على البحرين بالزحف على عمان فسافر هذا بجموع وافرة ففتح نزوه عاصمة عمان وقتل عزان وفر كثير من الاهالى الى البصرة والى شيراز والى هرمز: ثم ثار بمحمد بن تور بعض القبائل وتكاثروا عليه فترك مقره ولحق بالساحل الى ان ا دركته نجدة عظيمة من مرتدفة مضر فتمكن من قمع الثورة وارهف الحد فى الاهالى وقطع الايدى وصلم الاذان وعطل قنى المياه التى يشرب منها الخلق واحرق الكتب وعمل بالاهالى العمانيين، ولكن ذلك كله لم يفده شيئا اذ ما كاد يرجع الى البحرين محل عمالته حتى ثار الاهالى ثانية وقتلوا العامل الذى استعمله على عمان وذهب دمه هدرا لان الخلافة عدلت عن ولاية عمان: وما برحت البحرين تحت حكم الخلافة العباسية حتى ظهر القرمطى وانتزعها منهم كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الواحد والعشرون

ابتداء امر القرامطة بالبحرين

كان فى سنة ٢٨١هـ قد جاء الى القطيف رجل يسمى بيحي بن المهدى وزعم انه رسول من المهدى وانه قد قرب خروجه وقصد من اهل القطيف علي بن المعلى بن حمدان الريادينى وكان متغاليا فى التشيع فجمع الشيعة واقرأهم كتاب المهدى ليشيع الخبر فى سائر قرى البحرين فاجابوا كلهم وفيهم ابو سعيد الجنابى وكان من عظمائهم ثم غاب عنهم يحي بن المهدى مدة ورجع بكتاب المهدى يشكرهم على اجابتهم وامرهم ان يدفعوا اليه خمس اموالهم فدفعوا واقام يتردد فى قبائل قيس: ونقل انه فى احد الايام كان يحي مدعوا عند ابى سعيد الجنابي وكان لابى سعيد خادما يدعى ابراهيم له زوجة جميلة فلما فرغوا من الطعام خرج ابو سعيد من بيته وامر زوجة الخادم بخدمة ضيفه واكرامه فقيل انه لما خلى بها راودها عن نفسها فابت عليه واخبرت زوجها بذلك فصعب عليه واغضبه فاخبر مولاه ابا سعيد بالخبر فاراد كتم الخبر وتلافى الامر بالتى هى احسن ولكن الخادم ابي السكوت فشكى امره الى محمد بن تور امير البلاد فقبض الامير على يحي وجلده وحلق لحيته وطرحه فى السجن وطلب ابا سعيد ففر الى البادية فتأمر بعض الخونة ومن لهم هوى فى دعوة يحي من رجال الامير على اخراج يحي من السجن وبالفعل اخرجوه من السجن ليلا واطلقوا سراحه فلحق بابي سعيد وتلاحق بهم من على دعوتهم من القرامطة واجتمع

عليهم خلق كثير فاغاروا على القرى والسواد وانتهبوا الاموال وقتلوا من لم يكن على طاعتهم ثم غاروا على القطيف فقتلوا بها جمعا كبيرا وفشى امر ابى سعيد بعد ذلك قال ابن مقرب «٧٣»

ثم اظهر ابو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ٢٨٣هـ واجتمع اليه القرامطة والاعراب وقتل واستباح وسار من القطيف طالبا البصرة وبلغت النفقة فيه اربعة عشر الف دينار ثم قرب ابو سعيد من نواحى البصرة وبعث المعتضد العباسى اليهم المدد مع عباس بن عمر الغنوى وعزله عن فارس واقطعه اليمامة والبحرين وضم اليه الفين من المقاتلة وسار الى البصرة واكثر من الحشد جنداً ومتطوعه فسار ولقى ابا سعيد الجنابي ورجع من كان معه من بني ضبة الى البصرة ثم كان اللقاء فهزمه الجنابى واسره واحتوى على معسكره وحرق الاسرى بالنار وذلك فى شعبان من هذه السنة«٧٤» وكتب الخليفة الى ابن بانو احد رجال ابن تور وكان مقيما بالجزائر «البحرين» وامره باستلام زمام السلطة بالبحرين فصدع ابن بانو بالامر وقام حالا وجمع من قدر عليه من الرجال وركب السفن وكبس حصنا فى هجرفيه زاد ومال ومتاع للقرامطة وعيال لابى سعيد فنهب الاموال وقتل الرجال وهرب بعض من قرابة ابي سعيد الى القطيف فتابعهم ابن بانو اليها وقتل كل قرمطى فيها ومن جملتهم ولداً لابى سعيد وهو ولى عهده وارسل ما انتهبه الى عاصمة الخلافة وبعد ان ارجف بغاراته الاقطار والمالك عاد بعد مدة الى البحرين ومعه من الغنائم والاموال ما تنوء بحمله الجمال يصحبه من العساكر مالا يعد ولا يحصى فلما بلغ ابن بانو امير البحرين خبر رجوع ابا سعيد اليها ولى هاربا من وجهه وترك عمله واخذ معه من المال ما خف حمله وغلا ثمنه. فراسله الخليفة يدعوه الى الطاعة والدخول فى الجماعة وعلى ان يقره على ما بيده من البلاد فابى وامتنع واصر على العناد فارسل الخليفة الجنود والعساكر لقتاله فبددها وشردها واعتقل فى اسره قادتها وسراتها فلم يجرأ بعد ذلك احد على الاقدام لمقاتلته: وفى سنة ٣٠١ بينما كان ابا سعيد الجنابي يغتسل فى الحمام خانه بعض خدمه وكان صقلبى الاصل فقتله شر قتله وبعد قتله خرج من الحمام ودعا احد قواد ابى سعيد المشهورين قائلا له ان سيدى يستدعيك فاسرع هذا لحتفه ملبيا الطلب ودخل الحمام اعزلا فلاقى فيه ما لقى سيده وقد قتل ذلك الخادم اربعة او خمسة من كبار رجال ابى سعيد بهذه الحيلة ثم تنبهوا الى غدره فقتلوه: وكان ابو سعيد الجنابي عهد لابنه الاكبر سعيد بالامر بعده فلم يستقم له الامر وثار به اخوه الاصغر ابو طاهر سليمان فقتله وقام بامرهم وبايعه العقدانية وجاءه كتاب عبيد الله المهدى بالولاية وفى سنة ٣١٤ وقع بين العقدانية واهل البحرين خلاف فخرج ابو طاهر وبني مدينة الاحساء وسماها المؤمنية فلم تعرف الا بهذا الاسم وبنى بها قصره واصحابه حوله وفى سنة ٣١٥ هـ استولى على عمان فهرب واليها فى البحر الى فارس: وزحف سنة ٣١٦ هـ الى الفرات وعاث فى بلاده وهدد بغداد والكوفة وسار الى الانبار والى الرحبة واستباحها ودوخ بلاد الجزيرة بسراياه. وسار الى هشت والكوفة وقاتل الرقه فامتنعت عليه وفرض الاتاوة على اعراب الجزيرة يحملونها الى هجر وفى سنة ٣١٧ هـ هجم على مكة المشرفة وقتل كثيرا من الحاج ومن اهلها ونهب اموالهم جميعا وقلع باب البيت والميزاب وقسم كسوة البيت فى اصحابه واقتلع الحجر الاسود وانصرف به واراد ان يحول الحج الى هجر فلم يفلح ولبث الحجر الاسود عنده مدة سنه: واقام ابو طاهر القرمطى بالبحرين وهو يتعاهد العراق والشام بالغزو والغارات حتى ضربت له الاتاوة ببغداد ودمشق على بنى طغج ثم هلك ابو طاهر سنة ٣٣٢هـ لاحدى

٧٣ ـ ديوان ابن مقرب.

٧٤ ـ انى لا اخشى ان تلاقوا مثلما/ لاقا بنو العياش والعريان.
كرهوا الجلاء من الديار فاهلكوا/ بالسيف عن عرض وبالنيران.

يعنى العياش بن سعيد رئيس بن عارب كان منزله بالجبل بالشمان من جبال الاحساء وهو فى وسطها تحف به أنهارها وبساتينها. والعريان رئيس بنى مالك وهو العريان بن ابراهيم بن الزحاف بن العريان بن مورق بن رجا بن بشر بن صهيان بن الحارث بن وهب بن خصبه بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبدالله بن مالك بن عامر بن الحارث. وذلك عبدالقيس حين اختلفت كلمتهم وكثرت بينهم الحروب ضعفوا ووهنوا فوثب القرمطى ابو سعيد الحسن بن بهرام بن بهرشت على القطيف وهو يومئذ ضامن مكوسها وكانت رئاسته القطيف يومئذ وملكها لبنى خزيمة وكان الامير فيهم لبنى ابى الحسن على بن مسمار بن سلم بن يحي بن اسلم بن ملحور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن غاشن بن سعد بن كلب وجمع جمعا عظيما من اهلها ومن البادية ومن اهل عمارة وحارب بهم فى القطيف حتى تمت له الغلبة على ابى الحسن على بن مسمار المذكور وقومه حتى ملكها بعد حرق الزواره وهى يومئذ مدينة ودار مملكته بها وسار الى الاحساء ولم يكن العياش والعريان المذكوران ومن يتعلق بهما الانتقال منها لما لهما فيها من عرض وعقار فلم يتقلوا فحاربهم ابو سعيد القرمطى حتى قهرهم وملك الاحساء وحين استتب له الملك فيها جمع بها بنى عبدالقيس فى عله من الاحساء تسمى الرمادة وأضرمها عليهم نارا واصد لهم الرجال بالسلاح فمن فر منها قتلوه ومن بقى أهلكته النار فهلك منهم يومئذ بالحرق والقتل عدد لا يحصى وفيهم من جلة الفرسان خلق كثير.

وثلاثين سنة من ملكه ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور وولي اخوه الاكبر احمد بن الحسن واختلف بعض العقدانية عليه ومالوا الى ولاية سابور بن ابي طاهر وكاتبوا القائم فى ذلك فجاء جوابه بولاية احمد وان يكون الولد سابور ولي عهده فاستقر احمد فى الولاية عليهم وكنوه بالمنصور وهو رد الحجر الاسود الى مكانه سنة. ثم قبض سابور على عمه ابى منصور فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك فى سنة ٢٥٨ هـ ثم ثار بهم اخوه واخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى اخوته واشياعهم الى جزيرة اوال «البحرين» ثم هلك ابو منصور سنة ٢٥٩هـ يقال مسموما على يد شيعة سابور وولى ابنه ابو علي الحسن بن احمد ويلقب الاعصم فطالت مدته وعظمت وقائعه فى اطراف العراق والشام ثم الى مصر وحارب جوهر قائد المعز فغدر به اصحابه فرجع الى الشام واسخط عمله المعز ملك افريقية فكتب بعزله على القرامطة وتولية ابناء ابى طاهر فبلغ ابناء ابى طاهر وذلك فخرجوا من الجزائر «البحرين» ثائرين ونهبوا الاحساء وعاثوا فسادا فى البلاد فكتب لهم الخليفة الطائع العباسي يامرهم بلزوم السكينة وتجنب الاضرار بالناس والرجوع الى الجزائر «البحرين» وهو يقطعها لهم فاطاعوه ورجعوا الى اوال وجرت للاعصم امور وفتن ونفى جمعا كثيرا من ولد ابى طاهر يقال اجتمع منهم بجزيرة اوال نحو من ثلاثمائة وحج هذا الاعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج واخيرا ادت تلك الامور والفتن الى قتله وكان عالما أديبا لبيبا ذكروا انه قال لكاتبه كشاجم ذات ليلة ما يحضرك فى هذه الشموع فقال انها نحضر مجلس السيد اعزه الله لنسمع كلامه ونستفيد من ادبه فقال على البديهة شعرا

ومجدولة مثل صدر القناة	تعرف وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها	وتاج على هيئة البرنس
اذ غازلتها الصباح حركت	لسانا من الذهب الاملس
اذا مارنت لنعاس عرا	وقطعت من الرأس المتنفس
وتنتج فى وقت تلقيحها	ضياء يجلى دجى الحندس
فنحن من النور فى اسعد	وتلك من النار فى انحس

وبعد موته ثار الشقاق بين القرامطة ولعب السيف بينهم مدة مديدة حتى افناهم وبددهم وشردهم فى الامصار ولم يبق منهم الا جعفر واسحاق ابنى الاعصم فمازالا متنازعين متكافحين مدة ثلاثين سنة ضعف فى اثنائها شأن البحرين وشتت شملها وانفراط عقد نظامها وتكاثرت فيها الاعراب ذوى المطامع المختلفة والغايات المتضاربة فقد ذكر اهل السير والمؤرخون ان القبائل العربية قد كثرت فى ذاك بالبحرين وكل منها له شأن وغرض يرمى اليه ويتحين الفرص للحصول عليه واكثر القبائل واطهرها واقواها ثلاث بنو ثعلبه وبنو عقيل من بنى عامر بن صعصعة وبنو سليم واظهرهم بنو ثعلبة وهم الطامحون الى الملك والرئاسة ورئيسهم يومئذ الاصفر بني ابى الحسن الثعلبي وهو الذى اوقع باسحاق وجعفر ابنى ابى علي الحسن بن احمد القرمطي وقتل القرامطة واحتوى على ملكهم كما سيأتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

اما مبادىء القرامطة الدينية فتكاد تكون اسماعيلية أو فاطمية وهي فرقة من فرق الشيعة قد تفردوا باشياء منتقده وأمور مبتدعة وقاموا باعمال فظة بشعة كتعرضهم لقتل حجاج بيت الله الحرام وهدمهم الكعبة قبلة الاسلام واخذهم الحجر الاسود وعزمهم على تحويل الحج الى هجر وامثال ذلك من قتل النفوس البريئة. فانها كلها اعمال كفريه بربرية نعوذ بالله من فاعليها كائنا من كان ونبرأ الى الله منهم فى الدنيا والاخرة.

كان كاتب القرامطة ابو الفتح الحسين بن محمود المعروف بكشاجم من اعلام الشعراء والكتاب وهو بغدادى المولد واشتهر بخدمة القرامطة فيما ذكره البهقى فكتب لهم بعده ابنه ابو الفتح نصر ولقبه كشاجم مثل ابيه وكان كاتبا للاعصم.

الفصل الثاني والعشرون

الاصفر بن ابى الحسن الثعلبي يستولى على البحرين

كان باعمال البحرين خلق كثير من العرب وكان القرامطة يستنجدونهم على اعدائهم ويستعينون بهم فى حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم فى بعض الاوقات وكان اعظم قبائلهم هناك بنو ثعلبة وبنو عقيل وبنو سليم كما قدمنا واظهرهم فى الكثرة والعزة بنو ثعلبة ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين واستحكمت العداوة بينهم وبن بنى بويه بعد انقراض ملك بنى الجنابى وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية وكان خليفة القرامطة دعاه الى اذهاب دولتهم فاجابه وداخل بنى مكرم رؤساء عمان فى مثل ذلك فاجابوه واستولى بنو مكرم على عمان ثم غص بنو ثعلبة بسليم واستعانوا عليهم ببني عقيل وطردوهم من البحرين فساروا الى مصر ومنها كان دخولهم الى افريقية سنة ٣٧٨هـ ثم عادت ثعلبة وحليفتها عقيل لمكافحة من بقى من القرامطة ورئيسها يومئذ الاصفر بن ابى حسن الثعلبي فاوقع هذا باسحق وجعفر بقية القرامطة ومن يلوذ بهم وقتلهم جميعا فى سنة ٣٩٨هـ واستولى على ما يملكون فارتفع شأن بنو ثعلبة وقوى ساعدهم فاثاروا على بنى عقيل حربا شعواء وقرروا اخراجهم من البحرين ليصفو لهم الجو وحدهم ومازالوا يحاربونهم حتى طردوهم الى العراق فملكوا الكوفة والبلاد العراقية وانفرد بنو ثعلبة بالملك والسلطة ودانت لهم بلاد البحرين وامتد ملك الاصفر بن ابى الحسن الثعلبي وطالت به وتغلب على الجزيرة والموصل وحارب بنى عقيل سنة ٤٣٨هـ برأس عين من بلاد الجزيرة وغص بشأنه نصير دوله بن مرمان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله وأطلقه ومات سنة ٤٣٨هـ وبقى الملك متوارثا فى بنيه بالبحرين فلم تحسن سيرتهم ولم تلتئم احوالهم فمازالوا في قتال ونضال حتى ضعفت شوكتهم وتفرقت كلمتهم وفى هذا الاثناء عاد بعض من مخلفات قرامطة العراق من بنى عقيل الى البحرين بعد ان غلبهم على ما بأيديهم من البلاد أولياء الدولة السلجوقية فرجعوا مواطنهم الاولى بالبحرين فوجدوا بنى ثعلبة قد ادركهم الهرم وضعف امرهم فاغتنموا هذه الفرصة واستولوا على بعض القرى و البلاد ورئيسهم احمد بن مسعد والثعالبة لا تبدى ولا تعيد حيث قد سقطت هيبتهم واصبحوا غرضا يرمى ولقمة سائغة لكل آكل اذ كثرت القبائل النهابة فى البحرين وقاست سكان المدن الامرين فاتحد القرامطة بعتيق وحدان وعولوا على استرجاع الفائت بتأسيس دولة قرمطية ثانية فاكثروا الغارات على السواد والقرى واستقل محمد بن يوسف الزجاج مع ولده العوام بامارة جزائر البحرين وكذلك فعل يحي بن عباس فى القطيف وسياتى ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثالث والعشرون

استيلاء ابو البهلول على جزيرة البحرين

ابو البهلول هو العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج وكان ضامنا خراج جزيرة «اوال» البحرين من القرامطة وكان ذلك فى دور ضعف امر القرامطة كما سبق ذكره واشتغالهم

بمحاربة العيونيين فى الاحساء حيث قاموا عليهم وابن عباس فى القطيف والخليفة فى العراق فاغتنم ابو البهلول هذه الفرصة وطرد عمال القرامطة من جزيرة البحرين وخطب له فيها بالامر فجهز عليه القرامطة جيشا من عبدالقيس واطمعوهم فى استرجاع جزيرة البحرين على ان يولوهم حكمها واركبوهم البحر فاتوا جميعا الى الموضع المعروف بكسكوس «جسجوس»، وكان الرئيس على جميع الجيش رجل يقال له بشر بن مفلح احد العيونيين فسار اليهم ابو البهلول بجيشه والتقى بهم فى الموضع الآنف فكانت الدائرة لابي البهلول على جيش القرامطة المختلط وغلبت قوته قوتهم فانهزموا راجعين عن جزيرة البحرين فاستقل ابو البهلول بها وعظم أمره وخطب له فيها بالامارة الى ان غلبه عليها يحي بن العياش كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع والعشرون

استيلاء يحي بن العياش على جزيرة البحرين

كان يحى بن العياش اغتنم فرصة انشغال القرامطة فى محارباتهم الاخيرة مع العيونيين وابى البهلول وابن ارتق قائد جيوش العراق وهم اذ ذاك فى دور ضعف شامل فقام بدوره على القرامطة وحاربهم فغلبهم على القطيف فلما تم له النصر واستتب له الامر وعظم شأنه فى الاستيلاء على البحرين بانتزاعها من ابى البهلول فقصدها بجيش عظيم وبعد قتال شديد انتصر على ابى البهلول واستولى على البحرين وصار حكمه عليها وعلى القطيف الى ان مات وهما تحت ملكه وبعد موته خلفه على القطيف ابنه ذكرى بن يحي بن عياش وعلى جزيرة البحرين اخوه الحسن بن يحي بن عياش فطمع ذكرى فى جزيرة البحرين فاستولى عليها بعد ان قتل اخاه الحسن وكان لذكرى المذكور وزير من اهل جزيرة البحرين يسمى العكروت صاحب رأى وسياسة وحيل ودهاء وشجاعة وشدة باس وحزم فاغرى سيده ذكرى بمحاربة العيونيين واطمعه فى الاستيلاء على ملكهم الاحساء فوافقه على ذلك فكان كالباحث عن حتفه بظلفة وانقراض دولته كما سيأتى بيانه فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس والعشرون

استيلاء العيونيين على البحرين وقتل ابن العياش

لما عزم ذكرى بن عياش على غزو الاحساء كما تقدم جهز سريته اليها ولما بلغ قرية من سوادها تسمى ناضرة حل هناك فاغارت خيله فاتى الصريح الى عبدالله بن علي العيونى امير الاحساء فركب وخرج معه من اولاده واولاد اولاده واهل بيته وبني عمه وجنوده واهل بلاده فالتقوا هناك فانهزمت سرية زكري بن يحيي فتبعهم الامير عبدالله العيونى حتى وصل القطيف وهو يستأصل الخيل شيئا فشيئا فظن زكرى ان القطيف لا تمنعه ففر الى البحرين فتبعه الفضل بن الامير عبدالله فقاتله بمن معه وقتل وزيره العكروت قتله الفضل بن عبدالله فلما قتل العكروت فت فى عضد زكري بن العياش فانهزم حينئذ وركب البحر الى العقير واجتمع بقوم من البادية فاقام معهم اياما حتى حشد حشدا كبيرا وجند جنودا من العرب واغار على القطيف فلقيه الامير عبدالله بن على العيونى فحمل على جموعه فهزمها وقتل زكرى بن يحي بن عياش فانقرضت بقتله دولة بني العياش وفى ذلك يقول ابن مقرب

ولم ينج ابن عياش بمهجتـــه ... يم اذا ما يراه الناظر ارتســـما
الى مغبرا فوافا جو ناضـــرة ... فعاين الموت منا دون ما زعمـــا
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى ... حبل السلامة الا السوط والقدمـــا
فانصاع نحو اوال يبغى عصـــما ... اذ لم يجد فى نواحا الخط معتصـــما
فاقحم البحر منا خلفه مـــلك ... مازال مذكان للاهوال مقتحـــما
فحاز ملك اوال بعد ما تـــرك ... العـكروت بالسيف للبوغاء ملتزما
وصار ملك ابن عياش وملك ابى ... البهـــلول مع ملكنا عقدا لنا نظما

استولى العيونيون على جزيرة البحرين بعد ان تم لهم النصرعلى زكري بن يحيي بن عياش وهزموه وجيشه مرارا عديدة فى الناضرة والقطيف وجزيرة البحرين، وقتلوا وزيره العكروت وقتلوه هـو، فـاستتب لهم الامـر والحكم على الاحسـاء والقطيف والبحـرين كما تقـدمت الاشارة بذلك، وكان سبب تكوين هذه الدولة العيونية انها كانت مضطهده ايام القرامطة حيث كانت عاصمة ملكهم التى أسسوهـا مـدينـة المؤمنين فى الاحسـاء فلما ضعف امـر القرامطة وشرعت العرب تحاربهم من كل جانب واستظهر عليهم الاصفـر كما تقـدم وهـو ممن يرى رأى القرامطة على ما يظن واتسع ملكـه وقـويت شـوكتـه وذلك سنـة ٤٣٨هـ وبعده ورث الملك بنوه فى البحرين مدة الى ان ضعف امرهم وتلاشوا بما قام به ابوالبهلـول وابن عياش كما اسلفناه فقام حينئذ عبدالله بن على آل ابراهيم العيونى يحارب القرامطـة فى الاحساء نحو سبع سنين حتى انتزع الـدولـة منهم وتملك على الاحسـاء ومـا والاهـا ودفع عنها كل طامع فيها وكان جيش الامير عبدالله العيونى لم يتجاوز الاربعمائة رجل وساعـده الله على القرامطـة ومن وازرهم ومن خلفهم على ملكهم من بنى الاصفـر فـاستلم ملكهم بعـد ان قتل منهم خلقـا كثيرا ودفع من وازرهم من اهل اليمن وعمان وكـان من جملـة من اوقع به منهم بنى عـامـر بن ربيعـة وغنم امـوالهم وسبى حـريمهم وذراريهم ولم ينج منهم سوى ريشان من رؤسائهم وهما احمد بن مسعر وابوفراس فانهما هربا على فرسين سـابقين حتى بلغا البصرة على غاية الفر وفى ذلك يقول ابن مقرب:

سل القرامط من شظى جماجـــهم ... فلقا وغادرهم بعد العلى خدمـــا
من بعد ان جل بالبحرين شأنـــم ... وارجفوا الشام بالغارات والحرمـــا
حتى حمينا على الاسلام وانتدبـــت ... منا فوارس تجلوا الكرب والظلـــما
وطالبتنا بنو الاعمام عادتنـــــا ... فلم نجـد بكما فينا ولا صمـــما
اذا دعوا آل ابراهيم ظل لهــــم ... يوم يشيب من هام العدى اللمـــا
فسلم الامر اهل الامر وانتزحـــوا ... عن سورة الملك لا زهدا ولا كرما
واصبحت آل عبدالقيس قد ثلجت ... صدورها فترى الموتور مبتســـما

فحين تم له النصر واستتب له الامر على الاحساء والقطيف والبحرين ولم يبق له منـازع فى هذه الجهات وكان من الرجال المعروفين بالدهاء والحزم، وكان يقيم سنة بالقطيف وسنة بالبحرين وولى ابنه الفضل على البحرين واقام هو بالقطيف وكانت مدة ولايته اربعة عشر سنة ولما مات خلف احد عشر ولدا اكبرهم ابنه الحسن فولى الامر بعد ابيه واقام بالقطيف وولى على الاحساء اخاه الفضل وعلى البحرين اخاه ابا مقدم شكر: فكان اول من تـامـر على جزيرة البحرين من العيونيين الامير الفضل بن عبدالله بن على العيونى الذى عنـاه بن مقرب بقوله.

منا الذى قام سلطان العراق له ... جلالة والمدى والبعد بينهما

بقى الامير الفضل بن عبدالله بن على آل ابراهيم العيونى. وكان من حديثه ان قوما من التجار عبروا فى البحر قاصدين البحرين فانكسرت بهم السفينة وكانوا قريبا من البر فسلموا وغرقت السفينة بما فيها من الاموال وكان مع بعضهم من المال مائة الف دينار او اكثر فبعث الامير الفضل من يغوص على الاموال فاستخرجوا اكثرها فجمعها الامير وارسل على التجار فسأل كلا عن ماله فاخبروه عددا ووزنا فدفعها اليهم بدون ان ياخذ منها شيئا فصعد صاحب مائة الالف بعد قبض امواله الى العراق فاخرج للبيع فى سوق الجواهر مما كان مستخرجا من البحر فى ناحية البحرين فعلم السلطان بالجوهر فبعث الى التاجر وقال له احضر لى احسن ما عندك من الجواهر فاتاه بذلك فصار السلطان يدفع للتاجر ثمنا ابخس مما يساوى الجوهر، فضحك التاجر ولم يقطب وجه، وقال للملك خذ ما تحب من هذا المال بغير قيمة فان هذا كله وغيره هبة لى من رجل عربى فقال الملك ويلك ومن هذا العربى؟ قال هو الامير الفضل بن عبدالله العيونى ملك البحرين وهبنه لى هذا انما كان الامر كذا وكذا وقص عليه قصته فامر الملك فى الحال بجام من شراب فاتى به فشربه قائما على ذكرى الامير الفضل وقال ان شربى هذا قائما انما هو اقرار للفضل بن عبدالله العيوني بالفضل على الكل بلا نزاع واتباع من المتاجر كما يقول من غير نقص. وهو الذى اتخذ له حمى لا يرتعى كما فعل كليب من تاج الى قطر وفيه يقول ابن مقرب (منا الذى حاز من تاج الى قطر) وخبر الرمل من مال العدو حمى:

ومن قصيدة اخرى له فيه ايضا فى هذا المعنى

همام حمى البحرين سبعا ومثلها	سنينا وسارت فى الفيافى مواكبه
ولم يرع من تاج الى الرمل مصرم	على عهده الا استيحت حلائبه
زمان يقول العامرى لمن غدى	يحدثه عنه وذو الحمق غالبه
متى يلتقى من نار برد محله	واخرى سودى بعيد مذاهبه
فلم يستهتم القول حتى اذا به	يسائره والدهر جم عجائبه
فقال له الآن التقينا فارعدت	فرائضه والجهل مر عواقبه

ومعنى الأبيات ان الفضل بن عبدالله العيونى كان قد حمى من السودة الى الرمل من ان ترعى، فكل من نزل بها من البادية اخذ ماله ونهب محلته، وكان لا يقيم ببلد بل هو مرة بالاحساء ومرة بالقطيف واخرى باوال فى الفلا.ة وكان اكثر مقامه بالفلاة ليقطع غوائل البوادى عن البحرين. ثم انه اتفق ذات يوم يسير وقد انفرد عن خيله بارض السودة يطلب من يرعاها من العرب ليأخذه، واذا برجل عنده قطعة يرعاها فى موضع يسمى ناربردمن جزيرة اوال «البحرين» واذا برجل اخر بازائه يقول له ويحك اما تخاف من الامير الفضل بن عبدالله على مالك ونفسك وانت تعلم ان هذا المكان من حماه فقال

متى يلتقى من نار برد محله   واخرى سودى بعيد مذاهبه

رافعا به صوته والكلام كله يسمع الامير الفضل فقال الساعة يا اخا العرب فالتفت فرآه فصعق وكاد ان يقضى عليه من شدة الخوف فطمئنه وقال له اياك ان تعود لمثلها وكان الفضل ملك البحرين اربعة عشر سنة، منهن سبع سنوات بالقطيف ثم انه انتقل الى اوال واتخذها دار الملك ثم لما آل الامر الى الحسن بن عبدالله العيونى السالف الذكر ولى على الاحساء واطرافها الفضل وعلى البحرين ابا مقدم شكر وفى ايامه غزى البحرين حاكم جزيرة قيس كلزار بكلف فارسيه وسياتى بيان ذلك فيما يلى ان شاء الله تعالى.

الفصل السادس والعشرون

حاكم جزيرة قيس
يغزو البحرين «واقعة سترة»

وذلك ان الملك كلزار بن سعد بن قيصر حاكم جزيرة قيس كان قد طمع فى الاستيلاء على جزيرة البحرين فجهز حملته بالمعدات وسار اليها فى المراكب حتى بلغ جزيرة اوال (البحرين) فانزلت جنوده من المراكب بجزيرة سترة احدى جزر البحرين، وكان الامير ابا على الحسن بن عبدالله العيونى المسمى بالزثير قد بعث اخاه الامير المقدم شكوحين سمع بتجهيز الملك كلزار العساكر الى جزيرة البحرين وبعث عنده عسكر الى القطيف وامره عليهم فحين انحدرت جموع الملك كلزار فى جزيرة سترة مشى عليهم الامير بمن معه فاقتتلوا وحمل الامير عليهم حملة مهولة صبروا له فيها ساعة ثم انهزموا فضرب فيهم بالسيف حتى جمد الدم على كفه وذراعه وقائم سيفه فما تخلصت يده الا بعد غسلها بالماء الحار ولم يسلم منهم الا عدة يسيرة شردت الى المراكب فكان عدة القتلى من اصحاب كلزار الفين وثمانمائة قتيلا واسر يومئذ اخو الملك كلزار واسمه نار سار بن سعد فلما اتى به الى امير اطلقه وسيره الى جزيرة قيس وتعرف هذة الحرب بوقعة سترة وقد اشار اليها ابن مقرب بقوله

ويوم سترة منا كان صاحبه لاقت به سامة والحاسك الرقما

الفين غادر منهم مع ثمان مئى صرعى فكم مرضع من بعدها يتما

ومن الامرا العيونيين ذوى المآثر الامير سنان بن محمد بن الفضل الذى يقول فيها ابن المغترب :

منا الذى من نداه مات عامله غما واصبح فى الاموات مخترما

وكان من حديثه ان عامله على جزيرة اوال «البحرين» جاء اليه بمال كثير من الذهب واللؤلؤ والجوهر، وكان فى المجلس رجل من اهل العراق يعرف بالثعلبى، وكان شاعرا فاضلا اديبا كاملا، فامر الامير بدفع ذلك المال كله للثعلبي المذكور، فقال له العامل هل تدري بقيمة هذا المال؟ فقال وكم ذلك؟ فعد كثيرا وذكر جوهرة فيه بالف دينار ارفعه اليه فما اراه كثيرا كما تقول ولو كان اكثر من هذا لكان احب الين، فانشقت مرارة العامل من الغم فمات، والثعلبي هذا هو القائل فى ابى سنان بعد موته يرثيه فى زمن امارة الامير المنصور بن عبدالله بن على بن عبدالله فخرج لزيارة قبر ابى سنان فحين صار من القبر مد البصر نزل عن فرسه ومشى راجلا حتى بلغ القبر فانكب عليه يبكى وقال :

عزيزا ان اعاتب فيك دهرا قليلا همه بمعنفـــــيه

وان القى الملوك واستفيهم وان اطأ التراب وانت فيه

ثم خلفه على الملك اخوه ابو فراس غرير بن محمد بن الفضل الذى عناه ابن مقرب بقوله

منا الذى جاد ايثارا بما ملكت كفاه لا يد يجزى اولا رحما

وكان من حديثه ان الثعلبي المتقدم ذكره مدحه ذات يوم بقصيدة فامر له بمفاتيح بيت المال وان يترك له جميع ما فيها وكتب له صكا بالتصرف فى جميع ما يملك الامير فقال

الثعلبي في بعض هذا غنى وسعه فقال له الامير خذه بارك الله فيه ولا تراجعني في شيء من ذلك، فقبل الارض بين يديه وقال انى اسأل الامير واطلبه بالحاضرين من هؤلاء الاكرمين تمام ما اطلب، فقال وما طلبتك؟ قال ان اخذ من هذا المال لى الف دينار ويكفيني فلازال به حتى اخذ اربعة الاف دينار وشكر له. . وقد ذكر ابن مقرب في قصيدته الميميته ما يقرب من عشرين اميرا تداولوا ملك الاحساء والقطيف والبحرين من العائلة العيونية امامدة ملكهم على البحرين فهى تنيف على المأتي عام وكان بدأ تسرب الضعف اليها في امارة الامير مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن على بن عبدالله فملكها «اى الحساء» بعد ان خرج منها الامير على بن ماجد وكانت السلطنة قد ضعفت وساء تدبيرها، وذلكإانهم صاروا يقدمون قوما ليسوا من اهل الشرف والامن ارباب الدولة ولامن القرابة لهم، حتى زهد فيهم الصديق ويبغضهم ذووا قراباتهم وطمع فيهم العدو وصار العامة تقدم من تريد وتؤخر من تريد من الامراء، ومما بلغ من سوء تدبيرهم انه اذا ملك احدهم اخرج جميع اهل الفضل والشرف من البلد فخرجت المملكة من ايدى اهلها بفساد التدبير وصارت للعدو وهم البدو ولم يبق السلطان يقدر على تحصيل المال ليجند به جنودا تمنعه وتحفظه وتدفع عنه بأس رعيته والباغين عليه، فاجترت الرعية وصار كل له صولة وكل يريد الملك على يديه واعتنوا بذهاب آل ابراهيم وغرير مقدم : نشا في البادية ولم يكن يعرف اهل المملكة، فاجاب اهل الخدع والمكر الى ما ارادوه في آل ابراهيم، فقبض على عدة رجال منه، والقاهم في مطامير السجون ونهب ما في خزائنهم ولما لامه وقبح اعماله ابن عمه الشيخ علي بن مقرب وقال له ما ذنب هؤلاء الرجال الذين قبضت عليهم قال والله ما قبضت عليهم وانما قبض عليهم اصحابى فلان وفلان وعدهم وقال مالي قدره على مخالفتهم فخرج من الاحساء وبعث اليه بقصيدته النونية يلومه فيها: فما برحت دولتهم في ضعف وانحطاط وادركها الهرم واصابها ما اصاب سواها من التواء الامور وفشو الفتن فيما بينهم حتى تقلص ظل ملكهم وانفرط عقد امرهم فسبحان من كل يوم هو في شأن ولما وصلوا الى ادنى درجة من الضعف المادى والمعنوى طمع فيهم اعداؤهم الالداء وانتزعوا الملك من ايديهم وهم بنو عامر بن عصفور بن عقيل وذلك في امارة مقدم بن ماجد العيونى اذ هو اخر آل فضل العبادلة العيونيين وسياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل السابع والعشرون

استيلاء آل عصفور على البحرين

ولما رأى بنو عامر بن عصفور بن عقيل ما آلت اليه الدولة العيونية من الانحطاط والضعف طمعوا في انتزاع الملك منهم وفى سنة ٦٣٣هـ قام ابو بكر بن سعد على الامير مقدم بن ماجد العيونى فانتزع من ملكه القطيف وجزائر البحرين فاستتب الامر والحكم فيها واشتهرت هذه الحكومة بالجبور ولا نعلم السبب الذى من اجله سموا بالجبور وفى سنة ٦٥٠ هـ ملكوا الاحساء واطرافها فاجتمع لهم ملك الاحساء والقطيف والبحرين: قال ابن سعيد سألت اهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة ٦٥١ عن البحرين فقالوا الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عامر بن عقيل وبنو تغلب من جملة رعاياهم وبنو عصفور منهم أصحاب الاحساء: ولم يطل حكم الجبور او آل عصفور على جزائر

البحرين اكثر من خمسين سنة وكان اخر امير منهم فى الاحساء هـو الامير اجـود بن زامل بن اجود بن عزيز بن سالم بن عامر وكان موجـودا بها لغـايـة سنـة ٩١٢هـ ويخال لنـا ان العصافرة آل عقيل غير الجبور وان الذى غلب على البحرين والقطيف منهم ربما كان اميرا واميرين على الاكثر وان مدتهم لم تبلغ الخمسين عاما اذ قد جـاءت روايـة تخالف مـا سبق فـاوردنـا هـذا التعليل الاحتمالى للتـوفيق والله اعلم وسيـاتى فيما يلى بيـان ذلك انشـاء الله تعالى.

الفصل الثامن والعشرون

استيلاء ابوبكر الزنكى على البحرين

اختلف فى شخصية ابى بكر بن سعد ونسبه ولقبه وفيه رأيـان الاول مـا تقـدم بيـانـه فى الفصل السابق من نسبته لآل عصفور بن عقيل وتلقيبهم بالجبور وصاحب هذا الـراى او من اخذناه عنه حضرة المؤرخ المحقق ناصر بن مبارك الخيرى، واما الرأى الثانى وصاحبـه حضرة المفضال الشيخ بن نبهان فيقول هو ابوبكر بن سعد بن اتابك بن سنقور بن مودود الزنكى بكاف فارسية، وكـانـوا كـونـوا لهم دولـة فى فـارس «شيراز» بعـد انقـراض الـدولـة السلجوقية، واصلهم من قبجاق فتجمهروا على اخذ مملكة فارس وكان ابتـداء حكمهم فى فارس سنة ٥٤٣هـ فتقلب عليهـا المذكـورون حتى آلت سنـة ٦٢٣ هـ الى ابى بكـر بن سعد الزنكى وهو الذى وسع ملك العجم وفى سنة ٦٢٦هـ حارب جزيـرة قيس وكـان بها بنو قيصر واستولى عليها وفى سنة ٦٣٣هـ مشى بجنده على جزيرة البحرين واخـذهـا وفى سنة ٦٤١هـ استولى على الاحساء والقطيف وفى سنة ٦٥٩هـ توفى ابوبكر وتولى بعده ابنـه سعد بن ابى بن بكر سعد ثم توفى بعد ذلك فضعفت دولتهم(٧٥)

وفى نقل آخر: ان ابا بكر بن سعد الزنكى كان معاصرا لاوائل حركة هولاكو فأهدى الى هولاكو هدايا نفيسة فقبلها وسر بها وعطف على مهديها فـاقـره على مـا بيـده من امـارات فارس وجزر الخليج والبحرين وانعم عليه بلقب «قتلق» فسلمت هذه الحكومة مما احـدثـه هولاكو فى غيرها من القتل والنهب والخراب، وذلك لرضاه عن ابى بكـر ولموالاة هـذا لـه حيث بعث ابنه سعـد على رأس جيش لمسـاعـدة جيش هـولاكـو على قتـال جيش دولـة خوارزم شاه وطردها من مملكة ايران، وفى هذه الاثناء مات ابوبكر بن سعد وعهد بالامـر لابنه سعد وهو غائب فى القتال لم يرجع بعد، ولكن هـذا ايضـا لما بلغـه الامـر رجع من جهة القتال وهو متأثر بالجراح فمات فى اثناء الطريق قبل وصوله الى مقر حكومتـه، فـولى الامر بعده زوجته تركان خاتون ريثما يسترشد ابن لسعد كان طفلا، وبعـد سنـوات قليلـة وقع ابن سعد من بنية شـاهقـة فمات قبل ان يصل الى سن الـرشـد ويلى الامـر، فلبثت تركان خاتون فى الحكم مـدة سنتين ونصف تقـريبـا(٧٦) ثم عرضت امور لهذه الحكـومـة تقلصت ظلها اضربنا عن ذكرها خوف الاطالة وانتقل حكم بلاد البحرين للدولة الفارسيـة كما سياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله.

الفصل التاسع والعشرون

استيلاء الدولة الكوركانية الفارسية على البحرين

وسنة ٧٠٠ لما تقلص حكم الدولة الزنكيـة خلفتهـا على البحـرين الـدولـة الكـوركـانيـة الفارسية، فخضعت البحرين لحكومة الشـاه محمـد خـدانبـده وبقيت تحت حكم الـدولـة

٧٥ ـ تاريخ البحرين لابن نبهان.
٧٦ ـ سرجان ملكم. فارس.

الفارسية مدة دولة هولاكو واولاده: قام بالملك فى فارس جنكيز خان المغولى واستقامت دولتهم فى فارس من سنة ٧٣٦هـ الى سنة ٧٩٥هـ ثم انقرضوا. وخلفهم على ملكهم تيمورلنك وهلك سنة ٨٠٧هـ فولى الامر بعده حفيده خليل وبعده وقع الانحلال فى هذه الدولة، فكان يتعاقب على جزائر البحرين عمال من فارس ويساعدهم فى مهام ادارة شئون البلاد آمراء من آل عصفور كانوا شديدي الاخلاص والولاء لدولة فارس، واخيرا لمارأت الدولة شدة اخلاص هؤلاء الامراء لدولتها انتخبت اميرا من كبرائها جعلته حاكما على البحرين تحت نظارة نوابها ومراقبة وزرائها واغدقت عليهم نعمه، وجعلت لعلماء هذه الجزيرة ميزة خاصة حيث رفعت مراتبهم واجرت عليهم الجرايات العظيمة واتخذت بعضهم لمناصب القضاء والفتياء فى خراسان وشيراز والنجف الاشرف«٧٧» ثم بعد مدة استقل بالبحرين سرة للسلطان سر علي بن توران شاه كما سيأتى ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثلاثون

استيلاء حاكم هرموز على جزيرة البحرين

والى سنة ٨٨٠ هـ كانت«٧٨» البحرين والقطيف من جملة املاك «سرة السلطان سر علي بن توران شاه» وكان هذا الامير من الامراء ذوى السلطة فى الخليج الفارسي فى عهد الدولة الصفوية وحايزا على شبة استقلال وكان من نسل امراء هرموز وفى التاريخ المذكور اضطر لوقوع نفور بينه وبين اخوته لاستقلالهم بهرموز على عقد اتفاق مع امير الاحساء الذى كان يدعى اجود بن زامل بن مرسل بن حسين العامرى مؤسس الدولة الاجودية فى الاحساء ان يعينة هذا على اخوته فى جزيرة هرموز وعلى ان يتنازل له عن القطيف والبحرين بعد استثناء بعض بساتينها فتم الاتفاق بينهما على ذلك سنة ٨٨٠هـ وكتب بينهما حجة على ما اتفقا عليه«٧٩». هذا نهاية امراء هرموز على البحرين اما بدأ استيلائهم عليها فهو فى سنة ٧٣٦ كما تقدم وسيأتى فيما يلى انشاء الله تعالى تنفيذ ما اتفقا عليه.

الفصل الواحد والثلاثون

استيلاء الحكومة الاجودية على البحرين

وفى سنة ٨٨٠هـ قام اجود بن زامل امير الاحساء بتنفيذ ما وقع الاتفاق عليه بينه وبين سرة السلطانسر على شاه المتقدم ذكره فى الفصل السابق. لهذا المهم خير قيام وفتح له هرموز وملكه اياها واستلم امارة القطيف والبحرين بموجب الاتفاق وولى على البحرين ولده ولسوء تدبير ابنه مع الرعية وظلمه فان مدة ملكه لم تطل فيها وكان داعيا لهجوم الاباضيون عليها وسياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثانى والثلاثون

استيلاء الاباضيين على البحرين

وفى سنة ٨٩٣ هـ قام الاباضيون بحملة بحرية على البحرين بقيادة سيف بن زامل بن عمان بن نبهان برسم ملك عمان على بن سليمان بن نبهان، ولما وصل بسفنه انزل جنوده واعانه اهل البحرين على الاستيلاء عليها، ولما تم له النصر واستتب له الامر والحكم هدم حصونها وولى عليها اميرا من قبله يدفع له محاصيلها، وبعد مدة قليلة ولى عليها عمر بن

٧٧ ـ قلائد البحرين.
٧٨ ـ وفى سنة ٧٣٦هـ ولى البحرين قطب الدين تمتهن بن طوران شاه صاحب كرمان وذلك لما خفف امر المغول وسنة ٧٩٥ هـ خضعت البحرين لحكومة الدولة الكوركانية ذرية تيمور لنك.. وبقيت تحت تملكهم الى سنة ٨٧٠ هـ فعادت لسلطة آل تمتهن صاحب كرمان وهرموز.
٧٩ ـ تاريخ السعدي.

الخطاب بن محمد بن احمد بن شنذان بن صلت بعد ان عزل عن امامة عمان وولى الامامه غيره ولى على البحرين فبقيت تحت استيلاء الاباضيين الى انتزعتها من ايديهم الدولة البرتغالية واخرجتهم منها صاغرين«٨٠» وسياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثالث والثلاثون

استيلاء الدولة البرتغالية على البحرين

كانت الدولة البرتغالية لهذا العهد هى الدولة الاستعمارية الوحيدة من دول اوروبا وتليها هولندا، وكانت البرتغال صاحبة الحول والطول فى العالم البرى والبحرى نظرا لقوتها المعنوية وكثرة اساطيلها البحرية ورغبتها فى الفتح والاستعمار وحب السيادة لتوفير ماليتها بنشر تجارتها فى مستعمراتها شأن دولة بريطانيا العظمى صاحبة الكلمة العلياء فى هذا العصر، فكان اسطول البرتغال العظيم لازال يتجول فى البحار وينتاب شاسع الاقطار بقيادة اشهر قوادها المعروفين الاميرال (فاسكودى جاما) الذى تمكن فى سنة ٨٩٤ هـ سنة ١٤٨٩م من اجتياز رأس الرجاء الصالح والوصول الى كلكته بالهند وعقد اتحاد بينه وبين رجالها وعظمائها وهيأ له ولدولته الاسباب لامتلاك الاملاك العظيمة فى الهند، وما يجاورها من البلاد الاسيوية، وبعد رجوعه من هناك خلفه فى وظيفته «اكميوى» ثم «الدون دى بوكرك» المشهور الذى وسع دائرة المستعمرات البرتغالية وفتح مدينة «كوى» بكاف فارسية من امارة دكن عنوة وجعلها عاصمة المستعمرات الشرقية واناط أمور ادارتها بالقومندان «تربستان دى اكونه» وحمل بعد سنوات قليلة على سيام وغيرها فاخضعها لسلطته«٨١» وارتد سنة ١٥٠٤م على خليج فارس فاستولى على مدينة مسقط ثم جزيرة هرموز وشيئا من الموانى الفارسية، ومازال يتقدم بفتوحاته فى الخليج حتى وصل الى جزيرة البحرين سنة ٩٢١هـ سنة م فاعجبه حسن منظرها وبهاء موقعها فقال كلمته المشهورة فى سيادة وسياسة الخليج «ان الذى يملك جزائر هرموز والبحرين يملك الخليج الفارسى» فوضع كلمته هذه موضع التنفيذ فطرق البحرين بمركبه الحربى واستولى على الجزيرة برمتها بعد محاربات طفيفة مع سكانها العرب لم تأت بادنى فائدة وذلك سنة ٩٢٥ وبنى فيها القلاع والاستحكامات الضخمة وبعد ان مهد الامور فيها اقام عليها حاكما «الدون ردى بيلى» مع قوة من الجند فاساء السيرة بعد مدة من الزمان وجار وظلم وعسف بالعرب عسفا فانقضوا عليه وتألبوا على مقاتلته وشق عصى طاعته ورئيسهم يومئذ الشيخ حسين بن سعيد وبعد الجهد الجهيد ضيقوا عليه الخناق وحصروه فى قصره ثم مسكوه بعد ذلك وعذبوه بافظع العذابات واخيرا صلبوه على جذع شجرة حتى مات مصلوبا وذلك فى سنة ٩٣٩هـ سنة ١٥٢١م ولما علمت حكومة «كوى» بذلك عظم عليها واقامها واقعدها هذا الامر وهمت بالانتقام من العرب وسحب الجنود عليهم لسحقهم فلم يستحسن بعض ذوى الرأى منهم ذلك واشار عليهم بوجوب محاسنة العرب واخذهم بالتى هى احسن استدراجا لرسوخ قدم الحكومة البرتغالية فى هذه الاصقاع ولكى يألفوا الحكم الاجنبي عنهم فانصاعت الحكومة لنصيحته وارسلت «الدوم لويس دى فيرس» مندوبا ساميا لدرس الاحوال فى جزيرة البحرين والعمل بما يراه صالحا لاصلاح ذات البين والاحتفاظ بناموس الحكومة واطلقت يده فى التصرف فوصل هذا الى البحرين ودعى اليه اكابر البلاد ووجوهها ومعهم الشيخ حسين فحضروا بحضرته فسأل عن الاسباب التى دعت لقتل الحاكم فاخبروه بما كان يعاملهم به من الجور والقسوة فطيب خواطرهم وعفى عنهم جميعا وبشرهم بان

٨٠ ــ كشف الغمة لابن سرحان.
٨١ ـ منجم العمران.

يولى أمور بلادهم من يحسن معهم السيرة فابوا وطلبوا منه ان يولى عليهم زعيما منهم وذلك نظرا لجهل الولاة الاجانب عوائد الوطنيين واحوالهم. فامتنع من اجابة طلبهم هذا فلم يتنازلوا عنه. ولما رأى اصرارهم أجابهم فيما طلبوا، ونصب الشيخ حسين بن سعيد اميرا على جزيرة البحرين تحت مراقبته واشرافه على الشئون العامة، وعادت المياه الى مجاريها وعم الامن والسلام البلاد«٨٢» : وكان النائب العسكرى فى البحرين للدولة البرتغالية رجلا يدعى «سيمون دى اكونه»، ولم يكن راضيا بمحاسنة العرب واخذهم باللين بل كان يرى اجبارهم وإذلالهم وقهرهم. وقضت بعض الظروف على الدولة البرتغالية بدعوة «دى فيزس» الى الهند وارسال خلفا له «داس بروديم كوزيل». وكان «سيمون دى اكونه» يتحين الفرص للايقاع بالعرب والانتقام منهم، فاتخذ فرصة هذا التغيير وخلق بعض الاسباب لتنفيذ مآربه السيئة ضدهم، فمانعه الوالى «كوزيل» فى ذلك فلم يمتنع واصر على رأيه وأحس العرب بذلك، فوقعت الوحشة بين الطرفين. ولما رأى «كوزيل» ان زميله مصر على الوقيعة والغدر بالاهالى وان نصحه له لم يجد شيئا ترك منصبه وسافر من البحرين تاركا هذا يعمل ما يريده ويتحمل وحده تبعة ما يجرى. فعندها خلا الجو «لدى اكونه» فاقام الحرب على الوطنيين فقابلوه بالمثل واشتعلت بين الفريقين نيران الفتنة والمحنة وكثر القتل فى الطرفين وضيق اللعين «دى اكونه» الخناق على العرب وظفر باميرهم الشيخ حسين فقتله وكاد ان يخضع العرب وينتقم منهم جميعا فباغته تفشى مرض الطاعون فى عساكره فتوقف عن الحرب ومات من عسكره خلق كثير ثم اصيب هو بالطاعون فهلك وخلفه على الولاية ابن عم له واستمر القتال بينهم حتى غلب العرب على امرهم وخضعوا للقضاء وسلموا للقدر. وهكذا خضعت البحرين للحكم البرتغالي المطلق. وتوحد هؤلاء بحكم البلاد لاينازعهم عليها منازع فرتبوا امورها واصلحوا شئونها وكلما من شأنه ان يعود عليهم بالدخل الوافر والخير الكثير وحسنوا حالة مغاص اللؤلؤ وسهلوا اسباب اخراجه ورتبوا اوزانه وقدروها واصلحوا الاراضى وشجعوا الزراعة فزرعوا فيها القطن والحنطة والشعير والرزوشادوا فيها القصور العالية والحدائق الغناء الناضرة وجلبوا اليها انواع الفواكه والازهار وغير ذلك«٨٣» وبالجملة فقد ادخلوا على البحرين حالة لم تعهدها من سياسية وادارية وعمران: وقال بعض الفضلاء ان حالة الحكومة فى البحرين على عهد البرتغاليين: انهم كانوا ينصبون لها حكاما من المسلمين الاعاجم السنيين والحاكم يتخذ له وزيرا من جنسه ليكون ادعى الى عمران البلاد واوفق لنظام السياسة البرتغالية وذلك انه بصفة كونه مسلما لا تنفر منه نفوس شيعة اهل البحرين وبصفة كونه اعجميا فجنسيته تمنعه من الانحياز الى جانب الاهالى لكونهم عربا وبصبغته المذهبية يؤمن منه الميل الى جانب الدولة الصفوية التى كانت شديدة التمسك بمذهبها الشيعى. بيد ان البلاد كانت قد انسلخت منذ عهد يسير، فبناء على هذا الاساس السياسي اختارت ان يكون حاكم البلاد بهذه الصفة فى جميع أدوار استيلائها عليها وبالرغم على ذلك هذه السياسة ان تسير على خط مستقيم فقد حدثت فتنه مذهبية اثارت خواطر الاهالى فى حيرة عمياء وذلك بدفينة تعصبيه شنعاء اشتعلت نارها فى القلوب، دسيسة طوية الحاكم المنصوب حدابه جهله الى فعلها فقيض الله لبعض الصلحاء من الاهالى توقيع من الجانب الاقدس كشف عن حقيقة تلك الحيلة وكسى فاعلها الخزى والعار واستشعر الاهالى بالفرح والاستبشار والقصة طويلة لخصناها ومن اراد الوقوف عليها فليراجعها فى كشكول الشيخ يوسف الاصم«٨٤» .

٨٢ — كتاب بلاد العرب الجنوبية.

٨٣ — كتاب بلاد العرب الجنوبية.

٨٤ — كشكول الشيخ يوسف الاصم.

ويقال ان واردات الحكومة البرتغالية من عشور منتوج قطن البحرين فقط سنويا يبلغ مائة الف جنيه انجليزي عدى وسوم منتوجاتها الاخرى الزراعية والصناعية وغيرها وربما يكون فى هذه المبالغ مبالغة فاما ان تكون هى عشور عامة منتوجاتها او يكون المبلغ ليس بالجنيه انما بالتومان الشاهي الذى كان يساوى فى ذلك الزمان اربع روبيات انجليزية وعملة اخرى اقل من ذلك: وان مينائها فى ذلك العهد دائما تراه راسية بجواره ما يتيف على الالف سفينة شراعية واكثر ما بين تجارية لمسافة الهند وافريقيا وغيرها من البلاد الواقعة على ضفاف الخليج الفارسى وبحر العرب وبين من يروح ويجيء من مغاصات اللؤلؤ واليها ومازالت البحرين تحت سلطة الحكومة البرتغالية من سنة ٩٢١ او سنة ٩٢٥ ثم اخذ ظل حكمهم فى الخليج يتقلص ونجمهم الزاهر فى الافول رويدا رويدا يخمد حتى انتهى حكمهم من البحرين فى سنة ١٠٣٩ كما سياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع والثلاثون

دولة ايران تسترجع البحرين من البرتغاليين

لما استولى البرتغاليون على جزيرة هرموز حصنوها وجعلوها مركزا حربيا بنوا فيها القلاع والحصون والمعاقل والمعامل الميكانيكية فاصبحت بلاد العجم مهددة بهذا الخطر المحدق حيث امتلك البرتغاليون اكثر جزر الخليج. ولما تولى الشاه عباس الكبير دست الملك سنة .... هـ عقد اتفاقية مع الشركة الانجليزية الهندية من ضمنه ارسال قائدين انجليزيين لتدريب عساكر الشاه عباس وذلك فى سنة ١٠٣٢ هـ سنة ١٦٢٤م وبعد ان قاما بما عهد اليهما من التدريب العسكرى خير قيام هاجما جزيرة هرموز وهدما ما بها من القلاع والحصون بضرب المدافع وتدبير ذينك القائدين الماهرين وتم الاستيلاء على جزيرة هرموز واطرافها بعد ان اصيب احد القائدين بقذيفة قضت عليه، وكان قبل ذلك بمدة قام اهل البحرين يكاتبون الشاه عباس الكبير خفية ويستنهضونه لتخليصهم من حكم البرتغال فمن ذلك ما حرره الشيخ عبيدال مذكور الى الشاه عباس يستنهض به همته ويحثه على القيام لطرد البرتغال عن ملك آبائه واجداده. ولا يخفى ان عواطف العقائد الدينية هى اقوى رابطة تربط اهالى البحرين لذاك العهد بشاهات الدولة الصفوية قال الشيخ عبيد من كتاب له طويل (الى الملك العظيم ذو القلب الرحيم. اما بعد فكيف رضيت همته العلية وشيمته القدسية بالجلوس فى دار اصفهان والاغضاء عن جلب الشقاء على اهل الايمان ام كيف قعدت به حميته وربست به غيرته عن اقامة أعمدة هذه الحنيفية وتشييد اعلامها الواضحة الجلية التى هى عين منهاج العزة المحمدية بعد ان صرفت فى اظهار نورها الاعمار وركبت فى تشييد دعائمها الاهاويل والاخطار فحسبك من تشتت شملها وأضمحلال اثرها واندراس اعلامها كيف لا وقد كانت الافاق بسنى نوركم مشرقة وافئدة الخاضعين بثواقب سياستكم محدقة على الخصوص آبائك الكرام واجدادك العظام حتى صارت الطريقة لا تنسب الا اليهم ولا تعرف الا بهم حتى كأنها صارت مقرونة بهم فبوجودهم ظهرت وبموتهم فقدت ولم يبق مع اطلالها الا عروشا خاوية وآثارا متداعية ومع ذلك فقد اكتفينا من عمارها بالخراب ومن مائها بالسراب.. وهو كتاب طويل لم نقف على بقيته. ولما وصل هذا الكتاب الى الدربار السلطانى نال من الحضرة الشاهانية كل قبول واجلال وعجب الشاه من ذلك الكتاب غاية العجب وتاقت نفسه لمشاهدة محرره واستنطاقه بمحضره فارسل اليه يشكره على اخلاصه لحكومته ومودته لدولته ويثنى على ما

ابداه من الحمية والغيره ويطلب منه القدوم الى أصفهان والوفود عليه فى ذلك المكان فاجاب الشيخ الدعوة وامتطى غارب البحر الى (بوشهر) ومنها واصل السير برا الى عاصمة المملكة الفارسية ولما وصل واستوى بفناء القصر الملوكى أحسن الشاه ملتقاه واكرم نزله ومثواه واجازه الجوائز العظيمة وخلع عليه الخلع الجسيمة وانصت لكلامه واطربه نثره ونظامه وشكر غيرته الدينية وحميته الملية وسأله عما يعلمه من حالة الخليج عامة والبحرين خاصة فاخذ يشرح له ما اتاه البرتغال من عظائم الاعمال وما اكتشفوه من المعادن المغرية فى جزيرة هرموز وبين له عظيم دخل البحرين وما ادخله عليها الاعداء من التحسين فى فنون الزراعة والمغاص وانه بعد ان كان معظم دخله بيد الاهالى العرب كيف انتقل الى ايدى المتسلطين وبعد ان كانت مصالحه وخيراته تستقر فى خزينة الدولة الفارسية امست تلك المصالح بيدهم وهم لا يستحقونها. والخلاصة انه اسهب فى ذكر ذلك ووصفه حتى اثر قوله فى الشاه عباس ووعده انه لابد من انتشال البحرين من أيدى مغتصبيها[85].

وبعد ان قام الشاه عباس باكرام الشيخ عبيد اذن له بالسفر الى بلاده بعد ان اغدق عليه نعمه. ولما استولى الشاه عباس على جزيرة هرموز كما قدمنا ارسل عساكره فى المراكب سنة ١٠٣٩ هـ سنة ١٦٢٢م تحت قيادة امام قليخان الى جزيرة البحرين فقاتلهم فيها فقهرهم واسترجع بلاد البحرين منهم واستلم ادارتها وسقط عنها حكم البرتغال وكان ذلك اليوم يوما مشهودا عند العرب الوطنيين ومن ذلك اليوم عادت للدولة الصفوية فولى شئونها الادارية والملكية سوندك سلطان احد ولاة العجم والامور الملية الشرعية بيد الشيخ عبيد آل مذكور وأحسن سوندك سلطان السيرة وعدل فى الاحكام واعفى الاهالى من الضرائب المفروضة عليهم سابقا للحكومة البرتغالية. وفى سنة ١٠٤٣ هـ عزل سوندك سلطان عن إمارة البحرين فتوجه الى ايران وقدم هدايا وتحفا فاخرة للشاه عباس ومن جملتها سيف لتيمور لنك فاعجب الشاه بهذا السيف وخلع عليه وأكرمه وولاه ولاية البحرين مرة ثانية:

وفى سنة ١٠٥٩هـ سنة ١٦٤٢م قدمت من الهند حملة برتغالية فى أسطول كبير بقصد استرجاع جزيرة هرموز والبحرين فعارضها فرصان البحر من العرب وغيرها فانتهبوها فى خليج عمان فارتدت على اعقابها[86]. فيئس البرتغال من استعادة حكمهم فى الخليج لاسيما ودولة الانجليز قد اخذ نجم عزها فى الظهور وقطعوا الآمال وافسحوا لها طريق المجال. وفى سنة ١٠٦٤هـ سنة ١٦٤٧م اعتزل سوندك سلطان منصب الحكم فيها فخلفه عليها باباخان سلطان فانحرف عن خطة سلفه واطلق يد الجور والظلم واجحف بحقوق الرعية فارتفعت اصوات الاهالى بالاستغاثة من ظلمه ولما كثرت الشكايات ضد باباخان سلطان عزلته الدولة الفارسية سنة ١٠٧٧هـ واستبدلته بزمان سلطان بن قزل خان وفى هذا العام توفى الشيخ عبيد آل مذكور فولت الحكومة الشئون الملية ابنه الشيخ على بن الشيخ عبيد آل مذكور ومات زمان سلطان والى البحرين سنة ١٠٩٠ هـ فتولى مكانه مهدى قليخان ومات الشيخ على بن عبيد آل مذكور سنة ١١٠٩ هـ فتولى مكانه الشيخ ناصر بن سيف. ثم عزل عنها مهدى قليخان سنة ١١١٣ هـ وولى مكانه قزاغ خان فكان جائرا ظلوما غشوما وقد نظم فيه احد الادباء بيتين من الشعر فقال

مهدى قلى صرفوه عن بحريننا ... عام الفجور وحكموا قزاغا

ملأ الفجاج ببغيه وفجـــوره ... فلذا أتى تاريخـــه «قد زاغا»[87]

وفى سنة ١١١٢ هجمت قبيلة العتوب على البحرين كما يأتى ذلك فى الفصل التالى انشاء الله تعالى[88]. ثم تغلب على البحرين الشيخ الجبري - سيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

٨٥ - نقلا عن جريدة مظفرى البوشهرية سنة ١٣٢٥ هـ.
٨٦ - بلاد العرب الجنوبية.
٨٧ - ١١١٢ هـ.

المؤلف، والظاهران الذى خلف زمان سلطان على الحكم فى البحرين هو قزاغخان بناء على ما ذكره العلامة الشيخ

سليمان الماحوزى المتوفى سنة ١١٢١ هـ فى كشكوله فى ابيات له يهجو بها هذا الحكم ويصف جوره فى الحكم ويؤرخ عام عزله عنها وهى هذه.

لا عدى قزاغ اطواره/ ولم تنفد فيه صروف الملام/ وعاث فى الارض ولم تنج عدواته من أبناء سام وحام/ سددت الناس اليه الرماح / وانتاشه مثقفات السهام / واخترمته الدعوات التى/ صفت. ./ ووجهه صفت على رغمه/ لحضرموت لا لوادى السلام/ وهذا واثناء الذى خلفه/ يأتى بعدى وهدى وانتظام/ فخابت الامال فيه ولا/ غرو فلى سحب الاماتى جهام/ بجلبته السابق صل وعن / قرب ينجل وهو سوء الختام. تاريخه ان شئت بيانه «يهلك غياه والختام السلام مفاتيح الادب فارسي انتهى وربما تولى قبله غيره فى ذلك الحين واما هو فمما لايحتمل الشك انه عزل فى سنة ١١٠٦ هـ/ كما جاء فى النص.

٨٨ - هامش - الفصل الثالث والثلاثون فى هجوم آل عتبة على البحرين سنة ١١١٢هـ لقد وقعت حوادث ووقائع خطيرة فى البحرين من سنة ١١١٢ هـ الى سنة ١١٢٨ هـ ولم يحدثنا بها المؤرخان الفاضلان الشابان الأديب ناصر الخيرى والشيخ خليفة النبهان ولو وقفا عليها للذكراها، وقد حدثنا بها العلامة الشيخ يوسف المصفورى الدرازى البحرانى فى لؤلؤته عن أبيه الشيخ احمد بن ابراهيم وعن الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجى وكانا معاصران للحوادث المشار اليها قال رحمه الله: انا مولدى «اى الشيخ يوسف» كان فى سنة ١١٠٧ هـ فى قرية الماحوز حيث ان الوالد كان ساكنا هنا لملازمة الدرس عند شيخه الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزى وانا يومئذ ابن خمس سنين تقريبا وفى هذه السنة صارت الواقعة بين الهولة والعتوب، عاثوا فى البحرين بالفساد ويد الحاكم قاصرة عنهم، فكاتب شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبدالله بن ماجد البلادى الهولة يأتوا على العتوب وللوالد رحمه الله ابيات فى ذكر هذه الواقعة وتاريخها ولم يحضرنى منها الا البيت الاخير المشتمل على التاريخ وهو قوله تفنية القبيلة العتبية ومام تلك «تشترها» فاحسبه ١١١٢: انتهى ولكنه لم يسم لنا رؤساء المحاربين وذكرها اجمالا بل ما برحت نتيجة النصر لاى جانب حصل مجهولة، والذى نفهمه من طى عبارته ان البحرين كانت حينئذ تحت حكم الهولة او آل مذكور الذين كانوا عمالا وولاة لدولة العجم فى اطراف المملكة وان المهاجمين من آل عتبة، وربما كانوا من اهل قطر اذ ان آل خليفة لم ينتقلوا من الكويت الى هذه الجهات بعد كما سيأتى بيان ذلك فى محله إنشاءالله تعالى وان النصر تم لاهل البحرين بمعونة المدد الذى طلبه شيخ الاسلام الشيخ محمد بن آل ماجد المتقدم ذكره.

الفصل الخامس والثلاثون

استيلاء الشيخ الجبرى على جزيرة البحرين ثم قتله ورجوع البحرين الى دولة فارس

وفى سنة نيف وعشر بعد الالف ومائة استقل بالبحرين الشيخ الجبرى وهو من بقايا الجبريين الذين كانوا يحكمون الاحساء فانقرضت دولتهم من الاحساء سنة ٩٩٩هـ كما تقدم ذكره. ولما استولى الشيخ الجبرى على البحرين جعل مقره المسمى (العمر) وبنى به قلعتين على جبلين متقابلين والبلدة بينهما وكان له وزير يسمى الشيخ فرير بن رحال وسكناه الرفاع الشرقى وبنى به قلعة عظيمة ولتقادم السنين خربت تلك القلعة ولما استولى الخليفيون على البحرين سكن الشيخ سلمان بن احمد الرفاع وبنى على اساس تلك القعلة قلعة محكمة البناء وهى باقية الى الان سوى انه جعلها اصغر من الاولى. يقال ان سبب انقراض دولة الشيخ الجبرى من البحرين هو انه كان مغرما بالنساء ولا توصف له امرأة جميلة الا تمكن منها حلالا ام حراما رضا ام قهرا فوافق فى بعض الايام ان احد جلسائه وصف له امرأة بالجمال وحسن القد والاعتدال وبعد ان اطنب له فى وصفها سأله من هي هذه الحسناء قال هى زوجة وزيرك الشيخ فرير فشغف الشيج الجبرى بها على السماع واحتال على الوزير فوجهه بهدايا الى بعض الامراء كالعادة وبعد مضى الوزير الى الوجه المذكور ارسل الى زوجته امرها ان تتهيأ لمجيئه اليها فى هذه الليلة وشدد فى الطلب فخافت زوجة الوزير من بطش الحاكم الجبرى واجابت طلبه فلما اتى الحاكم الجبرى الى منزلها ليلا احتالت عليه وزفت له جارية من خدمها فبات الحاكم معها حتى اصبح وهو يحسب انه نال بغيته الا انه لم يجدها كما وصفت له ولما قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى وانها خدعت الحاكم بزفاف احدى الخدم اليه فشكرها على امانتها الزوجية. ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم الجبرى وشرعا يلعبان الشطرنج كالعادة انغلب الوزير فارتجل الشيخ الجبرى هذين البيتين النبط فقال

ذئيب سرى فى ظلام الليل كل شاتك كل اللحم والشحم واروى خشاشاته
والصاحب اللى بعد تهوى حماماتـــه ان ردت لاماه لا تطرى لياشـــــاته

متعرضا فيهما بقصته مع زوجة الوزير فعرف الوزير مرمى كلامه وتألم من مضمون نظامه ثم انه جد فى اللعب حتى غلب الشيخ الجبرى فاظهر السرور وانشد ابياتا منها وهى أيضا من النبط.

يا من حبل للبطوط واصطاد عنقوده هذاك بين الخلائق شاع منقوده

قاصدا بها اجابة الشيخ الجبرى ففهم المعنى وعرف بانه خدع وتحقق ما مر بخاطره حين اضطجاعه تلك الليلة فحنق عليه وسل سيفه وضرب به وزيره فجندله فى الحال لان المسألة وافقت المثل (لا حاجة انقضت ولا السر انكتم) فلما شعرت زوجته بقتله وعرفت سببه فرت من البلاد خوفا على نفسها من هذا الطاغية الى دارين وشرعت تدبر للاخذ بثأر زوجها فامرت صايغا ان يصوغ لها صحنا من فضة ويجعل فى وسطه نخلة من ذهب فى طول ذراع مثمرة تلك النخلة بفاخر اللآل فلما كمل كاحسن ما يكون قدمته هدية للشاه عباس الثانى وحسنت له الاستيلاء على البحرين لما فيها من الغناء وموارد الثروة فاوصت الرسول ان يقول للشاه ينظر الى ارض البحرين و الى شجرها وثمرها وهذه الهدية عنوان لذلك والحال انها من امرأة فطمع الشاه عباس فيها واصدر امره لعامله على

شيراز واسمه «الله ويردى خان» بان يحمل على البحرين وينتزعها من ايدى العرب فجهز ويردى خان جيشا ـ عظيما مؤلفا من اهل المحمرة ومن اهل القصبة تحت قيادة خاجا معين الدين الغالى فلما نزلوا بالبحرين استقبلهم الشيخ الجبرى بجيش مؤلف من آل ابى مهير فتقابل الجيشان وحصلت بينهما معركة عظيمة قتل فيها الشيخ الجبرى وتفرق جيشه وهو اخر الحكام الجبريين واستولى الشاه عباس الثانى على البحرين وهكذا سمت همة هذه المرأة الفاضلة حتى اخذت بثأرها وانتصفت لنفسها ولزوجها«٨٩». ولما تم لايران فتح البحرين وقتل ذلك الطاغية ولوا عليها اميرا من قبلهم وقفلوا راجعين. ونحو سنة ١١٢٧ هاجمت حكومة عمان البحرين كما سيأتى فى الفصل التالى بيان ذلك انشاء الله تعالى«٩٠».

الفصل السادس والثلاثون

استقلال الشيخ جبارة بالبحرين عن حكومة ايران

فى اواخر ايام الدولة الصفوية ملك جزيرة البحرين الشيخ جبارة الهولي«٩١» وهو من عرب سواحل فارس وسبب ذلك انه لما رأى الفتور فى امر الدولة الصفوية عصى بما تحت يده من الممالك ومن ضمنها جزيرة البحرين وادعى الاستقلال بها وبقيت تحت حكمه الى ان قام نادر شاه واستولى على عرش ايران استرجع جزيرة البحرين من الشيخ جباره وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى«٩٢».

الفصل السابع والثلاثون

نادر شاه يسترجع جزيرة البحرين

لما استولى نادر شاه على عرش ايران وتوج فى صفر سنة ١١٤٨هـ وثبت ملكه شرع فى تاديب العمال والامراء العاصين الباغين على بعض اطراف المملكة الفارسية ومن اجل ذلك ارسل عامله ميرزا تقى خان واليا على شيراز وامره بانتزاع جزيرة البحرين من يد الشيخ جبارة فامتثل امره وجهز افواجا من عساكره وقصد بها البحرين وكان الشيخ جباره غائبا عنها وهو يومئذ فى مكة المشرفة واما نائبه على البحرين فحين راى نزول تقى خان بجيشه لم يستطع ان يثبت للمقاومة ففر هاربا بنفسه فاستولت عساكر نادر شاه على البحرين وذلك سنة ١١٥٠ وفى السنة الثانية هجم على البحرين سلطان مسقط وامام عمان واستولى عليها وسياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثامن والثلاثون

سيف بن سلطان الاباضيى
حاكم مسقط وامام عمان يستولى على البحرين

وفى سنة ١١٥١ هـ غزا البحرين الامير سيف بن سلطان بن سيف بن مالك بن يعرب النبهانى حاكم مسقط وإمام عمان فى عدة من سفنه الحربية مملوءة بالجنود والذخائر والعدة الكاملة وحين وصوله البحرين اشغل القتل والنهب فى البلاد مدة ستة ايام ثم ضبطها بعد ذلك وتصرف فى شئونها وحكمها وحكامها فمنهم من قتله ومنهم من فر الى جهات الاحساء والقطيف وبوشهر ومنهم من اسره وأودعه السجون فكان من جملة الاسرى الشيخ ناصر بن سيف مع عدة من المشايخ والعلماء ولم يتحمل الشيخ ناصر ما عاناه من ذل

٨٩ ـ تاريخ البحرين لابن نبهان.

٩٠ ـ هامش الفصل الخامس والثلاثون، اهل عمان يهاجمون البحرين ذكر العلامة الشيخ يوسف العصفوري المتقدم ذكره فى لؤلؤته ضمن تفصيل احواله وفى ترجمة الشيخ عبدالله صالح السماهيجى ما مضمونه: الى ان اتفق مجيء الخوارج الى اخذ بلاد البحرين فحصل العطال والزلزال بالتأهب لحرب اولئك الانذال وفى اول سنة وردوا لاخذها تقدموا فى غراب «اي سفينة» واحدة، وانضمت اليهم الاعراب من اعداء الدين والنصاب (فقابلهم اهل البحرين وحمى بينهم الحرب واشتد الطعن والضرب وانتصروا على عدوهم واصبحوا ظاهرين) ورد الله كيدهم فى نحورهم وانقلبوا خاسرين بالخيبة والفشل ولم يتمكنوا من اخذها (وذلك نحو سنة ١١٢٧ هـ كما سيأتى ترجمته فى هجومهم الثانى بعد سنة.

٩١ ـ الفصل السادس والثلاثون فى هجوم العمانيون الثانى على البحرين، لما رجع العمانيون بالخيبة والفشل منهزمين من البحرين ١١٢٧ هـ تقريبا كما قدمنا فى الفصل السابق فما برحوا يحثهم عاملان على استئناف مهاجمة البحرين - عامل اخذ الثار وعامل طمع الاستيلاء عليها فمازالوا يستعدون ويرتقبون الفرص حتى اذا حال الحول شحنوا السفن بالسلاح والذخيرة والرجال والقوا على جناح الاستعجال كما جاء فى المصدر السابق للشيخ يوسف تاويل الاحاديث فى لؤلؤته بقوله: ثم بعد سنة تقدموا فى سبع برش «أى سفن» وانضمت اليهم الاعراب وكان قد ارسل الشاه سلطان حسين خانا من اهل رشت مع جملة من العسكر قبل وصولهم فانحدروا عليها ايضا فى جمع غفير وقد كان اهل البحرين قد استعدوا بالاسلحة للحرب وساعدهم العسكر المذكور فوقع الحرب وهم فى السفن فقتل منهم جمع ورجعوا بالخيبة ايضا «وكان ذلك فى سنة ١١٢٨هـ وسيأتى الفصل التالى ذكر هجومهم الثالث عليها.

٩٢ ـ فى استيلاء الخوارج على البحرين. قدمنا فى الفصل السابق كيرة اهل عمان فى البحرين ورجوعهم بالخيبة والفشل منهزمين الا انهم لم يثنوا عن عزمهم ولم يعدلوا عن طمعهم ولم يؤثر عليهم ما منوا به من الاندحار فى الهجوم الاول والثانى، ولم تخمد جرتهم ولم تفتر عزيمتهم وظلوا يتحينون الفرص لاخذ الثار ونيل الفخار باستيلائهم على الديار كما ذكره الشيخ يوسف المتقدم فى لؤلؤته بقوله: وبعد رجوعهم «اى الخوارج فى كرتهم الثانية، سافر الشيخ عبدالله السماهيجى الى اصفهان للسعى فى مقدمة البلدة المذكورة عند الشاه، وقد كان شيخ الاسلام ايضا فى اصفهان لهذا الغرض» الا انه لما كانت دولة الشاه المذكورة مدبرة رجع بالخيبة عما آمله وتوطن فى بلدة بيهان لعلمه برجوع الخوارج اليها وبعجز البحرين، فاتفق مجيء الخوارج مرة ثالثة واتفق لا بهم فى حصار البلد لتسلطهم على البحر بحيث انها جزيرة ومنع من فيها من الخروج والدخول وانضمت الى اعانتهم ايضا اعداء الدين من الاعراب وحاصروها مدة مديدة حتى ضعف اهلها واتحوها قهرا، وكانت واقعة عظمى

الاسر فمات فى محبسه ولما بلغ مسامع نادر شاه اخبار تعديات حاكم مسقط على البحرين وعبثه بالفساد فى الخليج اهتم لهذا الامر وسيأتى بيان ذلك مما يلى انشاء الله تعالى«٩٣».

الفصل التاسع والثلاثون

نادر شاه يسترجع البحرين

قدمنا ان الفاتح العظيم نادر شاه اهتم لما اصاب البحرين والخليج الفارسى من تعديات الاباضيين سنة ١١٥١هـ فاصدر اوامره الى ميرزا محمد تقى خان والي شيراز والخليج بالذهاب الى البحرين مع كلب على خان للنظر فى احوالها وتأديب المعتدين فصدع الامير المذكور بالامر وجهز عساكره ورجاله وركب السفن من بوشهر قاصدا الى البحرين ولما بلغت اخباره الى الامير سيف بن سلطان ترك البلاد وحمل ما سلبه منها وانهزم الى بلاده على اثر انهزامه وصل ميرزا محمد تقى خان ولما علم بفرار سيف بن سلطان طيب خواطر الاهالى وولى عليها كلب والى خان واقام الشيخ غيث بن ناصر بدلا من الشيخ ناصر وسافر لتتبع آثار الفارين. ومات كلب على خان بعد اربع سنوات من ولايته فلم ترسل الحكومة له بدلا واكتفت باخلاص امراء آل مذكور وزعيمهم الشيخ غيث وسلمته امور الادارة والسياسة ومات الشيخ غيث فى اواخر سنة ١١٨٧ هـ وتولى منصب الحكم خلفا له الشيخ نصر بن ناصر «٩٤» وفى تلك الايام وصل الى البحرين سياح انجليز حلوا ضيوفا على الشيخ نصر وطلبوا منه الاذن لهم زيارة داخلية جزيرة البحرين والتفرج على آثارها فاذن لهم بذلك. فبلغ الحكومة الفارسية الخبر فكتب وزيرها الداخلى ميرزا مهدى خان مكتوبا لوالى البحرين الشيخ نصر بن ناصر يلومه ويوبخه فيه على صنيعه ما نصه بعد الديباجة. «انك اجتمعت برجل مسيحى وكلمته فى شئون الجزائر والخليج وتزعم انه سياح فسرك بمنقولات خطابه ومقولات ايابه وذهابه حتى بسطت له بساطا منيعا وشددت له ازرك سريعا ما قرأت قوله تعالى «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» فان اتبعت هواه بعد ان فهمت فحواه انت اذا من الهالكين ولا تخفض جناحك الا للمتقين والسلام على من اتعظ بمواعظ الله ورحمة الله وبركاته». انتهى الامضاء مهدى، فكان جواب الشيخ نصر ما نصه بعد الديباجة والسلام. «واما ما ذكرتم فى مكالمتى مع المسيحى ومودتى له فمن بلغكم غير مبالغ وانتم تعلمون مواظبتى على حفظ الثغور ودقتى فى الامور مشهور غير منكور واما بسط الفراش واطعام الناس فتلك من شيم الانبياء والسلاطين واميرنا لم يستحسن تركها والسلام». امضاء: عبدكم نصر: فاجابه الوزير يقول «لقد وصلنا كتابك فوجدناه كالخطيب المصقع له عبارات واشارات، تصريحات وتلويحات الا انه لا ينفعنا ولا ينفعك اذا ليس لنا كلام فى الاطعام من حيث الحلال والحرام فلهذا موضع آخر من فقه الاحكام وانما كلامنا فى علم السياسة وموضوعات الرئاسة فما اشبه حالنا معك بمن قال «اريد السهى فيرينى القمر» وقد بلغنى ان الرجل المسيحي استجازك فى كشف جبلات البحرين وحفر اراضيها «والتنقيب عن آثار الاقدمين» وتلاها وان اغضيت طرفى عن ذلك وحملتك على احسن المسالك لعلمنا بحسن سيرتك وصفاء سريرتك فاعملوا لما ترونه لكم صلاح وتعتقدونه من جادة الفلاح والسلام عليكم: الامضاء مهدى»: فترى مما تقدم ان الشيخ نصر قد تساهل مع الانجليز مساهلة عاتبته عليها حكومته الايرانية وبقيت البحرين من مضافات مملكة فارس الى اواخر الدولة الزندية الفارسية واوائل الدولة القاجارية فاما الدولة الزندية فهى الطبقة الثامنة من ملوك

داهية دهماء. كما وقع من عظم القتل والسلب والنهب وسفك الدماء. وبعد ان اخلوها فامنوا اهلها وهربت الناس سيما أكابر البلاد منها الى القطيف والى غيرها من الاقطار ومن جملتهم الوالد والشيخ احمد بن ابراهيم الدرازى العصفورى مع جملة العيال.. والاولاد فانه سافر بهم الى القطيف وتركنى فى البيت الذى لنا فى قرية الشاخورة حيث ان فى البيت بعض الخزائن المربوط فيها على بعض الاسباب من كتب وصفر وثياب، فانه نقل عنه جملة الى القلعة التى قصدوا الحصار فيها وابقى بعضا فى البيت مربوطا عليه فى اماكن خفية، فاما ما نقل الى القلعة فانه ذهب بعد اخذهم القلعة، وخرجنا جميعا بمجرد الثياب التى علينا ولما سافر الى القطيف بقيت انا فى البلد وقد امرنى بالبقاء واما ما يوجد من الكتب التى انتهبت فى القلعة وثم استنقاذها من ايدى الشراة فاستقلت جملة مما وجدته وارسلت به مع جملة ما فى البيت شيئا فشيئا ومرت هذه السنين (سنين الحرب كلها بالعطال ثم إنسافر الى القطيف لزيارة الوالد. الخ ما سيأتى فى الفصل التالى فى محاولة العجم على استرجاع البحرين.

٩٣ - مفاتيح الادب - فارسى.

٩٤ - الفصل الثامن والثلاثون. فى محاولة العجم لاسترجاع البحرين. لقدمنا فى الفصل السابق ذكر استيلاء الخوارج على البحرين وانتزاعها من الدولة الايرانية الا ان الشيخ يوسف البحرانى المتقدم يحدثنا فى لؤلؤته بان حكومة ايران حاولت استرجاع البحرين وذلك بقوله بعد العبارة المتقدمة فى اخر الفصل السالف: ثم انى سافرت الى القطيف لزيارة الوالد وبقيت شهرين او ثلاثة فضاق بالوالد الجلوس بالقطيف لكثرة العيال وضعف الحال وقلة ما فى اليد فعزم على الرجوع الى البحرين وان كانت فى ايدى الخوارج الا ان القضاء والقدر حال بينه وبين ما جرى فى باله وخطر، فاتفق ان عسكر العجم مع جملة من الاعراب جاءوا لاستخلاص البحرين من أيدى الخوارج فى ضمن تلك الايام فصرنا نرتقب ما يصير من امر ذلك وما ينتهى الحال فى هذه المهالك حتى دارت الدائرة على العجم فقتلوا جميعا وحرقت البلاد وكان فى جملة ما حرق بالنار بيتنا فى القرية المتقدمة (الشاخورة) فازداد الوالد من غصته لذلك حيث انه خرج على بنائه مبلغا خطيرا وصار هذا سبب موته وطال به المرض شهرين وتوفى فى ٢٢ فى شهر صفر ١١٣١هـ.

فارس واولهم كريم خان الزندى الذى حارب البصرة واخذها سنة ١١٨٨هـ واخذ من بعدها بغدادا ثم حاربته الدولة العثمانية وكسرته مرتين وصارت هاتان الواقعتان سببا لتقلص حكمهم على البحرين سنة ١١٩٧هـ اذ فى هذه السنة قام الشيخ نصر لغزو العرب عتوب آل خليفة بالزبارة لينتقم منهم جزاء ما ارتكبوه من تعديهم على جزيرة سترة وقتلهم ونهبهم اهلها فباء بالانكسار وكان اخر عامل لفارس على البحرين وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى«٩٥».

هامش ٢: الفصل التاسع والثلاثون. العجم تسترجع البحرين صلحاً نحو ١١٣٢ فى اواخر سنة ١١٣٢ هـ حاولت دولة ايران ان تسترجع البحرين بالقوة كما تقدم فما افلحت وقتل جميع عساكرها التى بعثتها ونحو سنة ١١٣٢ تم لها استرجاع البحرين صلحاً كما ذكره الشيخ يوسف المتقدم فى لؤلؤته بقوله: وبقيت فى القطيف بعد موت الوالد مما يقرب من سنتين.. الى ان قال وانا فيما بين ذلك اتردد الى البحرين لاجل مالنا فيها من النخيل لاصلاحها وجميع حواصلها وارجع الى القطيف واشتغل بالدرس الى ان اخذت البحرين من ايدى الخوارج صلحاً بعد دفع مبلغ خطير لامام الخوارج لعجز ملك العجم وضعفه وادبار دولته بسوء تدبيره فرجعت البحرين. انتهى، ويفهم من عبارته ان الصلح تم مع امير البحرين لا مع ايران والله اعلم.

ونحو سنة ١١٣٨ تغلبت اعراب الهولة على البحرين كما ذكر ذلك الشيخ يوسف البحرانى المتقدم فى لؤلؤته بقوله: فرجعت الى البحرين «اى بعد الصلح المتقدم ذكره» وبقيت فيها خمس او ست سنين وانا مشتغل بالتحصيل درسا ومقابلة عند الشيخ احمد بن عبدالله البلادى مع.. الى ان قال واتفق خراب البلد باستيلاء الاعراب من الهولة عليها حتى صاروا حكامها لاسباب يطول نشرها بعد استيلاء الافاغنة على ملك الشاه السلطان حسين وقتله: كما ذكر ذلك ايضا الفاضل ابن النبهان فى تاريخه بقوله.....

٩٥ ـ البحرين لابن نبهان.

الباب الثالث
فى استيلاء آل خليفة على البحرين وفيه فصول

الفصل الاول
فى نسب آل خليفة ومبدأ امرهم ومنازلهم الاولى

ان مؤرخى العرب قد قسموا العرب من حيث الوجود الى قسمين بائدة وغير بائدة فالبائد طسم وجديس وعاد وثمود وجرهم العمالقة قد سبق لهذا القسم ذكر فى فصول الباب الاول من القسم الثانى. وغير البائدة ـ قسمان ايضا قحطان وهم العرب العرباء وعدنان وهم العرب المتعربة وفيهم الشرف: وتنقسم العدنانية الى شعبين مضر وربيعة والمضرية مساكنهم بالحجاز وكانت لهم الرئاسة بمكة والحرم: واما ربيعة فكانت منازلهم بين اليمامة والبحرين والعراق: وتنقسم ربيعة ايضا الى عمارتين بنى كلب وبنى اسد فبنوا اسد ذو وجلد وعدد: قال ابو عبيدة وقد دخل بنواسد فى عبدالقيس وقد تقدم ذكر هؤلاء ايضا فيما سلف من الفصول اذهم ابطال الرواية فى تاريخ البحرين فى العصور الاولى والاخيرة: وتنقسم بنواسد ايضا الى بطنين جديلة وعنزة وكانت ديار بنى عنزة عين التمر من برية العراق على ثلاث مراحل من الانبار ثم انتقلوا منها لاسباب حربية الى جهات خيبر فاقاموا هنالك وورث ديارهم غزية من طيء وكان مع بنى عنزة احياء من طيء وهم بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء وكانوا ينتجعون معهم ويشتون فى برية نجد وتنقسم بنو عنزة الى افخاذ كثيرة اكبرها جميلة، وتنقسم بنو جميلة الى فصائل اشهرها بنو عتبة: وتنقسم ايضا بنو عتبة الى عشائر اكبرها آل خليفة وهم المقصودون بهذه النبذة. وقد عظمت هذه العشيرة حتى ساوت الفخيذه. فنسب الشيخ خليفة الذى اشتهر به هذه الفخيذة من عتبة ثم من جميلة ثم من عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان: وفى عابر وهو نبى الله هود يلتقى الحيان قحطان وعدنان: قال القضاعى فى منظومته «الى عابر القى معدا ويلقانى» لان قضاعة من قحطان بن عابر وعدنان يتصل بعابر بن شالخ بن ارفخذ بن سام وهو ابو العرب اجمع البائدة والباقية: ويطلق لفظ بنى عتبة على آل خليفة وآل صباح وآل ابن علي وعلى الجلاهمة وما سواهم فبالتبعية لهم«٩٦»

اما مساكنهم الاولى فالمدار من قرى الافلاج بنواحى نجد اليمامة وتسمى فج الافلاج«٩٧» لأن أفلاج «اقسام» نجد اليمامة كثيرة وأعظمها هذا الفلج لانه اكثرها نخلا ومزارع وسيوح جارية واهله اكثر اهالى الافلاج غنى وتبسط فى المعيشة والرخاء وهم آل جميل المعروف بقيتهم الى يومنا هذا بتلك الديار بالكبراء. وقد اتفق فى اواسط القرن الثانى عشر هجرى وقوع شقاق بين امراء جميلة بحكم سنة تنازع البقاء فتفرقوا فى اطراف الجزيرة وبعض من آل جميل حلوا بسيف البحر مما يلى نواحى كاظمة وهو الموضع المعروف بالكويت وهم احمد بن محمد الفيصل ومن يليه من اهله وقرابته وعشيرته ونزلوا بها مطمئنين مسرورين على ان المنية عاجلت الشيخ احمد فانتقلت زعامة العشيرة الى إبنيه خليفة وفاضل اللذين رزقا بولدين دعى خليفة ولده بمحمد ودعى فاضل ولده بخليفة وبينما كانت الكويت ترتع فى رياض الدعة والامان والعشيرة نمت واعتزت واحترفت الحرف الكثيرة من برية وبحرية واكثرها شغل باستخراج اللؤلؤ من الخليج الفارسى، ولكن فى سنة ١١٥٤هـ غزا طهماسب شاه الفارسى البصرة وتوصل الى الزبير والكويت فانتهبهما بعد ان حاربها ولما

٩٦ ـ معجم البلدان.
٩٧ ـ واثاب عنه على البحرين مدن.

عاين خليفة وفاضل مانالهم من التعدى الممقوت من العجم انفا الذل وكرهـا الاقـامـة فى بلاد تنازلها فيها ايدى الاعـاجم فخطـرت ببـالهما الهجـرة منهـا الى سـواهـا من ارض الله الفسيحة وسيأتى بيان ذلك فيا يلى انشاء الله تعالى

الفصل الثانى

فى مهاجرة آل خليفة الى نواحى قطر والزبارة

لما كره آل خليفة الاقامة فى بلاد تنالهم فيها يد التعدى عزموا على الهجرة منهـا ولما كـان فاضل بن احمد الخليفة دائم الاسفار لاسيا فى فصل لتعاطى حرفته التجـاريـة فى اللـؤلـؤ زين لاخيه الانتقال الى نواحى قطر ومجاورة آل مسلّم امراء تلك الديار وبعـد ان قـر رأيهم على ذلك هيأوا سفنهم وما يحتـاجـون اليـه وركبـوا السفن مع كـافـة عشيرتهم واقلعـوا من الكـويت ولما وصلـوا اطـراف قطـر طـابت لهم بها السكنى واخـذوا يتعـاطـون مهنتهم فى الغوص على استخراج اللؤلؤ والمتاجرة به والزعامة على العشيرة لخليفة بن محمد وبعد مـدة وجيزة انتقل الشيخان الى دار البقاء اى خليفة وفاضل ابنى احمد وتبوأ مقـامهما من العشيرة محمد بن خليفة وابن عمه خليفة بن فاضل وقد رزق كلاهما بعدة اولاد فكـان لمحمـد بن خليفة خمسة بنين خليفة واحمد وعلى وابراهيم ومقرن ولخليفة بن فـاضل خمسـة اولاد أيضـا وهم راشد ومبارك وعلى ومحمد وفيصل وبما ان العائلة المذكورة تكاثر عددها فقـد انقسمت الى قسمين قسـم يعرف بآل خليفة وهم اولاد خليفة بن احمد بن محمد بن فيصل السـالفي الذكر والثانى يعرف بالفاضل اولاد فـاضل بن احمد بن محمـد بن فيصل المتقـدم ذكـرهم وكانت الرئاسة فى ابناء خليفة بن احمد وكان محمـد بن خليفـة كـريما جـوادا حسن السيرة طيب السريرة ومثله كان ابناء عمه وافراد عشيرتـه فـاحبـه النـاس وقصـدوه لنـوال مبراتـه وفائض كرمه واشتهر ذكره فى ارجاء قطر ونواحيها واتسعت سلطته ونمت شهرتـه فقصـد جواره كثير من العربان فاساء هذا امراء آل مسلم الذين كانوا لـذلك العهـد اهل السيـادة والحل والعقد فى بلاد قطر ولهم عدة من الامراء يقيمون فى جهات مختلفة فيها، ولما احس

محمد بن خليفة بكدر آل مسلم منه رأى الابتعاد عن جوارهم امثل وكان منذ عهـد قـريب قد مضى الى الزبارة زائرا ومتاجرا فى اللؤلؤ فرغبه اهلها فى المقام بينهم ليَستفيدوا من مالـه ومساعدته فاجابهم الى ذلك فارتحل بعشيرته الى الزبارة سنة ١١٨٢ هـ ولما حل بسـاحتهـا جبلت قلوب مجاوريه على حبـه وتبجيلـه حتى آل الامـر لسكـان الـزبـارة وهم آل بن على والجلاهمة والمعـاودة على تأميره عليهم وبعـد اخـذ ورد وشروط قبل ذلك: والـزبـارة اسم موضع على ساحل البحر مقابل لجزيرة البحرين من جهة الجنوب واول من نزلها وعمـرهـا الشيخ احمد بن رزق ورغّب الناس فى سكناها لما بذله من جوده وعدلـه بين نـزلائه فأتتهـا العرب من كل فج فاسدل عليهم رداء احسانه حتى تمولوا وصاروا يتجرون فى اللؤلـؤ، ثم ان محمد بن خليفة عمر نواديها فتـوارد اليهـا النـاس من سـائر الاطـراف من بـدو وحضر فعول حينئذ على استيطانها نهائيا والذود عن حماها بقائم سيفه فبنى بها قلعة محكمة البنيان ودعاها قلعة مرير سنة ١١٩٠هـ . ولبعدها عن البحر اضطـر ان يشق لها قنـاة من البحـر اليها وبنى على جانبى القناة الاسوار والحصون لحمايته واخذت السفن تشق فيه ذاهبة آيبـة والخلاصة فقد عمرت بهم الزبـارة وازدهت بنـوع من الحضـارة والعمـران وتسـابق النـاس لسكناها من البحرين وقطر والكويت وعمان وغيرهـا وأدى الاتـاوة لآل مسلم مـدة واخـذ يداهنهم ويهاديهم وفى نفسه من ذلك اشياء الى ان توفى سنة ١١٩٣هـ فخلفه ابنه احمد بن

محمد. وفى ايامه منع تسليم الاتاوة لآل مسلم بعد ان كانوا يتقاضونها منه واعلن استقلاله وسطا على آل مسلم وأحلافهم بحروبه حتى استولى على بعض من ملك آل مسلم وخضع له بعض امراء قطر ولما توطد حكم الشيخ احمد بن محمد الخليفة فى الزبارة شرع بعض عشيرته بالاشتغال بالتجارة فكانوا ياتون جزيرة البحرين ويشترون منها اللؤلؤ ويسافرون به الى الهند فيبيعونه ويرجعون الى بلادهم.

الفصل الثالث
الاسباب التى مهدت لآل خليفة الاستيلاء على البحرين

كان للشيخ احمد بن محمد الخليفة مملوكا مقدما عنده وعند افراد عائلته يحبه ويعتمد عليه فى كثير من مهامه يسمى اسماعيل وقيل سالم وكان قد بعثه مع بعض الرجال الى البحرين لقضاء بعض اللوازم ولشراء جذوع النخيل فجاءوا الى جزيرة سترة ولبثوا اياما فى قضاء لوازمهم فاتفق ان جرى للمملوك ذات يوم مشاجرة مع اهالى سترة فأدى ذلك الشجار الى وقوع قتال بين خدم آل خليفة والاهالى كانت نتيجته قتل المملوك واساءة عدة من رجاله ففر بعض اولاده ونعوه لسادته آل خليفة بالزبارة فغضب الشيخ احمد الخليفة وشق عليه قتل خادمه واساءة رجاله فارسل بعض اخوته فى عدة من الرجال الى «البحرين» للاخذ بالثأر واسترجاع المال المنهوب فركبوا فى سفينة وتوجهوا الى البحرين وحين وصولهم الى جزيرة ستره التقوا بغرمائهم فقتلوا وزير سترة وجملة من الاهالى وانتهبوا ما وصلت ايديهم اليه من الاموال وقفلوا راجعين الى الزبارة ولم يقتل منهم احد: فعظمت المصيبة على اهالى سترة واستغاثوا بحاكمهم الشيخ نصر آل مذكور فأغضبته جرأة اهل الزبارة على بلاده فجعل يستعد للانتقام منهم وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع
البحرين تهاجم الزبارة لتثأر منها

لما رأى حاكم البحرين الشيخ نصر آل مذكور ما فعله آل خليفة بسترة غضب لهذا الاعتداء فجعل يستعد لقتال آل خليفة وتأديبهم لجرأتهم على عزه وبلاده فجمع ما قدر عليه من الرجال واركبهم السفن وتولى قيادة الجيش بنفسه ليثير النخوة والحماسة فيهم وكان ذلك فى بداية سنة ١١٩٧هـ فلما وصلوا بمجوعهم نزلوا بموضع يقال له عشيرق وساروا الى الزبارة فلما وصلوها كانت اخبارهم قد سبقت الى آل خليفة من العيون التى لهم فاستعدوا لهم والتقى الجمعان وكان رئيس جيش الزبارة حاكمها الشيخ احمد بن محمد الخليفة واعانه على اهل البحرين اهل فريحه وهم فخيذه من آل ابن علي فلم يلبث قوم نصر الا ساعة من النهار فانكسر نصر وجموعه وذلك فى ١٨ جمادى الثانية سنة ١١٩٧هـ ولما انكسر نصر فر الى البحرين مخذولا واستاذن حكومته ايران فى معاودة غزوهم وطلب منها المدد والمساعدة فلم تجبه بشيء لمشاغلها بنفسها عمن سواها لما منيت به من

الكسيرتين اللتين نالتها من الدولة العثمانية كما أسلفنا الاشارة عنهما فيما سبق فسار بنفسه الى بوشهر واقام للمخابرة فى بوشهر مدة طويلة عدها آل خليفة فرصة كافية لامتلاك البحرين وكانت البحرين بعد خروج نصر منها الى بوشهر(٩٨) فى حالة فوضى لخلوها من حاكمها ولما اصابهم من فشل الانكسار فكانت منقسمة على نفسها حزبين لازالا يتشاجران ويتخاصمان وسيأتى نتيجة هذه الفوضى فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس

الحالة فى البحرين بعد خروج نصر وفشيلة الانكسار

احدثت كسرة اهل البحرين فى الزبارة اثرا سيئا من الفشل فى اهل البحرين وحالة فوضى وانقسام وقيل ان الشيخ نصر لما فر من الزبارة كان فراره رأسا الى بوشهر ولما رأى اهل البحرين خلوها من حاكمها وكسرتهم المشؤومة بالزبارة وكأنهم ادركوا ضعف الدولة الايرانية فى ذلك الحين ويئسوا من نجدتها ولهذه الاسباب انقسمت البلاد الى حزبين اهل جد حفص وفيها نائب الحكومة أووزيرها مدن ورئيسها السيد ماجد وغاية هذا الحزب هى لا تخرج من احد الوجهين الاتيين اما ان يكون قد طمع فى ان يستقل بحكم البلاد عن حكومة ايران المنهزمة فيخلفه على السلطة لنفسه والحاكم يكون السيد ماجد الجد حفصى واما ان يكون هذا الحزب ثابتا على ولاء الحكومة الايرانية ويريد ان يحافظ على سلطتها ويمثلها فى غيابها لموضع وكالته عنها، واما الحزب الثانى فهم اهل بلاد القديم وهؤلاء موقفهم موقف الضد المنافس الحاسد ورئيس هذا الحزب الشيخ احمد بن رقية والعداوة التى بين اهل البلاد واهل جد حفص لا نعرف اسبابها الاصلية ولا من اي زمن ابتدأت ومع انها الى اليوم باقية لم تزل والعداوة التى بينهما فى اجلى مظاهرها لم تقف عند حد محدود مع رئيسى الحزبين السيد ماجد الجد حفصى والشيخ احمد بن رقية البلادى هما ابناء خالة وبينهما قرابة ورحما ملة فلم يمنعهما ذلك من التحاسد والتباغض والتنافس على الرئاسة فمازالا يتشاجران هذان الحزبان ويتخاصمان على رئاسة البلاد حتى آل بهما المال ان مشى بعضهما الى الأخر فتضاربوا بالسيوف وتراشقوا بالنبال فقتل بينهما من قتل وانتهى الامر بالنصر للحزب الجد حفصى على الحزب البلادى فلم يكن من الحزب الاخير الا الانتقام فانتدب له رسلا واصحبهم بمكاتيب وجههم الى آل خليفة بالزبارة يدعوهم للاستيلاء على البحرين وانهم سيعاونونهم على ذلك فمضت الرسل الى ما وجهوا اليه وسيأتى فيما يلى بيان ما ادت اليه الحال من تلك الاعمال فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل السادس
استيلاء آل خليفة على البحرين

جاء رسل البحرين بالمكاتيب يدعون آل خليفة للاستيلاء على البحرين كما اسلفنا ذلك وقد كان اهل قطر أشاروا على آل خليفة ووجهوا انظارهم باغتنام الفرصة لامتلاك البحرين لخلوها من الرجال وضعف أهلها عن المقاومة وذلك لان أهل قطر كانوا متضايقين من آل خليفة فوجهوا انظارهم الى الاستيلاء على البحرين ليتخلصوا من مضايقتهم ومزاحمتهم لهم فى بلادهم بهذه الوسيلة فوفقت مشورتهم وما انضاف اليها من استدعاء اهل البحرين لهم

٩٨ - مفاتيح الادب.

وكسيرة الحاكم الشيخ نصر آل مذكور وخلو البلاد منه وارتباك امور دولة العجم واختلاف كلمة الاهالي وتفاقم الفتن بينهم وكل ذلك هو فى مصلحتهم ويسهل لهم سبل الاستيلاء عليها بدون عناء فلما وجدوا ان الفرص سنحت لهم كما قدمنا طمعوا فى الاستيلاء عليها ذات النعم الوفيرة والخيرات الكثيرة ومعادن اللؤلؤ الشهيرة ومحاصيل الزراعة والتجارة ذات الموارد الغزيرة فقوى عزمهم على ذلك واعدوا عدتهم بقيادة رئيسهم الكبير الشهم الخطير الشيخ احمد بن محمد آل خليفة فشحنوا السفن بالرجال والعدة والذخيرة والمال واقلعوا قاصدين البحرين ولما وصلوها نزلوا فلم يلقوا مقاومة تذكر وملكوها بكل سهولة بعد ان قتل الامير مدن الجد حفصى نائب الشيخ نصر آل مذكور وتشتت قومه بين قتيل ومنهزم واختلف فى السيد ماجد الجد حفصى فقيل قتل وقيل تقحم بفرسه البحر فغرق وقيل فر الى ايران وله نسل بها الى الان واما ابنه فانه خرج ليلا فى ثياب النساء الى شيراز ونسله بها: ثم ان الشيخ احمد الخليفة جمع عائلة الشيخ نصر وحرمه وعياله وخدمه واركبهم سفينة خاصة ونقلهم الى بوشهر«٩٩»: وقد ارخ بعضهم استيلاء آل خليفة على البحرين التى هي جزيرة اوال بقوله «احمد صار فى اوال خليفة» سنة ١١٩٧هـ ولما استقر الشيخ احمد بن محمد الخليفة حاكما على البحرين ورتب شئونها على ما احب فجعل على المنامة وما والاها اميرا من قبله فى قلعة الديوان التى هى من آثار نادر شاه كما تقدم وعلى المحرق وما والاها اميرا أما هو وافراد عائلته كانوا يقيمون فى البحرين صيفا وفى الزبارة شتاء واتخذ له مكانا أقام فيه القصور العالية. واحب بعض العائلات الساكنة فى الزبارة الانتقال منها الى البحرين فأذن لهم بذلك فانتقل منهم عدة سكن غالبهم المحرق واطراف الاسياف وهم اصحاب الاعمال البحرية ولم يزل الشيخ احمد الخليفة يصيف فى البحرين ويشتى فى الزبارة الى ان افلت شمسه بالبحرين فدفن فى المنامة بالموضع المعروف بالخضر جنوبى المنامة وذلك سنة ١٢٠٩ هـ فخلفه ابنه الشيخ سلمان.

الفصل السابع

امارة الحاكم الثانى من آل خليفة على البحرين

بعد وفاة الشيخ احمد بن محمد الخليفة سنة ١٢٠٩ هـ كما اسلفنا خلفه على البحرين ابنه الشيخ سلمان وجعل محل سكناه الرفاع ووازره اخوه الشيخ عبدالله وسكناه المحرق. وكان الشيخ سلمان حازما عادلا فاطاعته الرعية ودانت له القبائل وفى سنة ١٢١٢ هـ نقل جميع آل خليفة من الزبارة الى البحرين وانزلهم فى موضع يقال له جو وكان السبب فى ذلك خشيته عليهم من هجمات سعود بن عبدالعزيز الذى استفحل امره فى تلك المدة فغزا بلاد المنتفج وغزا بلاد القرية المسماة بام العباس فقتل منها وممن حولها خلقا كثيرا ونهب وحرق ثم كر على بادية العراق ثم عطف على الاحساء والقطيف وتملكهما وصار يخشى على الزبارة من مهاجمته لها فنقل الشيخ سلمان عائلته منها لهذه الاسباب، وفى عهد امارة

٩٩ ــ وفى خبر آخر. انه لما تم اعتقال الاميرين الشيخ سلمان وعبدالله بنجد ارسلا سرا الى ابن اختهما الشيخ عبدالرحمن بن راشد الفاضل واوحيا بان يحتال فى اخذ البحرين واخراج ابن عفيصان منها الذى كان قد احتلها لآل سعود فامتثل امر اخواله وشرع فى التدبير لاخذ البحرين فاظهر بانه متوجه الى الهند للتجارة وركب سفينته المسماه «الجابرى» وقصد بها مدينة مسقط فلم وصلها نزلها (عن تاريخ البحرين لابن نبهان).

الشيخ سلمان هذا هاجم البحرين حاكم مسقط باسطول من السفن الشراعية فاستولى عليها وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثامن
استيلاء امام مسقط وعمان على البحرين

وفى سنة ١٢١٥ هـ بينما الشيخ سلمان واخوه الشيخ عبدالله الخليفة مشتغلين بشئونها الداخلية وبترتيب امور مملكتها اذ داهمتها الاخبار بوصول اسطول السيد سلطان بن احمد حاكم مسقط وامام عمان قاصدا غزو بلادهما البحرين وانتزاعها من ايديهم فارتبك آل خليفة ازاء هذه الداهية الدهماء فعولوا على الاستعداد لحربه ونزاله ولكنهم رأوا ان اكثر القبائل قد تملكهم الرعب واستولى عليهم الخوف لما هالهم من عظم جيش السيد سلطان فوهنت منهم العزائم وبدا فيهم الفشل والتقاعس لاسيما قبيلة آل بوسميط المشهورة والتى هي اكبر قبيلة يعتمد عليها الحاكم الشيخ سلمان لمثل هذه الازمات وكانت اكثر القبائل جمعا واقواهم عدة فاستاء من تخاذلها وخشى ان اجبرها على حمل السلاح ومقابلة الكفاح ان يجهروا بالعصيان ويقع الشقاق فى البلد والعدو على الابواب. وفى خبر آخر ولما لم ير فيهم رغبة لدفاع العدو خشى ان يسلموه اليه اذا أجبرهم على قتاله حيث كان قد اطلع على بعض مكاتباتهم لحاكم مسقط يرغبونه فى الاستيلاء على بلدتهم ولما ايس من القدرة على الدفاع فضل مسالمة السيد سلطان وانتظار الفرص ولما وصل السيد سلطان بجيشه العظيم الجرار ارسل الشيخ سلمان الرسل حاملة رسوم التسليم والعهد على عدم الغدر ففرح السيد سلطان بذلك ونزل من سفينته الحربية الى البر والتقى بامراء آل خليفة وسلموا على بعضهم البعض وبعده تقرر بينهم الصلح والتسليم على ان تبقى للشيخ سلمان امواله واملاكه وان يتخلى عن البحرين نهائيا ولا يسعى فى استرجاعها وان يدفع اخاه الشيخ محمدا بصفة رهينة عند حاكم مسقط بحيث اذا رأى هذا من الشيخ سلمان تحفز للثورة يقتل اخاه الشيخ محمدا فتم الصلح بينهما على ذلك وتعاهدا عليه. وبعد مدة سافر السيد سلطان راجعا الى بلاده بعد ان ترك فى البحرين قوة من الجند مع اخيه السيد سعيد «او برواية اخرى ـ ابنه ماجد» فاقام هذا فى موضع يقال له عراد وبنى به قلعة منيعة سميت قلعة عراد وهى باقية الى الان ولما رأى الخليفيون تحصن السيد سعيد فى القلعة ايسوا من استرجاع البحرين فارتحلوا بعائلاتهم واتباعهم الى الزبارة وكرهم السابق

ولبثوا يتحينون الفرص ولبثت البحرين فى قبضة حكومة السيد سلطان مالك مسقط وامام عمان عاما واحدا وفى سنة ١٢١٦ هـ استنجد الخليفيون بحكومة نجد السعودية فانجدتهم فاسترجعوا البحرين وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل التاسع
آل خليفة يستنجدون آل سعود
ويسترجعون البحرين

غلب آل خليفة على امرهم فى البحرين ولم يجدوا فرصة اوغره من اميرها السيد سعيد العمانى ليوقعوا به ويستعيدوا مقاليد الحكم على مملكتهم المسلوبة فانتقلوا الى الزبارة وكرهم

السابق كما قدمنا ليتسع لهم مجال الفكر والعمل، ولما حصلوا فيهـا واستقـر بهم المقـام بها اجالوا وأشعلوا قبس التفكير فيما يجب ويلزم لاسترجاع البحرين وبعد تداول الرأى واجالة التفكير وتقليب وجوه الحيل وابرازها من حيـز الفكـر الى حيـز العمل رأوا انهم لا يمكنهم استرجاع البحرين الا باستنجاد حاكم نجد واميرها عبـدالعـزيـز آل سعـود فقـر رأيهم على ذلك وفعلا ارسلوا اليه يطلبون منه المدد والنجدة لاسترجاع بلادهم البحرين فـاجـابهم الى ذلك بعد ان اشترط عليهم مبلغا يدفعونه لخزينته سنويـا فقبلـوا بـذلك فجمع لهم جيشا عظيما وسيره بقيادة سليمان بن سيف بن طوق فوصل القائد بالجيش الى الـزبـارة فى جمادى الاولى سنة ١٢١٦هـ فعبروا منها الى البحرين وقاتلوا حامية السيد سلطان فقتلوا منهم قريبا من مائتى مقاتل وفر الباقون وبصحبتهم السيد سعيد اخا سلطان مسقط او ـ ابنه ماجد؛ الى مسقط فوصلوها وهم فى اسوأ حال، ولما علم السيد سلطان بما كـان من نقض العهـد عول على الرجـوع اليهم ومقـاتلتهم وارجـاعهم الى حضيرة الطـاعـة وارغـامهم على احترام العهود ولكنه اجل ذلك الى فرصـة اخـرى لـداعى بعض الحوادث السيـاسيـة الجاريـة فى ملكه: ولما تم استرجاع البحرين لآل خليفة بمدد عبدالعزيز آل سعود امير نجد استمر آل خليفة يدفعون لخزينته الخراج السنوى المشترط عليهم وهم كارهون. ولما مات عبدالعـزيـز سعود سنة ١٢١٨هـ اغتنم آل خليفة الفرصة فقطعوا ما لنجد عليهم من الخراج السنـوى المرسوم ولما قويت شوكة سعود بن عبدالعزيز طالبهم باداء الخراج فامتنعوا عليه بـالمماطلـة فجهز الجنود والعساكر لحربهم ولما وصل سليمان بن سيف بن طوق الى الزبارة هـدد امـراء آل خليفة ثم آل الامر باعتقالهم فى نجد وسياتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل العاشر
حكومة نجد
تعتقل الشيخ سلمان والشيخ عبدالله

كان آل خليفة قد قطعوا اداء الخراج السنوى المفروض عليهم لخزينة حكومـة نجـد على اثر موت عبدالعزيز آل سعود سنة ١٢١٨هـ كما قدمنـا فخلفـه على الملك ابنـه سعـود ولما قويت شوكته طالب آل خليفة باداء الخراج المذكور فامتنعوا عليه بالمماطلـة فجهـز الجنـود والعساكر لحربهم وارسلها الى قطر فى ثلاث فرق يقود الفـرقـة الاولى سليمان بن سيف بن طوق والثانية بقيادة محمد بن معيقل والثالثة بقيادة عبدالله بن عفيصـان فتقـدمت الفـرقـة الاولى حتى وصلت الى الزبارة وطلب قائدها سليمان المذكور مقابلة الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة واخاه عبدالله ليتخابر معهما فى بعض الشئون السياسية التى تعـود على الفـريقين بالفائدة فامتنعا اولا ثم اجابا بعد اخـذ المواثيق انـه لا يغـدر بهم وان نـوايـاه من طـرفهم صالحة فخرجا لمقابلته فاكرم ملتقاهما وبعد الحضور فى المجلس العام قـرر عليهما وجـوب السفر الى الدرعية فى نجد ومقابلة الامير سعود وأبان لهم ان لم يتخلوا عن البحـرين وقطـر طوعا والا فهو مأمور باخراجهم منهما عنوة واعلمهم ان معه جنود بصحبة اثنين من القواد على مسافة قريبة يلبون دعوته عند اقل اشارة فلما رأى آل خليفة هذا الغدر وسـوء القصـد وانهم اصبحوا لاحول لهم ولا قوة عولوا على الذهاب الى نجد وفعلا شدوا مطايا الـرحـال وهم كارهون وكان بصحبتهم من الرجال خليفة بن مبارك الفاضل وابنه عبدالله بن خليفـة وكليب البجاوى وسلمان بن رقية وزير الشيخ سلمان والسيد يوسف بن السيد سلمان وزير

الشيخ عبدالله والسيد عبدالجليل الطباطبائي كاتبهم وشاعرهم وكان خروجهم في اواخر محرم سنة ١٢٢٥هـ وحين وصولهم قابلهم مقابلة عادية ثم امر باعتقال الاميرين سلمان وعبدالله ابناء احمد الخليفة واطلق سراح الباقين وامرهم بالرجوع الى ديارهم. ثم جهز سرية رابعة بقيادة فهد بن سليمان بن عفيصان وامره بالنزول الى البحرين وضبط امورها وسيأتي بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الحادي عشر
استيلاء النجديون على البحرين وقطر

قدمنا في الفصل السابق اعتقال الاميرين سلمان وعبدالله آل خليفة بنجد ثم تجهيز السرية الرابعة بقيادة فهد بن سليمان بن عفيصان وامره بالنزول الى البحرين بعد ان سبق ارسال الثلاث الفرق المتقدم ذكرها. فسار فهد بن عفيصان بمن معه حتى قدم الزبارة وكان قد احتلها سليمان بن سيف ومنها عبر الى البحرين فاحتلها وضبط شئونها واستولى على دوائرها وجدد بها بناء قلعة كبيرة لسكني رجاله وهي القلعة المعروفة بقلعة الديوان التى اسسها نادر شاه سنة: : : وسبق ذكرها وكانت الاهالي لما علمت باعتقال الاميرين سلمان وعبدالله بنجد هاجت واضطربت وعولت على قتال النجديين ولكن عقلاؤهم نصحوهم وسكنوا ثائرتهم وامروهم بالتزام السكون ومراقبة الحوادث والفرص: ولما استتب للنجديين الامر والحكم في البحرين سنة ١٢٢٥ رتبوا دوائرها وضبطوا شئونها وبقوا لا ينازعهم فيها منازع: وكان بالاتفاق ان الشيخ عبدالرحمن بن راشد الفاضل اثناء هذه الحوادث الجارية متغيبا عن وطنه البحرين في جهات اليمن والسواحل وفي طريقه الى البحرين مر بمدينة مسقط فبلغه هناك ما جرى في البحرين وان ابنى عمه معتقلين في نجد وقد دخلت البحرين والزبارة تحت تصرف سعود بن عبد العزيز النجدى فاغمه هذا الخبر واقلقه وبقى في هم شاغل يقلب وجوه الامور والوسائل التى يرجى منها الفرج وسيأتي فيما يلي انشاء الله تعالى بقية خبره ونتيجة امره.

الفصل الثاني عشر
آل خليفة يسترجعون البحرين من النجديين

لما مر الشيخ عبدالرحمن بن راشد الفاضل مسقط وبلغه خبر فاجعة قومه وبنى عمه كما اسلفنا بقى يقلب وجوه الحيل ويستطرق ابوابا للعمل والخروج من هذا الامر الجلل وكان من الرجال المعروفين بعلو الهمة وعظم الجسارة والاقدام على جلائل الاعمال(١٠٠) وبعد اجادة التفكير صمم على مقابلة السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط لاخراج الرأى من حيز الفكر الى حيز العمل ولما مضى لمقابلته واجتمع به طلب منه النجدة والمدد بالمال وما يقدر عليه من الخبرة والذخيرة واخبره بانه معول على انتزاع البحرين من قبضة مغتصبيها وكتب للسيد سعيد صكا وأمضاه بامضائه تعهد له فيه عن حكام البحرين انها تكون في طاعته وان يكون له عليها مبلغا من المال قدره تسعة الآف ريال تقدم سنويا لخزينته فسر السيد بذلك ووثق بعبدالرحمن فجهز له المال والذخيرة والسلاح ومدفع كبير(١٠١) وشحن كل ذلك في السفن فاخذ عبدالرحمن جميع ذلك شاكرا للسيد وودعه

١٠٠ ـ واهداه السيف المسمى «سلمونى» وهو من سيف العرب المشهورة وقد آل هذا السيف لبد الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن على وهو باق لديه الى الآن.

١٠١ ـ قصد حاكمها الشيخ جبارة واستأجر منه رجال من عساكره.

واقلع بالسفن وقصد بها الى جهات سواحل فارس وبذل لرجال السواحل المال حتى تم له تأليف جند قوى منهم كامل العدة و العدد واكترى عدة من السفن الكبيرة اركبهم بها واقلع من فارس«١٠٢» الى الزبارة رأسا فوصلها ليلا وحين وصوله انزل قواربه ورسله وطلب خليفة بن سلمان وحمد بن عبدالله فاتوه واخبروه بحالهم واخبرهم هو ايضا بانه معول على غزو البحرين ففرحوا بذلك وارسلوا فى طلب بقية عائلتهم وحاشيتهم ورجالهم فلما وصلوا ولم يتخلف منهم احد صوب مدافعه الى معسكر بن طوق الآنف الذكر ورجاله فاصلاهم نارا حامية فنجى منهم من فر وله بقية من العمر وقتل بعض وتعطب اكثرهم ثم بعد ذلك انزل بعضا من عسكره فاجهزوا على البقية وشردوهم فى كل مكان. ثم ابحر منها الى البحرين فوصلها فجر اليوم الثانى ودخل من مضيق القليعة وصوب مدافعه على قلعة الديوان فقوض منها الاركان فارتاع النجديون وتهاربوا منها ونزلت عساكر عبدالرحمن فاحتلوا البلاد واسروا من التجأ وكان عدتهم ثلاثمائة رجل فيهم الامير ابن عفيصان ففرح الاهالى وابتهجوا ابتهاجا عظيما وشكروا عبدالرحمن الفاضل على ما ابداه من الهمة العالية، ولما تم لعبدالرحمن ما قام به فى نفسه واستتب له الامر كتب لسعود بن عبدالعزيز كتابا يقول فيه ما معناه. اننا قد استرجعنا ولله الحمد البحرين وشتتنا شمل رجالك وقبضنا على ثلاثمائة رجل منهم فيهم امراؤك ولابد لنا من قتلهم جميعا فان رأيت ان تطلق لنا سراح من عندك اطلقنا سراح من عندنا وكان لنا معك وجها للصلح ننظر فيه بعد وصول من عندك وان كنت لست بفاعل فافعل بهم ما بدالك ونحن حكمنا ابناءهم بدلا عنهم ومن لدينا من رجالك عندنا باقون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون: ولما علم سكان الزبارة باستيلاء عبدالرحمن الفاضل على البحرين هاجروا من الزبارة ونزلوا بالمحرق من البحرين فرارا من سلطة النجديين: ولما وصل كتاب عبدالرحمن السابق الذكر الى الامير سعود بن عبدالعزيز احضر لديه الاميرين سلمان وعبدالله آل خليفة واخبرهم بما تجدد ثم قال انى أود اطلاقكم على ان تعاهدونى على السمع والطاعة فقالا نعم نعاهدك على انفسنا اذ نخشى ان لا نطاع ولو فعلت ذلك قبل وقوع هذا الامر لكان هناك وجه للقبول ولكننا الان بتنا نخشى عصيان الجماعة ومع ذلك لا ترى منا بعد الا ما يسرك فعاهدهم واطلق سراحهم بعد ان اكرمهم وارسلهم مخفورين الى القطيف فلما وصلوها ركبوا منها الى البحرين فوصلوها سالمين«١٠٣» وبعد وصولهما شكرا عبدالرحمن بن راشد الفاضل على جليل مساعيه المشكورة واطلقا رجال سعود من حبسهم واكرموهم بالخلع والهدايا وارسلوهم لصاحبهم بعد ان اوصوهم انهم لا يستطيعون ان يكونوا تحت طاعته فانطلقوا من البحرين ولما وصلوا نجدا اخبروا الامير سعود بما جرى وتم فعظم عليه واهتم له ولكنه نظراً لامور كانت لديه شاغلة واهم من هذه اجل ذلك الى فرصة اخرى وكان حاضر لديه الامير رحمة بن جابر بن عذبى امير الجلاهمة فتعهد له هذا بشن الغارة على ملك آل خليفة بقطر ومن تحت طاعتهم فيها واقلاق راحة آل خليفة فى تلك الجهات بينما الامام سعود قد أنجز مهماته فى الجهات الاخرى فاجازه سعود على ذلك وأمدة بعدة من المقاتلة وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثالث عشر
رحمة بن جابر يهاجم املاك آل خليفة فى قطر

لما تعهد رحمه بن جابر بشن الغارة على آل خليفة فى جهات قطر امده سعود بن

١٠٢ ـ وكان بصحبتهم بعض من ثقاة سعود بن عبدالعزيز ارسلهم معهم ليعرفوا رأى الشيخ عبدالرحمن الفاضل هل اخذ البحرين طمعا فى الملك لنفسه ام اخذها مساعدة لآل خليفة، فلما وصلوا الى البحرين اظهر الشيخ عبدالرحمن لهم الجفاء والتعصب وذلك باشارة من آل خليفة اللذين رجعوا من نجد ثم ان رجال سعود خاطبوا الشيخ عبدالرحمن وقالوا له كيف يتجرأ العيال على اخذ البحرين وابائهم فى قبضة الامام فقال لهم دونكم والعيال فانهم حاضرون فتقدم لهم الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان وهو اكبر الاولاد وقال لهم نحن اخترنا البحرين لانفسنا ولا حاجة لنا بآبائنا فاننا قد يئسنا منهم وسمينا باسمائهم فنغضب للملك، رجال سعود وقالوا كل ذلك من الشيخ عبدالرحمن وخاطبوه بقولهم لو كان يمكن للخف والحافر ان يطأ البحرين لتركناها حصاة حصاة فاجابهم الشيخ عبدالرحمن وقال لهم اذا وصلتم عند امامكم فقولوا لو يمكن قيت «الجابرى» ان يطل على الدرعية لجعلنا عليها سافلها ولما تركناه ينام بها ليلة سوداء (عند تاريخ البحرين لابن نبهان).

١٠٣ ـ فسكن بها وابتنى بها قلعة فى حالة بو ماهر.

عبدالعزيز بعدد من الرجال كما مر وامر عليهم ابراهيم بن عفيصان فسار هـذا بمن معـه الى قطر وجعل وجهته الحويلة التى كان يحكمها الامير ابو حسـان من قبل آل خليفـة ولما علم ابوحسان بوصول رحمه ومن معه من عساكـر نجـد ورأى انـه لا قبل لـديهم ارسل الى البحرين يخبر آل خليفة بذلك ويطلب نجدتهم فانجدوه بجملـة من الـرجـال المشهـورين بالحرب والنزال فلما حصلوا عنده والتقى الجمعـان وتقـاتل الفـريقـان وثبت الشجـاع وفر الجبان انكسرت عساكر نجد شر كسرة وفر رحمة وابن عفيصان فى جملـة المنهـزمين وتـابعـوا السير عائدين الى نجد مخذولين. وحين علم الامير سعود بذلك ثار ثائره وقـامت قيـامتـه وصمم على غزو البحرين وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع عشر
حملة النجديين على البحرين

لما رجع كل المهزومين الى نجد وثار ثـائر الامير سعـود بن عبـدالعـزيـز كما اسلفنـا اهتم لتجديد الحملة فجمع عساكره واجناده وزودها بالسلاح الكامل والذخائر الوافرة وجعلهـا تحت قيادة الامير رحمة ايضا وابراهيم بن عفيصان المقدم ذكرهما وامرهما بمنازلـة البحـرين راسا فسار هذا الجند بقـواده يجوب فيـافى القفـار ويعتسف السهـول والاوعـار حتى وصل باطراف قطر ونزل الى السيف بمكان ربيجـة ولما رأى اهـالى قطـر تلك العسـاكـر الجرارة داخلهم الخوف والفزع وتبع اكثـرهـم النجـديين فلما رأى الامير ابـو حسـان ذلك وعلم ان العساكر النجدية قد وصلت بجموع كثيرة ترك مقر إمارته وحمل نفسه على سفينة ووجهتـه البحرين وحين وصوله اليها اخبر آل خليفة بالحملة التى دهمتهم من عدوهم فنادى منادى آل خليفة فى البحرين بالاستعداد لدفع العـدو المقبل فهمت القبـائل المعـروفـة لـلاجـابـة وتجهزوا بعدتهم وعديدهم واصلحوا شأن اسطولهم الشراعى حامى حمى حوزتهم وبلغ منهم الحماس أشده وتمنوا ملاقاة العدو فى الحال اذ ثارت فى قلوبهم الاحقاد من رحمة ودسـائسـه فعولوا على تقليم اظافر هذا الاسد الشرس بضرب هذه القـوة ضربـة تكـون القـاضيـة ولما تكامل عددهم وتجهزوا بكل ما يحتاجون اليه تولى قيادة الاسطول الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة الماهر فى القيادة البحرية والخدع الحربية وابحروا من البحرين فى منتصف شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٦ هـ وكان رحمة واميره ابن عفيصان لما وصلوا اطراف قطر كما قدمنا اقاموا يجمعون السفن من النواحى القطرية ومن العجير فلما تكامل لـديهم العـدد الكـافى اقلعـوا قاصدين البحرين وهم يمنون انفسهم بالاستيلاء عليها والتمتع بخيراتها. ولكن دون ذلك قول الشاعر

ودون ما يممت هند وجارتها   هند السيوف وحرب دونها الحرب

فالتقى الجمعان باسطولها على بعد بضعة اميال من الخوير مقابل خكيكيره واول ما ظهر للعدو من اسطول البحرين (الطويلة) وكانت سفينة هائلة عظيمـة الحجم وهى التى تقل القائد الشيخ عبدالله الخليفة فلما رآها رحمة بن جابر تفائل شرا فارعبه منظرهـا المعتم فقـال بئس الغزوة غزوتنا وان الطويلة لهائلة ومـا اخـوفنى على هـذه السفن الصغيرة من الـدمـار ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا فاساء هذا الكلام الامير ابراهيم بن عفيصان فقال لقد داخلك الخوف يارحمة قبل وقوع الحرب وكانى بك اول هارب من وجـه العـدو فما اضعف قلبك فقال رحمة يا هذا دع كثـرة الكـلام فـوالله كـانى ارى جيشنـا وقـد ذهب بين غـريق

وجريح وعائم وطريح ولتمرن عليك ساعة وددت فيها انك لم تخلق فاستخف ابن عفيصان بقوله ونبه رجاله للقاء فازدحم الجمعان وتهاجم الاسطولان وشبت نيران الحرب والطعان وحمى اوارها واشتد الكر والفر ولكن اسطول البحرين تفوق وسطا على اسطول نجد واتلف معظمه وأرسل أكثر ركابه الى قاع البحر وجعلهم طعاما وغذاء مريئا لعالم الحيتان فكانت بطونها لهم قبورا وكثر القتل بين الطرفين وعظم النزال وبعد جهد جهيد انكسر اسطول رحمه ومن معه وولى الادبار هاربا ملتجأ للشواطىء وانتصر اهل البحرين انتصارا عظيما وخدمهم السعد فكلل مفارقهم بتيجان العز والمجد وابوا بالنصر والظفر وانخذل رحمة وقطعت يمينه بضربة فيصل واصيبت عينه فاعورت فعاد هاربا الى البر على زورق صغير واما ابن عفيصان فانه لما رأى الغلبة وان جل اسطوله حل به الفناء والدمار عول على الهرب والفرار فاصابت سفينته قنبلة من قنابل الطويلة فانقلب الى البحر وكاد يحل به المنون ويتغذا به النون لولا ان تداركه بعض البحارة الاقوياء فسبحوا به فوصل على آخر نفس ولما آب اليه رشده اقام يجمع من سلم من رجاله ليعود بهم الى نجد فاشلا مخذولا وقد فارق رحمه ومن معه من الانصار الى وجهة اخرى: ثم ان الشيخ عبدالله آل خليفة بعد الواقعة جعل يتفقد اسطوله ورجاله فرأى انه قد خسر جانبا من الاسطول وعدة من الرجال المشاهير منهم ابنيه احمد وراشد وابا حسان امير الحويلة وغيرهم فاحتسبوهم عند الله وقفلوا عائدين الى البحرين يرتلون آيات النصر والظفر. وتعرف هذه الوقعة عند العرب بوقعة «اخكيكيره» نسبة للموضع الذي جرى فيه القتال: وبعد وصولهم الى البحرين اقتسم الاخوين البلاد للشيخ سلمان القسم الغربى والشيخ عبدالله القسم الشرقى فكان هذا الانقسام مبدأ الخلاف والفتن فى داخليه البلاد بين آل خليفة جر الى عواقب وخيمة وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس عشر
اقتسام الاميرين البلاد وما ترتب عليه من الحوادث

بعد واقعة اخكيكيرة الانفة الذكر امن آل خليفة من هجمات امام نجد لاشتغاله بالحجاز وتصدى الدولة العثمانية لتاديبه. وامنوا جانب امام مسقط وعمان وغارات رحمة بن جابر فاقتسم الاخوان البلاد فكان للشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة القسم الشرقى وهو جزيرة المحرق وما يليها«١٠٢» وللشيخ سلمان بن احمد آل خليفة القسم الغربى وهو جزيرة المنامة «اوال ـ البحرين» وما يليها وهو القسم الاكبر«١٠٣» فادى هذا الانقسام الى احتمال كل منهما شيئا من الضغائن لاخيه تجسمت فى شخصهما وتمخضت عن اوخم العواقب، وفى سنة ١٢٢٣ هـ قد كان توفى اخوهما الشيخ محمد بن احمد آل خليفة الذى كان رهينة عند امام عمان السيد سعيد وبقى رحمة بن جابر بعد كسرته المشئومة فى اخكيكيرة واصاباته العديدة حزينا كئيبا حاقدا على اهل البحرين يتربص بهم الدوائر ويتمنى لهم العثرات ويرجو فرصة يحمل بها امراء آل سعود على معاودة الكرة على البحرين فلم تسنح له مثل هذه لاشتغال اولئك حينئذ بتصدى سلاطين آل عثمان لهم بتوجيه الحملة المصرية عليهم فى عقر دورهم فيئس من هذا الجانب فجعل يتلمس المنافذ والعورات لعله يجد خرقا فيوسعه او منفذا فيلج منه حتى هداه اخيرا حقده العظيم وغله الكمين الى شبه منفذ يلج منه للانتقام وهو ما سنأتى على بيانه فيما يلى انشاء الله تعالى.

١٠٤ ــ وسكن الرفاع وبعد استقراره فيه بنى به قلعة عظيمة على اساس قلعة «فريز بن رحال» وزير الشيخ الجبرى المتقدم، فقد كتبوا على احدى مصراعى بابها «خيسم السعد بقصرك» وعلى المصراع الاخر «جاء خير بقصرك» وكلا الجملتين تشتمل على تاريخ بناء القلعة وهو سنة ١٢٢٧ هـ.

الفصل السادس عشر
فى اعمال رحمه بن جابر ودسائسه وحركاته

ان الظفر الذى حازه آل خليفة اشعل نار الحسد والبغضاء فى قلب رحمه حتى تركه لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال الا بالايقاع بآل خليفة، ولما كان عاجزا عن مناجزتهم ومقابلتهم عهد الى اخذ ثأره ولكن من طريق المراوغة والختل فارصد سفينته لقطع طرق البحرين بنهب وقتل من يسابلها من الباعة والتجار وربما اغتنم الفرصة فنهب بعض اطراف البلد ولما رأى انه لم يظفر بطائل من هذه الحركات جعل يفكر ويتلمس وجوه المكر والغدر حتى وجد له منفذا يلج منه للانتقام من آل خليفة وذلك ان آل خليفة اخيرا امتنعوا من تسليم الخراج الذى تقرر عليهم بواسطة الشيخ عبدالرحمن بن راشد الفاضل سنة ١٢٢٩ كما تقدم فوجه رحمه وجهه شطر الامامة العمانية واناط اماله بالسيد سعيد بن سلطان فاخذ يكاتبه ويمنيه الامانى الكاذبة ويسهل عليه الامور الصعبة ويزين له امتلاك بلاد البحرين ويبين له سنوح الفرصة بسبب مجافاة الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة مع ابناء اخيه الشيخ سلمان وذلك سنة ١٢٤٠ هـ وقيل بل ذلك كان فى سنة ١٢٣٠ هـ وفى حياة الشيخ سلمان آل خليفة: ومازال يغريه حتى اجابه وجعل يستعد لغزو البحرين وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى .

الفصل السابع عشر
السيد سعيد بن سلطان يغزو البحرين «وقعة المقطع»

وفى سنة ١٢٣٠ هـ توجه رحمه بن جابر الى مسقط فقابل حاكمها السيد سعيد بن سلطان واطمعه فى اخذ البحرين فمال الى قوله واجاب طلبه وكان ذلك فى سنة ١٢٣٠ هـ فجمع الجموع وركب السفن واصحب معه رحمة بن جابر ومن يعول عليه وسار قاصدا امتلاك جزائر البحرين. ولما بلغت اخباره آل خليفة اجتمع الشيخ سلمان والشيخ عبدالله والحاشية وتشاوروا فى الامر فقرروا الاكتفاء بمن لديهم من الرجال واستعدوا لحرب القادمين عليهم الطامعين فى بلادهم وبثوا العيون والارصاد فى عرض البحر لكيلا يؤخذوا على غرة. فوصل السيد سعيد فى شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٠ هـ ليلا وكان معه الادلاء والخبراء بطرق البحرين فدخلوا قبل الفجر من الطريق الجنوبى فاحتلوا جزيرة (سترة) واستولوا على قلعتها واقام بها ثلاثة ايام ولم يبرز لقتاله احد فظن ذلك لانخذالهم فقال لرحمة (عتويك غابوا) اى ماتوا قاصدا بذلك تحقير قبيلة العتوب فغضب رحمة لانه عتبى وقال له اذا اصبحنا ولم تظهر اعلامهم فاعلم بانهم غابوا. وكان رحمة قد بلغه خبر مبيتهم فى موضع يقال له (جد علي) ولما حسرت المياه فى اليوم الرابع عزم السيد سعيد على اقتحام البلاد صباحا ومع طلوع الشمس طلعت عليه الخيل والرجال يقودهم الشيخ خليفة بن سلمان واخوانه فلما ظهرت اعلامهم من بين النخيل قال رحمة للسيد سعيد اولاءهم عتوبى ظهروا فتوكل على الله وفى الوقت نفسه سمعت المدافع من الطويلة تطلق فترمى بشرر كالقصر واشتعلت نيران الحرب وحمى الوطيس واشتد الضرب بين الفريقين واخذ الشهرة فى هذا الشيخ خليفة بن سلمان وفاق على الابطال والاقران وعلا العدو بالسيف والسنان فاسفرت

الواقعة بكسيرة اهل عمان وتبدد جمعهم فى كل مكان لاسيما لما علموا بصنيع الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة فى البحر بسفن القوم حيث مال على سفنهم بعمارته القوية فدمرها تدميرا فانكسروا شر كسرة وتشتت شملهم وتفرقوا فى نواحى الجزيرة ومن كتبت له السلامة وصل بعد الجهد الجهيد الى بقية السفن التى سلمت من نيران مدافع الاسطول الخليفى ولما رأى السيد سعيد ما حل برجاله من الفناء والخطب طلب لنفسه النجاة ومن بصحبته من خواصه وحاشيته وطلب عرض البحار وكذلك رحمة بن جابر وولده بشر ومن يلوذ به. وقد قتل السيد سالم بن سلطان اخا السيد سعيد وقتل من اهل البحرين قاسم بن درباس من الشطيب من آل ابن علي والشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد آل خليفة واحد اولاد الشيخ عبدالله وتسمى هذه الواقعة وقعة «المقطع» او «دولة الامام فى سترة» وذلك سنة ١٢٣٠ واستولى آل خليفة على اسلابهم واسلحتهم وذخيرتهم. والى هذه الواقعة اشار محمد بن عثيمين فى قصيدته التى مدح بها الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن على بقوله

ويوم اتاهم باللهام يقـــــوده	سعيد بن سلطان على الحرب مجمعا
سفين كملتف الاشاء يســـوقه	لمورد حتف لم يجد عنه مرجعـــــا
فثاوره قبل الوصول ضراغـــم	خليفية تستعذب الموت مشرعـــــا
وساقوه كاسامره الطعم علقما	على كرهه اضحى له متجرعـــــا
فادبر لا يلوى على ذى قرابـــة	ومازال مزؤد الفؤاد مروعـــــــا
وما كان نحوارا ولا متبلـــــدا	ولكن من لاقى اشد واشجعــــــا

ولما رجع السيد سعيد بعد كسيرته الى مقر دولته مقهورا خدمته المقادير وهيأت له ما لم ينله بحملته التى سبق ذكرها وكبدته الخسائر الجمة وذلك بوقوع سفرية اهل البحرين فى اسره وسيأتى بيان ذلك فيما يلى انشاء الله تعالى.

الفصل الثامن عشر
وقوع عبدالرحمن الفاضل ومن معه فى اسر حاكم مسقط وما ترتب عليه من الصلح

وذلك انه بعد انكسار السيد سعيد بن سلطان فى البحرين وفراره فيما سلم من سفنه التى دمرها واغرق معظمها بمن فيها اهل البحرين كما تقدم ذكره. فوصل الى بلاده مكسورا منهزما مقهورا اذ لم ينل من البحرين طائلا ولم يتمكن من اخضاع هذه الشرذمة القليلة لسطوته وهو الذى اخضع معظم بلاد عمان وآسيا فى سواحل ايران وافريقيا الشرقية الجنوبية وفوق ذلك انسحقت قوته وكادت نفسه ان تزهق فعظم ذلك عليه فاتفق بعد ثلاثة اشهر من رجوعه ان مر بمسقط الشيخ عبدالرحمن الفاضل على سفينته المعروفة «الجابرى» عائدا من السواحل لا يعلم شيئا مما حدث فى بلاده بعد غيابه عنها وكان معه من وجهاء البحرين عدة فيهم محمد بن مقرن الخليفة بسفينته وسيار بن قاسم المعاودة بسفينته «السلطانى». ومحمد بن صقر المعاودة بسفينته «التوكلى». وحين وصولهم مسقط القى السيد سعيد عليهم القبض وسجنهم فى قلعة تسمى «برج موزه الجلالي» وكانت فيه اذ ذاك اخته موزة بنت سلطان ثم هم بقتلهم فنهته اخته وانبته على ذلك لانهم فى جوارها ولانهم اسارى فى يده ولا فخر فى قتلهم وقالت له دوّل على البحرين اى جهز عليها مرة ثانية وخذ بثأر اخيك. فدوّل على البحرين ولما وصل الى جزيرة «قيس» بلغ خبره آل

خليفة حكام البحرين فتشاور الاميران الشيخ سلمان واخوه الشيخ عبدالله ابناء احمد آل خليفة فاتفقا على مصالحته فارسلا اليه السيد عبدالجليل بن السيد ياسين الطباطبائي وحمد بن عبدالله بن احمد ومعهما جماعة من الوجوه فذهبوا اليه فى جزيرة «قيس» وعرضوا عليه الصلح فطلب منهم خراجا عظيما سنويا فصالحوه على ما طلب ثم تنازل لهم عن ثلاثة ارباع مطلوبه كرامة لهم: وفى نقل آخر: انه لما سجن المذكورين كان قد اخبرهم بما جرى وقال لهم ان لم يؤد الى بنوا عمكم الخراج والا فلا خلاص لكم من يدى وكتب لحكومة الخليفة بالبحرين يخبرهم بمصير عبدالرحمن الفاضل ومن معه وانه يبقيهم عنده رهنا على طاعتهم له وانهم ان لم يبادروا بتأدية الطاعة وارسال الخراج والا قتلهم انتقاما منهم وكذلك كتب لهم عبدالرحمن الفاضل يخبرهم بما كان من امرهم فلما بلغهم ذلك الخبر تكدروا جدا ولم يهن عليهم ترك عبدالرحمن ومن معه فى قبضة عدوهم وبعد تبادل الرأى بينهم رجحوا فك ابن عمهم ومن معه من اسرهم بدفع المال اللازم وفعلا ارسلوا للسيد سعيد مبلغ ستة عشر الف ريال وكتبوا له عهدا بدفع المبلغ سنويا لخزينته وارسلوا مع الوفد المتقدم ذكرهم فقابل هذا الوفد سفير السيد سعيد فى جزيرة «قيس» فدعوها اليه ولما اوصلها السفير الى سلطانه السيد سعيد طابت نفسه وتم الصلح ففك عبدالرحمن ومن معه من حبسهم وانعم عليهم بالخلع والهدايا فعادوا الى بلادهم: وبقى الشيخ سلمان بن احمد حاكما على البحرين الى ان توفى سنة ١٢٣٦هـ فى الطاعون الذى حصل بهذا العام ويسمونه «الضرب الاول» وكان شديد الوطء: ولما توفى الشيخ سلمان خلفه على حكم البحرين اخوه الشيخ عبدالله بن الخليفة.

الفصل التاسع عشر
فى امارة الشيخ عبدالله:
الحاكم الثالث على البحرين من آل خليفة

تولى الملك الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة بعد وفاة اخيه الشيخ سلمان بن احمد سنة ١٢٣٦ وكان حازما منصفا فاحبته الرعية وعاضداه ابناء اخيه الشيخ خليفة والشيخ احمد ابناء الشيخ سلمان: ولما هدأ بال آل خليفة من جهة السيد سعيد بن سلطان اخذوا يتنسمون اخبار رحمة بن جابر الذى كان السبب فى تلك الغارة الشعواء السابقة الذكر. وكان هذا لما فر مكسورا عبر الى جهات القطيف واستوطن قصر الدمام واخذ يشن الغارة فى البرارى والقفار يقطع السبل وينهب اموال الناس وعظم خطبه على اهل البحرين والاحساء وكثرت شروره حتى لم يعد للصبر منزع. وسيأتى فيما يلى بيان تصدى حكومتى الاحساء والبحرين لتأديبه والضرب على يده انشاء الله تعالى.

الفصل العشرون
مهاجمة آل خليفة
لرحمة بن جابر على الدمام وقتله

بالرغم على ما اصاب رحمة بن جابر من الفشل والاندحار فى الوقائع المتقدمة زمن الشيخ

سلمان لم يقنط من اخذ الثأر ولم تقعد همته عن الامل بالفوز ونوال الامنية فاعاد الكرة بقطع طرق امارة البحرين بقتل الانفس وسلب الاموال. ولما عظم خطبه على اهل البحرين واهل الاحساء تخابرت الحكومتان آل خليفة وآل حميد حكام الاحساء بصدد المذكور رحمة واخيرا تقرر بينهما حسم مادته واستئصال شأفته، وقد كان رحمة ذات يوم سنة ١٢٤٢ دخل القطيف بسفينته المسماة «غطروشة» فجرد عليه الشيخ عبدالله آل خليفة السفن مملؤة بالمقاتلة وخرج بنفسه يقودها وبمعيته الشيخ احمد بن سلمان فلما وصلوا ميناء القطيف وجدوا احمد بن عريعر شقيق امير الاحساء فى قوة من الرجال قد سبقوهم وقاتلوا رحمة وحصروه فى جهات الدمام وناوشوه القتال وضيقوا عليه المسالك فأخذ يقاتلهم بشجاعة فائقة ووصل حينئذ اهل البحرين فى قوة عظيمة بقيادة الاميرين الشيخ عبدالله بن احمد وابن اخيه احمد بن سلمان فلما رأوا ان الحرب مشتعلة بين رحمة واهل الاحساء نزل عبدالله بن احمد الى البر فى شرذمة قليلة من الرجال لمساعدة ابن عريعر وترك احمد بن سلمان للمحاربة بحرا والتضييق على رحمة من الجهتين فلما رأى رحمة ان الحرب صارت عليه من الجانبين ترك ابنه بشراً للقتال برا والتقى هو بسفنه احمد بن سلمان بحرا فاشتبك الفريقان ووقع بينهم النزال وعظمت الاهوال من الجانبين بحرا وبرا ولما كانت القوة البحرية بقيادة احمد بن سلمان آل خليفة الذى كان رحمة يرهب جانبه فأنه سطا على سفن رحمة واهلك معظم من فيها من الرجال واسر منهم الجانب الاكبر واجتهد اخيرا فى اسر رحمة او قتله وصمم بحملته عليه وضايقه فلما تأكد رحمة ان الدائرة اوشكت ان تدور عليه اطلق لسفينته العنان وفر هاربا من ميدان الطعان فتاثره احمد والح فى طلبه حتى ابعد رحمة كثيرا فى عرض البحر ولكنه علم اخيرا انه لا مناص له من الوقوع فى ايدى اعدائه وتيقن انهم متى قبضوا عليه قتلوه شر قتله واشمتوا به عدوه وأنكلوا فيه اهله وكان رحمة قد كف بصره آخر عمره فصار يسأل قومه عن السفن الهاجمة عليه وقائدها فيخبروه وهو يقول هذا لا يجسر على مقابلتنا وهذه ما تلحقنا. هذا واطلاق الرصاص بين الطرفين. حتى اقبلت سفينة فاخبر بان فيها الشيخ احمد بن سلمان فقال هذا يطابقنا ولابد لان جنبه لم يلامس ناعمات الابدان. اراد بذلك انه لم يتزوج، ومفعول الشباب امضى من حد السنان:

(مهور المعالي اعجزت كل خاطب   سوى انها هانت عزم شبان) ولما كادت «الحمراء» وهى سفينة القائد الشيخ احمد بن سلمان ان تلاصق سفينة رحمة اشتد القتال ولما لاصقتها تجالد الفريقان واشتد بينهم الضرب والطعان، وتقارعا بانواع الاسلحة النارية والبيضاء، وكان عند رحمة ابن له صغير وعبده «طرار» واقف على رأسه، فجعل يسألهما عن الحرب وعمن قتل حتى وصل الخصم «الصاري» اى الدقل ثم الحاشية ثم «النيم» اى سطح مؤخر السفينة وكان حينئذ جالساً في خزانة السفينة فأخذ ابنه ووضعه في حجره وعمد الى نار فالقاها في ذخيرة البارود التى كانت تحته، فانفجرت السفينة بهم، وقتل هو وابنه ومن معهما متأسيا بقول الزباء «بيدي لابيد عمرو» وتسمى هذه الواقعة «ذبحة ارحمه الجلاهمة».

وهكذا إنتهت حياة رحمة بعد ان قضى معظمها في دس الدسائس وتدبير المكائد لحكومة البحرين واقلاق راحتهم وكان ذلك سنة ١٢٤٢هـ وبهذه النتيجة تخلصت البحرين من عدو لدود شديد الخطر عظيم المكر والدهاء حفظ لهم العداوة مدة خمسون عاماً. ثم استولى احمد بن سلمان على ما بقى من سفنه واموالـه وطلب رجاله الامان فامنهم على انفسهم واموالهم وإستاذنوه العودة الى البحرين فاذن بذلك، واما الشيخ عبدالله بن احمد فانه استولى على الدمام بعد ان شتت رجال رحمة وفر ولده بشر الى جهات بادية الاحساء،

وفي سنة ١٢٤٣هـ توفي الشيخ احمد بن سلمان آل خليفة وعلى اثر موته انتقض صلح آل خليفة مع سلطان مسقط السيد سعيد وامتنعوا عن اداء مبلغ الخراج المقرر دفعه لخزينته سنوياً فكان ذلك الامتناع داعياً لاشهار السيد سعيد الحرب على البحرين و سياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الحادي والعشرون

حملة سعيد بن سلطان ملك عمان على البحرين او «وقعة قزقز»

وفي سنة ١٢٤٤هـ بعد مرور سنتين على قتل رحمة بن جابر الجلاهمة. توجه ابنه بشر الى مسقط لاغراء حاكمها السيد سعيد بن سلطان على مهاجمة البحرين واشهار الحرب على آل خليفة انتقاماً لابيه متخذاً امتناع حكومة البحرين عن دفع الخراج المقرر الذى صار عليه الصلح بعد واقعة «سترة» وسيلة لا يغار صدر السيد سعيد فحازت اقواله موقعها من القبول حيث قد اغاظة واغضبه امتناع آل خليفة من اداء الخراج اللازم له عليهم، فاخذ هذه المرة يستعد لغزو البحرين استعداداً كبيراً فدأب على جمع الرجال والذخيرة والعتاد والمال وترتيب شؤون الحملة مدة شهر كامل حتى انه لم يترك احداً يقدر على حمل السلاح وضمه الى الجيش من جميع جهات عمان وصور وصحار والجبل ومسقط وغيرها، واجتمع لديه من السفن ما يربوا على ثلاثمائة سفينة فاركب جموعه فيها واقلع قاصداً مهاجمة البحرين بهذه الحملة العظيمة. فلما بلغ آل خليفة في البحرين خبره جمعوا رؤساء القبائل وكبار العشائر وتشاوروا، فمنهم من اقترح باستنجاد الاصدقاء والاحلاف والاكثرية ابوا الا الاعتماد بعد الله علي انفسهم لئلا يقال لم يكن لهم كفاية فاستعانوا بغيرهم، فاجمعوا على الرأي الاخير وقر قرارهم عليه واخذوا يجمعون قواهم ويعدون عدتهم ويصلحون شؤون سفنهم ويرتبون اسلحتهم وعمارتهم فاجتمع لديهم من الفرسان ثلاثمائة فارس ومن المشاة زهاء ثلاثة الآف وخمسمائة مقاتل ومائة وستين قطعة من السفن فيها من المقاتلة الف وستمائة جندي واناطوا القيادة البرية بالشيخ خليفة بن سلمان والقيادة البحرية بالشيخ عبدالله بن احمد ثم اشتغلوا بتحصين البلاد كالمنامة والمحرق واقاموا على القلاع الرجال بالسلاح الكامل والمؤنه والذخيرة. وقسم خليفة جيشة الى ثلاثة اقسام جعل قسما من داخل الاسوار والقسم الثاني اخفاه في غياض البساتين وقلعة الديوان وهم جل الخيالة وترك القسم الثالث وهو اقل الاقسام منتشرا حول البلاد خارج الاسوار للمدافعه وهم معظم الرماة واوصى هؤلاء بتسديد الرمي حين مقابلة العدو فاذا دخل عليهم يتقهقرون متخذين خطة الدفاع وسيطمع فيهم لقلة عددهم واوصى جميع الرجال بما يلزم في مواقف الحروب ومصادمة الاهوال: اما عبدالله بن احمد فقد قسم اسطوله قسمين جعل القسم الاول في «المزروعيه» خوفاً من مباغته العدو للبلاد من تلك الجهات وجعل القسم الثاني في الخور بين المحرق والمنامة ثم جمع كثيرا من السفن الصغيرة وملأها بالحجارة والتراب واخفاها في جزيرة سترة وفي جهات اخرى واوعز لها بما يلزم في حينه: ولما اتموا ترتيب شؤونهم الحربية واستعدادهم وتدابيرهم اقاموا ينتظرون قدوم العدو عليهم الذى وصل بعد ايام واشرعة «قلوع» سفنه قد حجبت الفضاء وتلاحقت سفنه العظيمة بعضها ببعض ومازالت تقترب حتى احتلت مضيق «القليعة» وهنا اجتمعت ببعضها ـ تحيط بمركب

السيد سعيد الكبير المملوء بالالوية والاعلام وحين وصوله اطلق المدافع انذاراً واشعاراً بالحرب. ثم ارسل رسولا بكتاب الى حكومة البحرين يخيرهم فيه بين تسليم الخراج الممنوع والرجوع الى طاعته وبذلك تحقن الدماء ويعود عنهم الى بلاده او الحرب فوصل الرسول وقدموه الى «مشهور» وهي سفينة القائد فركبه وعرض الكتاب على الشيخ عبدالله بن احمد فلما وقف على معناه لم يجب بغير الحرب. وحينئذ شمرت الحرب عن ساعدها وابرزت نابها ومخلابها وبدأت المهاجمات وازدحمت سفن آل بو سعيد عند راس «قرقر» وصدرت الاوامر للعساكر بالنزول فنزلت الكتائب يتلو بعضها بعضا بمحل يقال له «الجفير» وقد امتلأت نخوة وحماسة فتصدت لقتالهم شرذمة الرماه التى رتبها الشيخ خليفة لهذا الغرض واوصاها بان تقاتل القوم وهي تتقهقر: فلما راى آل بو سعيد قلة المدافعين طمعوا فيهم فاطبقوا عليهم من كل ناحية ومكان وتأججت نيران الضرب والطعان فما كان من فرقة الرماة الا التاخر والتقهقر متخذين خطة الدفاع والانسحاب بنظام حسبما رسمه لهم قائدهم الباسل فازداد طمع آل بو سعيد فيهم والهبوا نيران الحرب شدة بالحملات عليهم ابتغاء تطويقهم بالالتفاف واستيئصالهم من ميدان المصاف فلما توسطوا ساحة بر «الجفير» واتسع المجال للحرب والطعن والضرب وراى الشيخ خليفة ان ساعة الانجاز قد دنت والفرصة قد سنحت اليهم اشرك بقية جنوده الكامنين خلف الاسوار وفي البساتين بالهجوم على الاعداء والانتصاف منهم فخرجوا من مكانهم مثل الصقور وانقضوا على آل بو سعيد انقضاض البواشق على الحمام وجودوا فيهم الضرب بالحسام الصمصام ثم كرت الفرقة الأولى المدافعة واستبدلت التقهقر بالهجوم فلما شعر هؤلاء بالمكيدة علموا ان الخطب جلل وانهم وقعوا في معضل وانه لا ينجيهم منه الا الثبات لكل هول والصبر على لقاء الخطب المهول فثبتوا في محل الضرب بثبات الرواسي غير ان آل خليفة لم يرعهم ثبات خصمهم فصمدوا له وناجزوه القتال و صافحوه ببيض الصفاح وسلب الاجال فتزعزع ثبات آل بو سعيد وداخلهم الفزع والهلع فتغيرت مواقفهم وارتبكوا في أمورهم فهال السيد سعيد ذلك الوهن فصاح في رجاله وحماهم وحرك نخوتهم واجج حماسهم ثم التفت الى جهة البحر فرأى ما يفت في العضد ويقطع عليه خط الرجعة، فزاد ذلك في بلباله وتفاقمت اهواله. وذلك انه رأى السفن الخليفية العظيمة قد انقضت على اسطوله تدمره وترسله الى قاع البحر ليسبر غوره، فخاف عاقبة الفشل فالهزيمة، فنحي رجاله وثبتهم ولكن أين الثبات وقد انحلت منهم العزائم فلم يجد ذلك فيهم، اذ لم تبق فيهم بقية من القوة للنخوة فاضطر للرجوع الى البحر لحماية اسطوله الذى اشرف على البواد من هجمات الاسطول الخليفي فانكسر جيشه شر كسرة وتشتت عقد نظامهم وانهزموا يطلبون الشواطىء ابتغاء السلامة من الفناء المحتوم الذى امامهم فتاثرهم جيش البحرين يقتل فيهم قتلاً ذريعاً ففروا لايلوون على شيء، وغرق معظمهم ومن نجي منهم وهو اقل القليل توصل الى السفن وهو على آخر رمق.. وما وقع على الجيش البرى فقد حصل مثله للاسطول و الجيش البحري حيث ان الأسطول السعيدي لم يقو على صد هجمات الاسطول الخليفي فانكسر وانهزمت سفنة تطلب طريق النجاة وهناك رأت ان خدعة الشيخ عبدالله قد اوقعتها في الفخ الذى نصبه لصيدها، لان المذكور ساعة التحام القتال واشتعال الفريقان بالنضال أصدر اوامره الى السفن الصغيرة التى شحنها صخوراً بالقاء حملها في المضيق لردم المعبر ليمتنع على العدو المرور منه لو عول على الانهزام. وهكذا كان فان الاعداء لما رأوا أن لاقبل لهم بمحاربة اهل البحرين اقلعوا يطلبون المرور من ذلك المضيق للنجاة

بانفسهم، فـراوا ان المرور منـه اصبح ممتنعاً بفضل مـا القى فيـه من الصخـور المتراكمـة كالجبال فحاروا في أمورهم وخـارت عـزائمهم وتيقنـوا انهم قـد احيط بهم لا محالـة وان لا سبيل الى نجاتهم. فقاتلوا قتال المستميت ودافعوا عن انفسهم دفاع من لا أمل له في الحياة ولكنه دفاع غير مجد، حيث ان العمارة الخليفية تفوقت عليهم وتلفت اكثـر سفنهم واسرت جانبا عظيماً منها فعض السيد سعيد اصابعه قهرا واسودت الدنيا في عينيـه واجهـد نفسـه في ان يمر من ذلك المضيق وبعد الجهد الجهيد تمكن من عبوره في سفينه صغيرة والتحق به بيخته الخاص الراسي على بعد من الميناء فامتطاه وتمكن بنفسه من النجاة ورجال حـاشيتـه وخواصه وطلب عرض البحار لا يلوى على شيء، وهو يلعن الاطماع التى اوقعته في هـذا المازق الذى لم يخلص منه والتى غررت به وبنا موسه. أما بقية جيشـة فـانهم لما لم يـرواهم مقدرة على القتال ولامفر ولا ملجأ القوا السلاح وطلبوا الامان فأمنهم الشيخ عبداللـه على أرواحهم وسلب ما معهم من مال وسـلاح ومـؤنـه وذخيرة، وجمعهم واركبهم فيما يحملهم من السفن وسفرهم الى بـلادهم بعـد ان اصحبهم بكتـاب الى السيـد سعيـد فحـواه إنـه بامكانى لحرقك والايقاع بك ولكنى تركت ذلك حرمة لك واعتبارا لمقامك وها قد علمت ان مشترانا لامارة البحرين كان بثمن غال جداً وهو الدم الزكى ولـذلك لا تبـاع بـرخيص من مال او نوال بل بدماء تخضب البطـاح وضرب يسلب الارواح فثب الى رشـدك واكفنـا شرك: وعلى هذا الوجه انتهت هذه الوقعة المشؤمه وقد ارخوها بقولهم «بالله سعيـد وغلب» سنة ١٢٤٤هـ وتعرف بواقعة «قزقز» نسبة للموضع الذي وقع القتـال البحـري فيـه، وقـد قدرت خسائر الطرفين بثلاثة الآف بين قتيل وجريح اكثرهم من آل بـو سعيـد: وفي نقل آخر ان قتلى وغرقي اهل مسقط وعمان يزيدون على ثلاثة الآف شخص، واما خسارة اهل البحرين فقتيل واحد يقال له ابن عرفه والجرحي كثيرون، ويستشهدون لذلك بقـول اهل مسقط انفسهم من قصيدة نبطية:

عجائب يا بنى عتبه عجائب ثلاثة الآف ما فيهم شايب:

وغنم اهل البحرين منهم مركبا شراعيا كان خاصاً لركوب السيـد سعيـد. ثم ان بعض صغار آل خليفة تشاجروا على امتلاكه فامر الشيخ عبدالله عليه فاحرق قطعاً للنزاع. وقد حضر هذه الوقعة نصيراً لآل خليفة مزيد بن هذال مع خمسين رجـلاً من قـومـه العمارات، وهذه آخر وقعة جرت بين اهل البحرين وآل بو سعيد وبعدهـا قطعـوا الامل من امتـلاك البحرين.

بعد الواقعة المذكورة عاد آل خليفة لما كانوا عليـه في سـابق عهـدهم، الشيخ خليفـة بن سلمان واخوانه بالمنامة وتـوابعهـا وسكنـاهم بـالـرفـاع، والشيخ عبـداللـه بن احمد واولاده بالمحرق وتوابعها. ولما كان الشيخ محمد بن عبدالله بن احمد كبير النفس واسع المطـامع لم يرق له السكنى بالبحرين تحت سيطرة والده بالمحرق وكذلك لا يمكنه منازعة خليفـة بن سلمان في المنامة، فلذلك ترك البحرين ومعه بعض اخوانه ومن يلوذ به ونـزح الى الـدمـام وكون له قوة تهاجم القطيف وسياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء اله تعالى.

الفصل الثاني والعشرين
غزوة سيهات: او وقعة القطيف

بينا في الفصل السابق ان الامير محمد بن الشيخ عبدالله آل خليفة قد نزح الى الدمـام.

وهو حصن في جنوب الظهران فسكنه مع حاشيته ومن لاذ به من اعراب البادية. وقدم عليه في هذا الاثناء الامير ماجد آل حميد طريد الاحساء في جمع من عشيرته فتكاثر جمعه وصار له شان يذكر في نواحي القطيف والاحساء وما والاهما، واعتز جانبه واصبحت نفسه الكبيرة تمنيه الاماني العظيمة، وبسبب وجود ابن حميد عنده اخذ يزين له ويغريه على غزو الاحساء والقطيف وانتزاعهما من ايدي آل سعود، فوافق ذلك هوى في نفسه وهو يخشى عواقب الاقدام على ذلك لما يعلمه من قوة آل سعود وخطر التعرض لهم، فمازال ابن حميد يحثه ويستحثه ويسهل عليه كل صعب حتى لان جانبه وعول على العمل، وكان الامير يومئذ على القطيف من قبل آل سعود رجل يقال له عبدالله بن غانم وامير سيهات علي بن عبدالرحيم فلهذه الاسباب لما عزم الامير محمد بن عبدالله الخليفة على العمل دخل من هذا الباب فكاتب امير سيهات علي بن عبدالرحيم في صدد ذلك فوجد منه اذانا صاغية وافئدة لخطابه واعية وبمشروعه راضية، فلما تحقق لديه ان اكثر اهل القطيف سيكونوا معه لا عليه، بادر بالعمل وجمع جموعه وما قدر عليه وأقتحم سيهات فسلمت له بغير كلفة وخرج اليه اميرها علي بن عبدالرحيم مؤدياً له الطاعة. ثم استولوا على عدة من سواد القطيف. فكتب الامير محمد بن عبدالله لوالده بالبحرين يخبره بالخبر ويطلب منه المدد، فخف اليه في عمارته المشهودة يصحبه رجاله وابناؤها وفيهم الشيخ خليفة بن سلمان واولاده واخوانه، وكان الامير محمد بن عبدالله قد استولى على معظم سواد القطيف وآل الامر اخيراً الى حصر العاصمة نفسها. وكانت الاخبار سبقت الى تركي بن عبدالله امير نجد بما جرى في القطيف، فاعد الجنود والجحافل لنجدتها وجعلها تحت قيادة ابنه فيصل بن تركي، فقصدها هذا حثيثا حتى وصل ونزل بالمريقيب وباشر القتال رجاء فك الحصار عن القطيف. وقدم في هذا الاثناء الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة بمن معه وحين وصولهم باشروا القتال وحصروا المدينة بحراً، واول اعماله انه ارسل جيشاً للاستيلاء على دارين فسلمت اليه والى تاروت ففتحها، والتقى الجيشان تحت اسوار القطيف، اما السفن البحرية فانها باشرت الاستيلاء على السفن التي في ميناء القطيف، ومما يذكر ويحرر انه كان بالاتفاق يوجد لاهل الكويت عدة سفن في موانئ القطيف ودارين جاؤها لاخذ المؤنة فاستولى عليها اهل البحرين لظنهم انها من سفن القطيف، فاستاء الكويتيون لذلك وارسلوا يستنجدون باصحابهم في عرض البحر فجاءتهم السفن من كل حدب ينسلون رافعين اعلام الحرب ومنذرين بالخطب نجدة لاصحابهم وقدمت النذر على الشيخ عبدالله تخبره بذلك ففك الحصار البحري عن المدينة وابحر مستعداً لملتقى القادمين، وتقدم الجميع الشيخ خليفة بن سلمان في رجال النجدة على سفينته المذكورة يتبعه بقية السفن والتقى الجمعان قرب الجعيلية وهو لسان في البحر فتراشقوا بعوامل المران وحمى خليفة رجاله ولما تلاصقت السفن ببعضها واحتكت جوانبها القيت من الجانبين الكلاليب وربطت بالحبال والسلاسل، فعمل بينهم العضب المهند، وحاول الكويتيون الثبات امام حملات آل خليفة ورجالهم فلم يستطيعوا فالقوا بانفسهم في البحر وتعلقوا باذيال النجاة وعلموا انهم مغلوبون على امرهم، ففروا مكسورين مشتتين من عشرة وعشرين، واستولى آل خليفة على ما في السفن الباقية من مال ومتاع ولؤلؤ وسلاح، فكانت هذه الغنيمة سبباً للفتنة والشحناء والشقاق بين آل خليفة انفسهم على

قسمتها اذا دعا ابناء الشيخ عبدالله آل خليفة بان لهم الحق في اخذ اكثرها، وادعى خليفة وابناؤه ان هذا الحق لهم وحدهم لكونهم اول من هاجم الجمع وباشر القتال ورجاله اكثر الرجال سطوة ونكاية في العدو فعظمت بينهم المنازعة واشتد اللجب ثم تداعوا الى الانصاف والتحكيم وفوضوا الامر لأبيهم الكبير الشيخ عبدالله وكان هذا مقيا في سفينته «الطويلة» في «الجزير» فجاؤا اليه وعرضوا امرهم عليه وطلبوا منه الانصاف فحكم بمعظم الغنيمة لاولاده واحفاده ورجالهم وانفض المجلس على ذلك فانكمد خليفة بن سلمان وزاد به القهر فحم من يومه ومات في ليلته سنة ١٢٤٩هـ على سفينته فاقلع به ابناؤه وعادوا به الى البحرين ودفنوه بالمنامه. وهذه الحادثة هي مبدأ اساس الفتن والشر الذي جرى بعد بين آل عبدالله وآل سلمان: ودام حصار القطيف اربعون يوماً وبعدها فكر اهلها بسؤ العاقبة وعلموا انهم مهددون بشر عظيم اذا فتحت بلدتهم عنوة حيث يكونون طعمة وسلباً للجيشين المدافع والمهاجم، هذا من جهة ومن جهة اخرى ان تقليدهم مذهب الشيعة قد عرضهم لاضطهاد امراء نجد الوهابيين وتأكدوا عدل آل خليفة وحلمهم فراسلوا الشيخ عبدالله آل خليفة وعرضوا عليه تسليم البلد على ان يؤمنهم على انفسهم وأموالهم فرضى بذلك، ووفي لهم به واستولى على البلد ومع ذلك فقد دام القتال مدة غير قصيرة حتى جاء فيصلاً الخبر بقتل ابيه غدرا بيد إبن إخته مشارى بن عبدالرحمن آل سعود وكان ذلك في اواخر سنة ١٢٤٩ هـ فرحل الى الاحساء ومنها توجه الى الرياض حيث حاصر قاتل ابيه فيها فاشتد بينهما القتال اياما ثم ان فيصلاً عرض على ابن عمته الامان على ان يخرج من البلدة فابى وثبت يقاتل حتى كانت سنة ١٢٥٠هـ فوثب جمع من محبى فيصل وفتحوا له الباب سراً فدخل البلده وحاصر مشارى في بيته فدافع عن نفسه دفاع الابطال حتى قتل وكان قتله بعد مضى اربعون يوماً على قتل تركى بن عبدالله؛ وكان الشيخ عبدالله آل خليفة قد اكتفى بما فتحه من القطيف ورحل عنها الى البحرين بعد رحيل فيصل إذ لم يبلغه مقتل تركى والقتال بين ابنه وابن اخته فاخبره بعض ثقاته بالخبر ولامه على قعوده عن القطيف: ولما سلم اهل القطيف للشيخ عبدالله وابنه وصالحوهم على مال دفعوه لهم رجع الشيخ عبدالله الى البحرين وابنه محمد الى الدمام بعدما اخضع معظم القطيف لسطوته وضرب عليها الخراج تؤدي اليه وتعرف هذه الحرب بوقعة «سيهات» وقد قتل في تلك الحروب خلق كثير وممن قتل من مشاهير اصحاب فيصل قائد يقال له «البواردى» وهكذا انتهت هذه الحرب التى ملئت من الحوادث والعبر التى صارت في المستقبل سبباً لاستمرار الفتنة والشقاق بين العائلة الخليفية الى مدة من الزمان وآل ذلك النزاع الى ضعف المملكة وضياع سيهات وغيرها وهكذا كل شقاق داخلي يؤول الى خلل خارجي كما قال الله جل وعلا «ولاتنازعوا فتفلوا وتذهب ريحكم» وخلف الشيخ خليفة بن سلمان ابنه الاكبر الشيخ محمد بن خليفة.

الفصل الثالث والعشرون

مؤآمرة ابناء الشيخ عبدالله

كان للشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة من الولد عشرة اولاد وهم: مبارك وحسن وناصر وحمد وراشد ومحمد واحمد وعلى وحمد الثاني وراشد الثاني، وقد سمى الأخيرين باسمى

اخويهما اللذين قتلا في حروبه، وكانت ام محمد واحمد وعلي من آل ابن علي يرجع نسبهم الى سليم وهم أولوا قوة وبأس شديد، فحاول ابناء اختهم الامارة مغترين ببأس اخوالهم: وقد هّم احمد وعلى ناصر ومبارك بمؤامرة ضد ابيهم فانكشف امرهم وذلك لاسباب عائلية يطول شرحها واضربنا عن ذكرها ولما انكشفت مؤامرتهم وافتضح امرها فخافوا سوء العاقبة فنزحوا الى قطر وجعلوا وجهتهم الحويلة وهي بلدة جنوبي الوكرة حيث يسكنها اخوال علي واحمد فقابلوهم بالاكرام وأوعدوهم ان يكونوا لهم مساعدين على ما يرومون، فتحالفوا معهم على غزو البحرين وانتزاعها من والدهم عبدالله بن احمد ثم طلبوا زيادة المدد من اعراب البادية فجاءهم اخلاط كثيرة ترأسهم علي بن عبدالله واخذوا يجمعون السفن بها، وسياتى الفصل الاتى تمام خبرهم ومآل ما ادى اليه سؤ تدبيرهم من وقعة الحويلة التى اريقت فيها الدماء.

الفصل الرابع والعشرون
وقعة الحويلة بقطر

خرج ابناء الشيخ عبدالله آل خليفة من البحرين الى الحويلة بقطر بعد ان تآمروا على ابيهم ففشلت مؤامرتهم كما قدمنا. خرجوا مغاضبين اباهم فنزلوا الحويلة وهي قرية في الطرف الشمالى من بر قطر، فاسترضاهم أبوهم و حذرهم من عاقبة الغرور والانشقاق فلم يرعوا منزلته وما اصغوا لكلمته ولا احترموا أبوته فغاظه منهم عقوقهم ووقاحتهم فاصدر امره لحفيد اخيه الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان ان يتجهز لقتال اولاده الذين هموا بانتزاع ملكه وان ياخذ معه من يعتمد عليه من اخوانه وبنيه والعدة الكافية من الرجال والرواح بهم الى قطر، فصدع الشيخ محمد بن خليفة بالامر وجهز السفن بالرجال والاستعدادات اللازمة لمثل تلك الحال واقلع بمن معه حتى وصل الوكره، ومن هناك سار بقوة من الرجال بعد ان جعل اخاه على قيادة القوة البحرية وحين التقى بهم رآهم مستعدين، فقاتلهم قتال الابطال وقاد الشيخ على بن خليفة القوة البحرية وحصر بها الحويلة بحراً فانكسر آل عبدالله شر كسرة وتشتت شمل رجالهم وقبض على الاخوة علي واحمد وناصر وأمر آل بن علي اخوالهم بالجلاء عن الحويلة فالتمسوا منه ان يتركهم في اوطانهم واعتذروا له من متابعتهم لابناء عمه فابي عليهم ذلك ولم يسمح لهم، فلما رأوا ان التماسهم لم يجدهم وان محمد اذا أصر على امر لاينثنى عنه قوضوا منها رحلهم وحملوا أحمالهم وركبوا سفنهم اذ كان قد منعهم من سكنى قطر برمتها فجعلوا وجهتهم جزيرة قيس، وبعد ذلك امر الشيخ بتخريب الحويلة فخربها واصبحت اطلالاً خاوية بعد ان كانت اهلة عامرة بالبنيان فسبحان من يدوم ملكه ولا يغيره شيء من عوارض الحدثان، وبعد ذلك خير ابناء عمه آل عبدالله بين الرجوع عن عنادهم ولزوم طاعة والدهم ورواحهم الى البحرين وبين البقاء على مغاضبته ومنابذته والجلاء عن قطر والامتناع عن البحرين، فاختاروا الاول فصالحهم ورجع بهم الى البحرين مذعنين لوالدهم نادمين على ما فرط منهم فعفى عنهم وذلك سنة ١٢٥٠هـ وتسمى هذه الوقعة وقعة الحويلة وبسببها رجع الشيخ عبدالله عن الخروج لاستئناف فتح القطيف وآل الامر الى ضياع سيهات وما تم فتحه منها اى من القطيف: وبعد سنوات قليلة وقعت حوادث ذات شأن و سيأتى بيانها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس والعشرون

حوادث ذات شأن تمخضت عن حروب داخلية

وفي سنة ١٢٥٤هـ نازل الاتراك امارتي الاحساء والقطيف بقيادة خورشيد باشا ففر امير الاحساء عمر بن عفيصان منها الى البحرين ومنها الى الكويت، فارسل خورشيد باشا سفيراً يدعي محمد افندي لمخابرة حكام البحرين في شؤونها فاكرموا وفادته واحسنوا استقباله واظهروا له موالاتهم للدولة العثمانية صاحبة السيادة على الاطراف العربية جميعها فشكرهم وعاد شاكراً لهم حسن تعلقهم بالسلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية، وفي سنة ١٢٥٨هـ ابتدأ الشقاق يتجسم بين العائلة الخليفية وحل بهم الانقسام والفتن الاهلية والحروب الداخلية. وذلك ان الشيخ محمد بن خليفة من حين مات والده هو يرنوا بعينيه الى التملك على البحرين وكان يخشى كثيراً انه اذا مات الشيخ عبدالله يرث الامر بعده أبناؤه العديدون فتكون القاضية على آمال آل سلمان وسبباً لافول نجمهم الزاهر، وكلما تقدم الشيخ عبدالله في السن عظمت مخاوف الشيخ محمد بن خليفة لما يراه من سؤ تصرف اولاده واحفاده وكثرة تعدياتهم، فلما كانت سنة ١٢٥٨هـ طلب من عمه الشيخ عبدالله ان يتنازل عن الامارة ويعتزل عنها له لأنه قد طعن في السن واصبح لا قدرة له على صد تعديات اولاده فامتنع الشيخ عبدالله عن اجابة هذا الطلب ووجه محمداً برد طلبه فرد عليه هذا بأن لا اقل من ان يعهد له بولاية العهد رسمياً ويطلق يده في الاخذ على ايدي العابثين، فامتنع ايضا عن هذا وعلم ان سيكون لمحمد مع اولاده شأن يذكر، فاخذ الحذر منه فتمخضت هذه الحوادث عن وقعة تعرف بوقعة «الناصفة» وسناتى على بيانها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل السادس والعشرون

وقعة الناصفة

وفي سنة ١٢٥٨هـ حدث بين الشيخ عبدالله حاكم البحرين وبين الشيخ محمد بن خليفة حفيد أخيه الشيخ سلمان نزاع شديد على الامارة كما قدمنا وكان الشيخ محمد المذكور قد استعد للامر، فتمكن من حصر الشيخ عبدالله في جزيرة المحرق. وتظاهر بالخروج عليه والامتناع من الخضوع لطاعته فكبر هذا على الشيخ عبدالله فجمع اولاده ومن يعول عليه من الرجال وعبر بهم الى المنامة وتابع المسير الى الرفاع حيث يقيم ابناء خليفة بن سلمان، فكان الشيخ محمد بن خليفة مستعداً لذلك بمن يثق به من رجاله، والتقى الجمعان بمكان يدعى «ناصفة» بجزيرة سند، فاقتتلوا هناك قتالاً عنيفا كان الفوز فيه حليف محمد بن خليفة وانكسرت جموع الشيخ عبدالله واكثرها تحول الى جانب الشيخ محمد، فلما راى الشيخ عبدالله ذلك انسحب الى الحورة بالمنامة ومن هناك عبر الى المحرق، فاتبعه الشيخ محمد برسول يعرض عليه وجوب مغادرة اولاده للبلاد، فغضب وقال انه لا يريد طرد اولادى ولكنه يريد طردي وها انا اترك له الملك غير آسف عليه وشأنه مع اولادى فانهم أكفاء له، وجمع ما قدر على حمله من ماله وارتحل من البحرين وجعل وجهته الى الدمام فتبعه اولاده ومن يريد صحبته وجعل همه قطع السابلة في البحر على سفن اهل البحرين وقطر: وبعد خروجه صفى الجو للشيخ محمد بن خليفة فتوحد

بحكم البحرين واستبد به غاية الاستبداد وترك سكنى الرفاع ونـزل المحـرق وابقى اخـاه الشيخ على بن خليفة، في المنامة في القصر المعروف ببيت علي بن خليفة، ولما راى علي بن خليفة ان اخاه مستبداً بالحكم دونه ولا يريد ان يقـال لغيره شيخـاً اغـاظـه ذلك واحفظه وعده اهانة كبيرة لنفسه، فاهتم لما يستأصل به هذا الاستبداد ويحفظ لنفسه كرامتها فاسفر اهتمامه وتدبيره بوقوع حادث جلل سناتي على بيانه فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل السابع والعشرون

وقعة سوق الخميس

قدمنا في الفصل السابق استبداد الشيخ محمد بن خليفة وشذوذه الـذي لم يحتمله أخـوه على بن خليفة وعده اهانة تلحق وتسحق عزة نفسـه وكـرامتـه. ولما سـاءه ذلك من أخيـه كتب الى الشيخ عبدالله بن أحمد في الدمام سراً وبين له استبداد أخوه بالحكم والامارة دونـه وإباءه عن اشتراكه في ذلك معه ودعاه للقدوم الى البحرين والعمل جميعاً للقبض على أخيه الشيخ محمـد بن خليفـة والاستيـلاء على امـارة البحـرين واقتسـامهـا بينهما. فلما وصلت مكاتيب الشيخ على بن خليفة الى الشيخ عبـدالله سر بها وفـرح فـرحـاً عظيماً وعـد ذلك عناية الاهية به فلم يضع تلك الفرصـة ولم يتـوان عن القيـام بما دعى اليـه بل حـالاً جمع أولاده ورجـالـه واستلحق مـرئاب بني مـرة من البـدو وحملـه على السفن وهجم بهم على البحرين وكان ذلك في جمادي الأولى سنـة ١٢٥٨ هــ فبلغ الشيخ محمـد بن خليفـة خبر غزوة الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ووصـولـه الى البحـرين فجمع من قـدر عليـه من الرجال وعبرهم الى المنامة ومنها سارت الى بلاد القديم لصـد هجـوم عمـه الشيخ عبـدالله فالتقيا في الموضع المعـروف بسوق «الخميس» فاقتتل الجيشان هناك وشعر حينئذ بمـواطأة أخيه الشيخ علي ضده ورأى ان جيشه يحارب بقلوب للحرب فادرك حرج الموقف وانكسر أمام حملات الشيخ عبدالله وقتل من اخوانه راشد ودعيج ابني خليفـة فـارتـد الى المنـامـة ورأى ان اخاه الشيخ على ضده وقد تحصن في قصره الآنف الذكر وان أكثر الرجال سلمت الى أخيه فعلم ان بقاءه في البحرين أصبح خطراً على حياته فنجى بنفسـه ولحق بـالقطيف ومنها الى نجد حيث اجتمع بامامها عبدالله بن ثنيان فـاكـرم وفـادتـه وبقى هنـاك مـدة؛ وأرخت هذه الواقعة بقول بعضهم شر نحر شر، أما الشيخ عبدالله فانه بعد ان شتت قـوة الشيخ محمد بن خليفة دخل البلد وأقام البدو فيها بمهمـة السلب والنهب فتكـدر صفـاء البحرين وضاق الرعية ذرعاً ففـر أكثـرهـم الى جهـات مختلفـة ريثما تسكن هـذه القـلاقل والفتن والسلب والنهب وعاد الشيخ عبـدالله لسـابق عهـده من القبض على زمـام الامـور والحكم وأساء الى الشيخ علي بن خليفة وعامله معاملة لم تخطـر لـه على بـال وضيق عليه المجال فصح فيه قول من قال

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

فلما رأى الشيخ علي تلك المعاملة من الشيخ عبدالله وأولاده ندم على ما فرط منه في حق أخيه وعلم بأنه أساء الى نفسه واليـه وبقى يقلب وجـوه الحيل ويقـدح زنـاد فكـره ليجـد منفذاً للعمل لتدارك ما فرط وسيأتى فيما يلي نتيجة تدبيره انشاء الله.

الفصل الثامن والعشرون
«موقعة الحنينية»

لما أدرك الشيخ علي بن خليفة خطاه فيما دبره ضد أخيه فجلب بذلك الاساءة الى نفسه واليه وندم غاية الندم ففكر في ان يكفر عما فرط منه بتدارك الأمر ان أمكن وذلك بان يكتب لأخيه سراً ويطلعه على ما حصل ويطلب عفوه وصفحه ويدعوه للمجيء الى البحرين لطرد آل عبدالله منها وان يتوجه الى قطر حالاً ويطلب المدد من آل ابن علي ليستعين بهم على استعادة البحرين فضمن له ذلك في رسائله و أرسلها سراً لأخيه الشيخ محمد: لما وصلت رسائل الشيخ علي بن خليفة لأخيه تعجب كثيراً من تقلبات الزمان ثم كتب لأخيه يطمئنه ويبشره بالقدوم عليه وان يستعد هو أيضاً لذلك: وفي نقل اخر. ان الشيخ علي بن خليفة لم يكن له ضلع مع الشيخ عبدالله ضد اخيه الشيخ محمد، وان الواقعتين السالفتي الذكر «الناصفة وسوق الخميس» على غير ما تقدم، وذلك ان لما حدث من الخلاف بين الشيخ عبدالله وبين الشيخ محمد علي امارة البحرين واستعداد هذا للامر وتظاهره بعدم الطاعة وحصر الشيخ عبدالله بالمحرق حسبما تقدم ذكره، وكان الشيخان محمد وحمود ابناء سلمان ساكنين في الرفاع وكانا يميلان الى عمهما الشيخ عبدالله وهو يثق بهما، وحينما حوصر في المحرق جهز جيشين ارسل احدهما المؤلف من بنى هاجر الى ابناء اخيه في الرفاع يقوداه الى قتال ابن اخيهما، وقاد الثاني بنفسه متوجها نحو سوق الخميس فلما بلغ الشيخ محمد بن خليفة الخبر جرد جيشاً يصد جيش الشيخ عبدالله عن الوصول الى الرفاع فتواقع الجيشان في الناصفة من جزيرة سند فكانت الدائرة على جيش الشيخ عبدالله فانسحبوا الى الحورة. ولما انكسر جيش الناصفة ورجعوا الى الحورة ساروا منها الى سوق الخميس وانضموا الى الجيش الاخر الذي يقوده الشيخ عبدالله فبرز الشيخ محمد بن خليفة لعم ابيه وتقاتل الجيشان قتالاً شديداً كانت نتيجته انكسار الشيخ محمد بعد ان قتل اخوه دعيج بن خليفة وقتل للشيخ عبدالله حفيده محمد بن مبارك ولما انكسر الشيخ محمد بن خليفة عمد اخاه الشيخ على بن خليفة بان يجهز سراً جيشاً وينتظر امره فبدأ بتنفيذ ذلك وتوجه هو الى نجد فقابل حاكمها عبدالله بن ثنيان وطلب منه المساعدة فلم يساعده حيث أنه حديث عهد بالملك«١٠٥». فودعه وسار من نجد الى قطر واجتمع بقبيلة النعيم وأخذ يجمع جموعه ويعد قبائله وكتب الى عيسى بن طريف في جزيرة قيس رئيس قبيلة آل بن علي يطلب منه النجدة وكذلك الشيخ على بن خليفة كتب الى ابن طريف المذكور يحثه على اجابة أخيه والقدوم لمعونته وتناسى الاحقاد الماضية، فقدم عيسى بن طريف من جزيرة قيس باهله وعشيرته الى قطر، ولما تكامل جمع الشيخ محمد واجتمع له جيش كبير من قبائل العرب اخصها آل بن على ورئيسهم عيسى بن طريف والنعيم ورئيسها جبر بن ناصر وآل ابى كواره ورئيسها محمد بن سعد وقبيلة الجلاهمة فجهز قبيلة النعيم وبعض من احلافهم وحملهم على السفن وامرهم بالمسير امامه والنزول على المنامة والاجتماع برجال اخيه الشيخ على، ولما وصل هذا الجيش الى البحرين نزلوا من راس البر وقدموا حثيثاً الى الرفاع فالتقى بهم الشيخ علي ومعه جمع عظيم وكان معه سائر آل سلمان واتباعهم«١٠٦» فسلموا عليه وبشروه بقدوم اخيه على الاثر ولما انضموا الى من معه نزل بهم على ماء يسمى

١٠٥ ـ تاريخ البحرين لابن نبهان.

١٠٦ ـ ما عدى الشيخ محمد بن سلمان فانه كان مع عهد الشيخ عبدالله.

«الحنينية» «وهو اعذب مياه البحرين» فالتقوا هناك بجيش الشيخ عبدالله فتقاتلوا قتالا شديداً حتى انتصر جيش الشيخ علي بن خليفة. ثم تقدم الى الرفاع فاستولى عليها. وممن قتل في هذه المعركة الشيخ محمد بن احمد بن سلمان وسميت هذه الواقعة وقعة «الحنينية» نسبة الى الماء الذى وقعت عليه وكانت في سنة ١٢٥٨هـ. ثم تلتها وقعة «الساجة» وسياتى بيانها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل التاسع والعشرون
«وقعة الساجة»

بقى الشيخ محمد بن خليفة في قطر مع باقى القوة التى اجتمعت عنده من القبائل المتقدم ذكرها، بعد ان اركب قبيلة النعيم السفن وارسلهم في المقدمة الى البحرين كما سلف ينتظر عودة السفن اليه لتقله بمن معه لانها لم تكن كافية لنقلهم جميعا دفعة واحدة، ولما عادت السفن ركب فيها بمن معه واقلع الى البحرين، فلما وصلها نزل خارجها من الجهة الجنوبية ثم زحف على المنامة فاستولى عليها، وبقى الشيخ عبدالله محصوراً في جزيرة المحرق فعبر عليه الشيخ محمد ونزل على ساحلها عند ينبوع ماء عذب في البحر يسمى «الساجة» وامر قومه بان يخرقوا سفنهم ويملؤها ماء لئلا يتخذوها ملجأ فتحدثهم انفسهم بالهرب، وبعد انتهاء الواقعة عادوا فاخرجوها، وبعد قتال ضعيف انكسر جيش الشيخ عبدالله وتحصن ببعض عسكره في قلعة «ابى ماهر» الكائنة جنوبي المحرق واعتصم بعض اولاده بقلعة «عراد» فسلمت البلاد الى الشيخ محمد بن خليفة ثم انه انذر الشيخ عبدالله بوجوب مغادرة البلاد وأعلن الامان والاطمئنان في البلاد وكف ايدي البدو عن السلب والنهب، وخرج الناس لاستقباله فرحين مستبشرين بعودته وهنأوه بالنصر والظفر: ولما نزح الشيخ عبدالله من البحرين بمن معه ساز منها الى فارس ببلدة تسمى «نابند» فتفرق فيها معظم جيشه كل قبيلة في بلدة ونزل هو بمن معه في موضع يدعي «نخل هاشل» من نابند ولم يقتل في هذه الحادثة سوى رجل مجنون يقال له صادق الا انه جرح من الفريقين خلق كثير، وقد اصيب الشيخ يوسف بن محمد بن ابراهيم آل خليفة ثم مات بعد بضعة ايام. وقد أرخ السيد عبدالجليل هذه الحادثة بقوله: ببعض ما جرى في تاريخه «بوقعة البحرين ذاب مال» سنة ١٢٥٨هـ وأرخها غيره بقوله «شر نحرشر» وذلك سنة ١٢٥٨هـ «١٠٧» ثم سار بعض اولاد الشيخ عبدالله الى الدمام فسكنوها. «١٠٧» وسار هو الى الكويت مستنجدا بحكامها آل صباح فلم يتحصل على مطلبه فبارحها الى نجد لمقابلة أميرها للغرض نفسه فلم يتوفق ايضا وفي سنة ١٢٥٦هـ يمّم مسقطا للاستنجاد بسلطانها سعيد فلما وصلها اصيب بحصر البول فمات منه بعد ايام قلائل، وكانت مدة حكمه اثنان وعشرون عاماً. وتعرف هذه الواقعة بوقعة «الساجة» نسبة الى الماء الذي وقعت قريباً منه.

١٠٧ — وجد بخط بعض الافاضل ان تاريخ بعضهم شر نحر شر اى سنة ١٢٥٨هـ هو تاريخ لوقعة الخبس واستيلاء الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة للمقدمة، واما هذه الواقعة فجاء تاريخها في النقل المذكور بقول بعضهم «بغير وال» اى في سنة ١٢٥٩ وهو تاريخ لوقعة محمد بن خليفة.

الفصل الثلاثون
امارة الشيخ محمد بن خليفة وهو الحاكم الرابع من آل خليفة على البحرين

استتب الامر والحكم للشيخ محمد بن خليفة بعد ان تم له النصر وكسر عم ابيه في وقعة المحرق «الساجة» المتقدم ذكرها وذلك سنة ١٢٥٨هـ وافعاله خير شاهد على حزمه واصالة رأيه، ولقد كان شجاعاً شديد البأس، وكان قد جمع بين الحلم والوقار و المهابة والبشاشه. ومما ينسب اليه من الدهاء انه وضع في قلعة «ابي ماهر» فوق البرج الغربي من الجهة الجنوبية علماً عثمانياً وعلى البرج الشرقي من الجهة المذكورة ايضا علماً ايرانياً، فكان كلما تحكمت عليه احد الدولتين ادعي النسبة الى الاخرى، وهكذا تخلص من كل نفوذ بمدافعة الواحدة بالاخرى، ولكن نتج من اصطدام نار الحقد في قلوب الانكليز الذين سائهم ارتباطه بالدولتين الاسلاميتين، فحركوا عليه العرب وامرائهم ولشدة حزمه لم ينالوا منه شيئاً الا بعد مضى ست وعشرون سنة على حكمه، وكان له من الولد ثمانية عشرا ابنا وهم خليفة واحمد وعلى وجابر وسلمان وناصر وعبدالرحمن وحمد وعبدالله وراشد وعبدالله وسلطان وصقر وعبدالعزيز وابراهيم والشيخ ابراهيم وفارس وعبدالرحمن. «١٠٨»

ولما استقام الامر للشيخ محمد بن خليفة سنة ١٢٥٨هـ كما تقدم عاد الى الاستقلال بادارة شئون امارة البحرين، وجعل اخاه الشيخ على رئيسا لادارة الشؤون الحربية البرية والبحرية بعد ان تعاهدا على الصفاء والاخلاص التام. وانعم على عيسى بن طريف بجزيرة «سترة» يستقل بريعها مكافأة له على مساعدته لهم. وبعد مدة قليلة اظهر عيسى بن طريف رغبته في ولاية قطر وعرض بذلك امام الشيخ محمد بن خليفة فولاه عليها علىكره منه ونزولا لارادة اخيه الشيخ على لانه كان غير مطمئن منه ويظن بداشر الظنون ولكن اخوه الشيخ على لازال يلح عليه بتوليته فاجابه لما احب فسار ابن طريف اليها مظهراً الطاعة والاخلاص وكونه عاملاً لآل خليفة ويضمر في سره خلاف ما يظهر ولما وصل قطر اقام بعشيرة في الدوحة عاصمة قطر يؤدي خراجها وزكاة اموالها الى آل خليفة وكان ذلك فى نهاية سنة ١٢٥٩هـ وبعد ان مضى على ولايته خمس سنوات نزع العصيان بشق عصا الطاعة واعلن استقلاله بمقاطعة قطر ومالأه على ذلك قبيلة السودان المشهورة بقطر واخذوا يؤلبون العشائر ويجمعون لهم الانصار ولكى يشغلوا قلوب آل خليفة ارسل عيسى بن طريف الى اولاد الشيخ عبدالله آل خليفة المقيمين بنواحي الاحساء والقطيف والدمام يطمعهم في الحكم ويستقدمهم لشد ازره في اتمام الامر فاتاه منهم الشيخ مبارك بن عبدالله في جيش من بنى هاجر فاشتد بهم عزمه على مهاجمة البحرين واغاره بقوله له لا يجب ان نكتفي بل يجب الاستيلاء علي البحرين ايضا فجمع جموع بنى هاجر و المره وغيرهم فقوى ساعد ابن طريف وصمموا جميعاً على غزو البحرين وانتزاعهم من قبضة آل سلمان وقد قدر المقدرون ان الجموع التى جمعها عيسى بن طريف حينئذ بلغت سبع الآف مقاتل بين فارس وراجل ولم يشكك في ان البحرين وملحقاتها اصبحت تحت رحمته وسيا تى فيما يلي نتيجة هذه التدابير انشاء الله تعالى.

١٠٨ - ثم اخرجهم فيها فيصل بن تركي فنزحوا الى القطيف والاحساء.

الفصل الحادي والثلاثون

«وقعة ام سوّيه» وقتل عيسى بن طريف سنة 1264هـ

لما تمت استعدادات عيسى بن طريف كما قدمنا ارسل الى الشيخ محمد بن خليفة كتاباً ينذره له بارجاع املاك واموال الشيخ مبارك التى في «سترة» والاشق شقاً لايرفا(١٠٩) فلما وصل الكتاب الى الشيخ محمد ووقف على معناه علم ان ذلك مقدمة الحرب وقال هذا ظني فيه لم يخطء، وارسل الكتاب الى اخيه الشيخ علي بن خليفة وهوذاك بالمنامة يستطلع رأية فاستشاط الشيخ علي غضبا وساءته هذه المظاهرة من خاله، وقال لرسول عيسى بن طريف قل لصاحبك ان الدم هو الذى يرفوا ذلك الشق، ثم تشاور بعد ذلك مع اخيه فقررا وجوب مبادرتهم وحصرهم في قطر قبل خروجهم منها، فعندها استعد الشيخ على وجهز سفنه البحرية ورجاله الحربيين الذين يعتمد عليهم في مثل هذه الاوقات واركبهم السفن واقلع قاصداً بواغيز قطر حيث وصل الى «الخوير» واقام هناك يتربص خروج ابن طريف ليتصادم معه في البحر، فطال به الانتظار وقلق الشيخ محمد بن خليفة على اخيه ومن معه من الرجال فاعد سفينة وركبها مع خاصته وصفوة حراسه وسار من البحرين الى الزبارة وهناك اخذ يتنسم اخبار المتحاربين فعلم ان اخاه لايزال منتظراً في «الخوير» او «خويرصان» وابن طريف معسكرا قرب «أم سوية» ينتظر ان تتلاحق به جنوده ويجد في جمع السفن البحرية، وعلم ان قبيلة النعيم اعتزلت الحرب وحايدت ممتنعة عن مناصرة ابن طريف على محمد بن خليفة، ولكن عيسى بن طريف جبرهم على مناصرته والغزو معه وهدد بفنائهم ان عصوا اوامره فاجابوه صاغرين. وقيل ان النعيم اجابوه بعد ان ارسل رئيسهم الى الشيخ محمد بن خليفة يستغيث به ويستنجده علّى عيسى بن طريف وان مجيء الشيخ محمد كان لهذا السبب، ولما احاط الشيخ محمد بن خليفة بتلك الاخبار دعته همته الكبيرة وشجاعته النادرة على اقتحام الاخطار والمغامرة، فاستشار من معه من الرجال فاجابوه انا معك واتبع لك من ظلك وليست حياتنا باعز من حياتك، فشكرهم على هذه المواساة، ثم صبر الى ان جن الليل وذهب يتلصص تحت استار الظلام ورجاله تتبعه بدون خوف ولا ووجل حتى اشرف على عساكر ابن طريف فرأها جموعاً كثيرة الا انهم خليطاً من النعيم والمره والهواجر والمناصرين وغيرهم، فقال لرجاله كأني بهذه الجموع وقد تبعثرت وغداً لا ترون بهذه الارض غير القتلى والجرحى، فامنوا على كلامه ثم يمم من دون الجميع الى مضارب النعيم وكانوا نازلين باطراف المعسكر مما يلي الشمال فدخل بين الخيام فشعر به بعض الحراس وصاحوا به فاسكتهم وعرفهم بنفسه ورجاله فبغتوا من هذه المفاجأة وعجبوا من جسارته ومخاطرته وقال له رئيس القبيلة جبر بن ناصر ما الذي اتى بك في مثل هذا الوقت وبهذا الحال، قال اتيت لكي انجز امر عيسى واقتله واشتت شمل رجاله قبل طلوع الفجر فاعزموا بنا وتوكلوا على الله تعالى، فقال جبر هل جننت يا محمد؟ قال كلا. قال اذا كيف تريد منا ان نخوض معك غمار هذه البحر المتلاطم مع علمك بقلتنا ومحال ان نغرر بانفسنا معك ونسوقها الى الحتف والتلف، فقال لابد من ذلك وقد اتيت لهذاالغرض فلا ارجع عنه وما قدر يكون واني ابشركم بالغنائم الكثيرة التى ستستولون عليها غداً انشاء الله تعالى، فخالفه بعضهم ووافقه آخرون، وكثر بينهم الهرج واللجاج، واخيراً جمعوا كلهم على اجابته لما طلب وقالوا توكلنا على الله ولا يكون الا ما يريد ويقضي الله أمراً كان مفعولاً وقضوا بقية ليلهم يهيؤن شأنهم ويستعدون وقبل بروز الغزالة من خدرها صاح

١٠٩ ــ تاريخ البحرين لابن نبهان.

صائح النعيم منذر بالحرب وركبت خيالتهم وجردوا سيوفهم واصطفوا طالبين القتال وقوم عيسى بن طريف آمنون غير حاسبين لهذا حساب، وبرز الشيخ محمد بن خليفة على صهوة حصانه مجرداً سيفه وسنانه وصاح يطلب عيسى للبراز، وكان هذا جالساً في خيمته يشرب قهوة الصباح لا يعلم شيئاً مما جرى حوله فلما سمع الصياح والزعقات قام خارجاً الى خارج المضرب فراى العلم الخليفى يرفرف وتحته الشيخ محمد بن خليفة يصيح عليه يطلب مبارزته ويقول انا حاكم البحرين ومن يمني نفسه لحكمها فيلبرز لقتالي لتكون البحرين له بعد ذلك فتعجب عيسى من ذلك واستغرب عظيم جسارته وركوبه متن الاخطار ثم غلبت عليه عزة نفسه من ان يأمر جميع من معه بالحملة وإبادة النعيم ومن معهم ورأى من المرؤة والشجاعة والشهامة ان يبارزه ليفوز بفخر قتله بذلك على آل عبدالله لونازعوه على البحرين بعدها، فامر خادمه برد القهوة وتأخيرها الى ان ينجز امر الشيخ محمد ثم يعود الى شربها فائزاً، فركب حصانه وتقدم بمن حوله من خاصته للقتال فلما تقاربا تكافحا وتجاولا والتصقا وافترقا وصوب محمد رمحه الى خصمه فلم يخطأ فؤاده وارداه قتيلا فمال عليه محمد فاحتز رأسه وحمله على رمحه ثم نزع خاتمه من اصبعه وصاح في القبائل المجتمعة وهجم عليهم بمن معه، ولما رأت النعيم كيف قتل عيسى بن طريف داخلتهم نشوة الفرح والسرور واخذتهم الأريحية فحملوا على الاعداء بقلوب ملؤها الرجاء بالنصر والفوز بالظفر. واما بقية البدات المختلطة فانهم لما شاهدوا مقتل عيسى بن طريف ورأوا صورة الشيخ محمد بن خليفة اركنوا الى الفرار فركبتهم النعيم تضرب في اقفيتهم قتلا واسرا وسلبا حتى ادبر النهار وفازوا فوزا مبيناً واخذوا الاسلاب والخيل وانتهبوا المعسكر برمته بما فيه من مال ونوال وسلاح وكان ذلك في تاسع ذى الحجة سنة ١٢٦٤هـ وارسل الشيخ محمد البشير الى اخيه الشيخ علي بالخوير يبشره بانتصاره وقتل عيسى بن طريف وتشتيت شمل رجاله واصحب الرسول بخاتم القتيل، فلما علم الشيخ علي بذلك اكبر همة اخيه وفرط إقدامه وسر لانتصاره وحزن لقتل خاله، ثم اصدر امره للسفن بالاقلاع الى البحرين بينما هو في اثناء الطريق إذ وافته سفينة خصوصية بها ألوية واعلام كثيرة آتية اليه ولما وصل ربانها بشره بمولود ولد له فكان سروره مزدوجاً لا يحيط به وصف فسجد لله شكراً وسماه عيسى: اما الشيخ محمد بن خليفة فانه بعد ان شتت شمل اعداءه قدم الى البدع ورتب شؤونها وحكم على قبيلة السودان بالجلاء عن قطر فخرجوا منها وجعلوا وجهتهم «اشناص». ثم ان الشيخ محمد قسم معظم الغنائم على النعيم ومن ساعدهم وجعل ابن عمه الشيخ احمد بن محمد آل خليفة أميراً على قطر وجعل مقر امارته «البدع» وبعد ان تم له كل امر على ما احب عاد راجعا الى البحرين رافعاً رايات النصر والظفر، ولما وصلها بلغه خبر ولاده عيسى بن علي فسر بذلك وكان مصدر سروره ان ام الشيخ عيسى كانت سابقاً تحته فاولدها خليفة بن محمد وابنه ثم طلقها وامر اخاه الشيخ علي ان يتزوجها فقال له ولم ذلك قال لاني رأيت رؤيا انها ستلد منك أميرين، فكان كما قال حيث اولدها الشيخ علي وعيسى واحمد: وتسمى هذه الواقعة «وقعة ام سوية» او «خراب الدوحة الاول» لان الدوحة هي سكنى عيسى بن طريف فكأنها خربت بمقتله، وكان عيسى بن طريف المذكور قد فتح «بمباسه» بامر من سلطان مسقط وزنجبار السيد سعيد بن سلطان آل ابى سعيد: ولم تنته الوقعة المذكورة حتى تركت لها اثراً للمستقبل تمخض عن واقعة «تنورة» التى سناتي على ذكرها مشفوعاً بمقدماتها واسبابها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثانى والثلاثون
بشر بن رحمه وآل عبدالله
يحاولون إغراء امير نجد بغزو البحرين

وفي سنة ١٢٦٧هـ ظهر على مرسح السياسة بشر بن رحمة بن جابر المتقدم ذكره واخذ يعيد لحكومة البحرين تمثيل الادوار التى مثلها ابوه من قبله حتى انتهت ادوار روايته بمقتله كما تقدم وفر ابنه هذا من وجه آل خليفة فمازال مملوءاً حقداً وغلاً وضغينة عليهم واول دور مثله حضوره في وقعة سوية السالفة الذكر وكان من اكبر المساعدين لعيسى بن طريف في حملته فلما اخفق سعيه في تلك الحملة ورأى بعينه قتلة عيسى بن طريف وتشتيت شمل اعوانه الذين كان هو احدهم فزادما في قلبه من الضغن وقصّر همّه في تقليب الوجوه الموصلة للانتقام وابتكار الحيل والغدر والمكر والاغراء حتى آل به تفكيره الخبيث ان يغرى كل من يحمل عداوة لحكومة البحرين آل سلمان فيستعين بهم على نكايتهم ولم يجد اعدى لهم من بنى عمهم آل عبدالله فرأى ان يبدأ بشد اواصر الصداقة معهم ليتسنى له بعد ذلك حملهم على اعادة الكرة على البحرين لاقلاق راحة حكامها انتقاماً منهم، وفعلاً توجه الى الدمام ومازال يتقرب من آل عبدالله بالطعن في آل سلمان حتى توثقت بينهم عرى الصداقة والمودة وجعل يغريهم على الانتقام، فوقع اغرائه عندهم موقع الاستحسان وقد كانت وقعة ام سوية قد وقعت موقعاً سيئاً لدى الشيخ مبارك بن عبدالله والذى ازادهم وحرك فيه ثائرة الغضب واخذا الثار وفاة والده غريباً بمسقط. فاخذ يخط الخطط ويعد العدد لشفاء غليله من ذلك الحين قبل ان يتأتيه بشر ويحرك منه كوامن الاضغان، الا ان قلة اتباعه من جهة وحزم الشيخ محمد بن خليفة من جهة اخرى قد حالا دون نيل امنيته، فلما كانت سنة ١٢٦٧هـ جاءه بشر بن رحمه كما قدمنا وحرك منه ما لعله سكن، واجتمع بشر والشيخ مبارك واخوانه الخمسة واخذوا جميعاً يدبرون التدابير ويستنبطون وجوه الغدر والحيل للوصول الى حل يبلغهم تحقيق امانيهم: لما رأوا انهم ليسوا باكفاء للقيام بما يهمهم وحدهم والعمل على حسابهم، قرروا ان يذهب بشر بن رحمة الى نجد فيحرك من فيصل بن تركى احقاده القديمة على آل خليفة ويغريه على غزو البحرين فسار بشر المذكور الى نجد وتقرب من الامام فيصل، ومازال يبذر بذور الشر ويحرك حفائظ الصدر من فيصل حتى ملأ قلبه غيظا وتطاير شراره فيضاً من آل خليفة فلما رأى انه كاد ان ينجح في مهمته ابان لفيصل ان آل عبدالله مقيمين في الدمام وانهم حاقدون على محمد بن خليفة وانهم سيكونون للامام اكبر عون ومساعد اذ لا يفل الحديد الا الحديد وهؤلاء بنو عمومتهم وابصر الناس بعوراتهم، فاعاد فيصل على ذاكرته ان لحكومته على البحرين ديون قديمة من عهد اجداده، وان آل خليفة منعوها عنهم بسبب مشاغل حكومة نجد الكثيرة في ذلك الحين، ولم يكتفوا بذلك حتى امتدت ايديهم الى تخريب الحويلة وتصرفوا بشؤون قطر وشمخوا على حكومة نجد، حتى لم تعد تخطر لهم على بال او يأبهوا لها: ولما غلا مرجله وكاد يتمزق أهابه صمم العزم على غزو البحرين وارجاعها الى حظيرة طاعته، فجمع من نجد ما قدر عليه من الرجال بكامل العدة والعدد والذخيرة وخرج بهم في منتصف ربيع الاول سنة ١٢٦٧هـ ومازال مجداً في مسيره حتى وصل «حليوين» وهو ماء بين الاحساء والقطيف فنزل عليه وتلاحقت به عربان البادية من

بنى هاجر والمره والعجمان والمناصير وغيرهم من الطامعين في السلب والنهب واخلاط البدو، وقدم عليه آل عبدالله بن احمد آل خليفة مبارك ومحمد وحسن وراشد واحمد وابنائهم ومن يلوذ بهم، فأجل فيصل مقامهم ورفع رتبتهم ووعدهم انه اذا نزع البحرين من ابناء عمهم ان يهبها لهم ويجعلهم حكامها فشكروا له اهتمامه بهم واخلصوا له الود والانقياد، ولما تكامل جمعه رحل من «حلوين» ونزل بالقارة ومنها توجه الى قطر فنزل «بعريق سلوه» وحين نزوله ارسل ابنه عبدالله بن فيصل بسرية من المعسكر ليكون طليعة له وامره بحصر قصر «البدع» الذى يقيم فيه الشيخ احمد آل خليفة الحاكم. وكان هذا لما علم بقرب وصول فيصل الى قطر تركها وعاد الى البحرين ليكون مع ابناء عمه فيها: اما اهالى قطر فارتبكوا في امرهم وخافوا سطوة فيصل، فاجتمعوا وارسلوا وفداً منهم اليه يطلبون الامان وعرض الطاعة عليه فلما حصلوا عنده وابدوا رسالتهم اجابهم وامنهم على ارواحهم واموالهم وطلب منهم مبايعته فبايعوه على السمع والطاعة، فلما دخلت قطر في حوزته وبايعه اهلها وقبائلها رحل من «العريق» ونزل بمسيمر وهو ماء قرب السيف وارسل احمد السديري في عدة من الخيل وامره بالمحافظة على قطر وان يجهز له ما يتحصل عليه من السفن، فجمع له ما يربوا على ثلاثمائة سفينة ثم امر آل عبدالله بالاستعداد للركوب والرواح على المقدمة وسياتى فيما يلي نتيجة ذلك الله تعالى.

الفصل الثالث والثلاثون

حادثة «مسيمير» وانتهاءها بالصلح مع فيصل بن تركي

لما نزل فيصل بن تركى نجد بعد استيلاؤه على قطر على ماء بقرب السيف يدعي «مسيمير» وجهز حملته البحرية على البحرين وارسل على مقدمتها اولاد عبدالله آل خليفة كما قدمنا، فبلغ الخبر الامير محمد بن خليفة واخوه على وحين علموا بما تجدد من اصرار فيصل غزو بلادهم وانه استولى على قطر وجلب معه جميع عربان البادية عولواهم ايضا على الحرب والاستعداد للدفاع عن ذمارهم وملكهم، فاخذوا في اكمال التجهيزات الحربية وارسلوا الى الشيخ سعيد بن طحنون حاكم ابوظبي يطلبون منه النجدة والمساعدة، وقد كان المذكور صديقاً حمياً لهم ذا قوة في المال والرجال فاجاب المذكور طلبهم وفزع اليهم في عدة من السفن مملوة بالرجال وتولى بنفسه قيادتهم وابحر من بلاده حتى وصل الى سواحل قطر مما يلي البحرين وعقد النية على امر ياتيه لعل الله يجرى الصلاح على يديه وقبل ان يصل البحرين ارسل من عنده رسولاً الى فيصل بن تركي يطلب مواجهته وان يتعهد له بعدم الغدر به فاجابه فيصل لما طلب واعطاه وجهه وامان الله في ذلك فوثق هذا به وقدم عليه في خواص رجاله فالتقى به وبعد اداء مراسيم التحية انتحي الامام فيصل ناحية وكلمه في شؤون الصلح وحقن دماء العباد فامتنع هذا عن الصلح مع آل خليفة واصر على حربهم وقتالهم فكرر عليه سعيد الطلب والح عليه فيه بعد ان ابان ان الحرب لاتاتي بفائدة تذكر غير سفك الدماء البريئة ومازال به حتى رضى بالصلح وقبل به على شرط ان يدفع له اهل البحرين اموالاً عينها كل سنة كخراج عليهم فتعهد له سعيد بذلك واشترط ان تبقى قطر واعمالها بايدي آل خليفة كما كانت سابقاً فامتنع اولاً ثم بعد لاي اجاب لذلك واوقف مناوراته الحربية فانقلب سعيد من قطر راجعاً الى البحرين وهو يأمل ان لا يلقى صعوبة من آل خليفة فيما ابرمه وان تحقن باسبابه هذه الدماء الموشكة على السفك

بدون ذنب جنته غير اطماع الحكام وانانيتهم، فلما وصل الى البحرين التقاه الشيخان خير ملتقى وشكرا له صنعه وكبير همته وحميته، ولما خلا بهم واطلعهم على ما اتفق عليه مع الامام فيصل من الصلح وما تقرر بينهما من الشرط فاكبرا ذلك وبعد اخذو رد وجدال وتقنيع قبلا ما ابرمه صديقهما الشيخ سعيد كرامة وابطلا الاستعدادات الحربية وارسلا المال المقرر في الصلح الى الامام فيصل فلما استلمه سحب جيشه من قطر وقوض خيامه وعاد راجعاً من حيث اتى وكفي الله المؤمنين القتال. وانعم آل خليفة على الشيخ سعيد بالهدايا والتحف وشكرا له حسن مساعيه فعاد الى بلاده وهو فرح مسرورا بما تم على يده من الصلح وحقن الدماء: ثم ان الشيخ محمد بن خليفة اعاد ابن عمه احمد بن محمد لمقر ولايته في قطر كما كان عليها سابقاً: اما بشر بن رحمة وآل عبدالله لما رأوا ما تم من الصلح وان نهاية اهتمامهم العظيم ذهب ادراج الرياح وكان هباءً منثوراً ساءهم ذلك وكدرهم وسياتي بيان ما هموا به بعد ذلك فيما يلي انشاء اله تعالى.

الفصل الرابع والثلاثون

«وقعة تنورة»

تم الصلح بين الامام فيصل بن تركي بن سعود وبين الشيخ محمد بن خليفة كما قدمنا فانقض هذا الخبر على بشر بن رحمة وآل عبدالله كانقضاض الصاعقة اذ فشلت به تدابيرهم وضاعت به آمالهم وتعبهم واهتمامهم وذهب كل ذلك ادراج الرياح، فعظمت عليهم خيبتهم وفشلهم وساءهم وكدرهم فاصروا على الانتقام من آل سلمان وان يكافحوهم وحدهم معتمدين على انفسهم، فجمع الشيخ مبارك بن عبدالله آل خليفة بقية اخوته وبينهم وقرر معهم جمع اصهارهم بنى هاجر ومن حالفهم ممن يريد الطمع وغزو البحرين وفعلا جمعوا لهم عدة من السفن، وقاموا يملؤنها بذخائرهم ومؤنتهم فلما بلغ الشيخ محمداً ذلك اطلع اخاه الشيخ علي فقرر هذا غزوهم ومحاصرتهم قبل الخروج الى البحرين فجمع رجاله ومن يعتمد عليه واركبهم سفنهم المشهورة في الغزوات البحرية وسيرها الى القطيف برئاسة ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل خليفة فسار هذا على المقدمة وتبعه الشيخ علي بعد ذلك في باقى القوة فلما وصل عبدالرحمن القطيف علم ان آل عبدالله جمعوا سفنهم في «راس تنورة» وهو موضع شمالى القطيف، فسار اليهم والتقى بهم في الطريق قرب الراس المذكور وقد ابحروا بعدتهم وعديدهم فالتقي الجمعان وتناشب الفريقان وبعد قتال عنيف اسفرت المعركة عن انخذال آل عبدالله وانكسارهم شر كسره وغرق اكثر رجالهم وسفنهم فآبو بالخسائر الجسيمة، وكان من نتيجة اصرارهم على البغي والعدوان ان قتل في هذه الواقعة الشيخ مبارك واخاه الشيخ راشد وبطل الرواية بشر بن رحمة ورئيس قبيلة بنى هاجر المدعو «مريط» وعاد الباقون ادراجهم يتعثرون باذيال الخيبة والفشل وتجلببوا جلابيب الحزن والاسى وتلك عاقبة البغي والعدوان وان الله لا يصلح عمل المفسدين وكان ذلك سنة ١٢٦٧هـ وتعرف هذه الواقعة بوقعة «تنورة» نسبة للموضع الذى وقعت فيه. وبعدها زاد بآل عبدالله القهر والكمد وشق عليهم موت اخوانهم قتلا على البحرين دون ان يبلغوا وطراً منها فاهتموا لتجديد حملة اخرى عليها وسيأتي بيانها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس والثلاثون

«وقعة الدولاب»

اهتم آل عبدالله بتجديد حملة على البحرين كما قدمنا وهم محمد بن عبدالله واخواه حسن واحمد وبقية اولادهم واصهارهم من بنى هاجر وجهزوا جيشاً للاستيلاء على البحرين ولكنهم لم يطمعوا بالنصر اذا هاجموها جهراً وفيها الشيخ محمد بن خليفة المشهور بحزمه وعظم شوكته، فقرروا دخولها على حين غفلة من اهلها، فلما جاء فصل الصيف وخرج اهل البحرين للغوص على اللؤلؤ رأوا الفرصة مناسبة فجمعوا سفن قطر وشحنوها بالرجال من بنى هاجر ومن حالفهم وسيروها الى البحرين في سنة ١٢٧٠هـ، ولما انقطعت سفن اهل قطر عن البحرين احس الشيخ على بن خليفة بالمكيدة، وكان حينئذ في المنامة واخوه الشيخ محمد في المحرق، فارسل اليه يخبره بانقطاع سفن اهل قطر وانه يخشى ان يكون ذلك للهجوم على البحرين وجعل بينه وبين اخيه الشيخ محمد اشاره اطلاق مدفعين علامة على هجوم الاعداء ولزوم الخروج لقتالهم، فلما كان اليوم الثاني من المخابرة والاتفاق على الاشارة وصلت حملة آل عبدالله الى البحرين فبلغ الشيخ على خبر وصول العدو الى ملكهم، فدعى كل رجاله ومن عنده لحمل السلاح والاستعداد لطرد الهاجين عن البلاد واطلق مدفعين اعلاماً لاخيه حسبما اتفقا عليه، و لحسن الحظ ان البحر كان ذلك الوقت في غاية الجزر واول الصباح حيث الغزاله مزمعة على ارسال أشعتها اللجينية على اشرعة سفن العدو لتنم عليها، فركب الشيخ علي وتبعه رجاله لملتقى اعدائهم الذين حين وصولهم تركوا سفنهم دون «القصير» لسبب الجزر ونزلوا منها مشياً على الاقدام شاكين في السلاح فلاذ الشيخ على بمن معه بدولاب «منى» وهو البستان المعروف بالدولاب الكبيرة قريب «السنابس» واستتر كل رجل منهم بجذع نخلة جعلوها لهم متاريس واخذوا يطلقون النار على الهاجين بشدة عظيمة واحكام وتسديد فتساقط الهاجون الـذين انتشروا في بطح السيف كتساقط اوراق الشجر في فصل الخريف(١١٠)، وعمل اطلاق النار بين الطرفين بشدة حتى تضاحى النهار وحينئذ قدم الشيخ محمد بمن معه من المحرق فانضم اليهم الشيخ علي ورجاله وجددوا الحملة على العدو ففروا مدبرين منهزمين الى سفنهم واهل البحرين في اثرهم حتى قتل من قتل وغرق من غرق وركب السفن من نجي، فكان آل عبدالله في جملة الناجين فابحروا بمن نجي عائدين الى الدمام يحرقون الأرم ساخطين لاعينين للزمان الذى لم يشأ ان يرافقهم في موقعة احدة، وبعد هذه الوقعة راى الشيخ على بن خليفة ان يعمل على كسر شوكة آل عبدالله باضعافهم: ثم ان الشيخ محمد بن خليفة اثنى على شجاعة اخيه وشدة بأسه وحسن فراسته ورأيه وكان في جيش الشيخ على الشيخ سالم بن درويش العجمي رئيس قبيلة المنامة واحد شجعان العرب المشهورين. وكان ذلك في سنة ١٢٧٠هـ وتعرف بوقعة الدولاب نسبة للبستان الذى وقعت بقربه. وسياتى بيان ماهم به الشيخ علي من كسر شوكة آل عبدالله فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل السادس والثلاثون

حصار الدمام

بعد وقعة الدولاب السالفة الذكرى رأى الشيخ على بن خليفة كسر شوكة آل عبدالله

١١٠ ـ قدهش الهاجون ربما لهذه المباغته لما رأوا كثرة الجيش وعظم استعداده بينما كانوا يظنون ان البلد خالية من الرجال واهلها غافلون.

باضعافهم فسار اليهم في سنة ١٢٧١هـ وحصرهم في الدمام وضيق عليهم الحصار الشديد، وما كان قصده من ذلك الا كسر شوكتهم واضعاف قوتهم بتعطيل مصالحهم والا لاعد لهم العدة الكافية لقهرهم وغلبتهم نهائيا. واجتهد ال عبدالله بتجهيز الرجال لحماية البلد فاحاطوها من جهة البحر بالمقاتلة وابطالهم المعدودين، ولبث الشيخ علي محاصراً لهم نحو احدى عشر شهراً وفي احد الايام ابصر بنظارته ابل آل عبدالله يخرج بها رعاتها ليوردوها من ماء جنوبي البلد، فطلب من اخيه جيشا من الفرسان فلما وصلوا اليه تحت قيادة الشيخ صقر بن محمد بن على بن محمد آل خليفة امرهم بان يذهبوا بخيلهم في السفن الى جنوب البلدة ويكمنوا هناك الى ورود الابل فيغيروا عليها ويساقوها الى البحرين فمضوا الى المكان المذكور وكمنوا فيه حتى اذا جاءت الابل انقضوا عليها واقتطعوا منها اربعين ناقة عمانية ورعاتها يستصرخون آل عبدالله، فخرجوا في طلبها وكان الشيخ على يراقبهم فتقدم بسفنه الى البلد ورماها مظهراً عزمه على دخولها وبلغ الخبر لآل عبدالله فرجعوا مسرعين بجيشهم الى مقابلته، فتقاتل الفريقان قتالاً خفيفاً الى ان ابعدت السفن بالابل متوجهة الى البحرين فكف الشيخ علي عن القتال بعد ان تم له ما اراد من كسب المغنم ففك الحصار ورجع الى البحرين وذلك سنة ١٢٧١هـ وبقى آل عبدالله بعدها مدة لا يغزون ولا يغزون ماعدى بعض مظاهرات بحرية يجرونها في فترات من الوقت لاجل النهب والسلب وقطع السابلة على التجار في عرض البحر الى ان اجلتهم بريطانيا العظمى من الدمام سنة ١٢٧٧هـ وسلطت عليه كرات مدافع بوارجها فدمرته وجعلته اثراً بعد عين وسياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل السابع والثلاثون

بدأ تدخل الانكليز وضرب اسطولهم للدمام وتخريبه بعد طرد آل عبدالله منه

كانت الدولة الانكليزية قد اخذت على عاتقها حماية الخليج الفارسي وتطهيره من كل من شانه ان يحول دون تقدم التجارة البريطانية فيه وانتشارها في ضفتيه، وبما ان هذه الحروب والفتن والمظاهرات البحرية الجارية بين حكومة البحرين وجيرانها وعلى الاخص آل عبدالله من شأنها ان تلقى الرعب في قلوب التجار الذين يرتادون البحار بتجارتهم، وتعرقل مساعى الدولة البريطانية فيما تريده من لزوم استتباب الامن لرواج التجارة في الخليج ولمصالح سياسية استعمارية توجب عليهم التدخل في كل امر يجرى في المواضع التى يراد استعمارها، وقد دعت الحال الى ارسال مندوب من قبلها في هذا الخصوص وفي سنة ١٢٧٧هـ بادر مأمور بريطانيا العظمى في الخليج على مخاطبة الشيخ محمد بن خليفة فى صدد ذلك، وقال له اننا لولا اعتبارنا لمقامك واحترامك وصداقتنا لك لكنا اسأناكم اساءة عظيمة نظراً لما تأتون في الخليج من الحروب والفتن التى هي كثيراً ما تعود على رعايانا بالخسران وعلى تجارتنا بالنقصان، فالواجب يقضى عليكم بان تضعوا حداً لهذه الحركات الحربية وتلزموا جانب الراحة والسكينة والاقمنا نحن بواجبنا كما تقضى علينا بذلك مهمتنا في هذا الخليج. فاستشار الشيخ محمد اخاه الشيخ على في جواب المامور الانكليزي، وكان الشيخ على لم يكن مستوحشاً من الانكليز قبل ذلك بل كان يعترف بصداقتهم ويثق باخلاصهم ويقبل هداياهم على عكس اخيه الشيخ محمد الذي لم يكن يود التقرب منهم

وغالباً لم يكن يقبل هداياهم. وكان ينشر علمين على قلعة أبى ماهر في المحرق احدهما ايرانى والآخر عثماني وقصد من ذلك مناورة الدول الطامعة في التدخل في بلاد البحرين: واجابه الشيخ علي بان يقترح على المامور الانكليزي بخراب الدمام واخراج آل عبدالله منه و ابعادهم عن جوار البحرين وبذلك يستتب الامن في الخليج، وابان له ان هذه هى الوسيلة الوحيدة لقطع دابر آل عبدالله وان هذه الفرصة هى خير الفرص فلا ينبغى تفريطها، ومازال به حتى اقنعه بذلك لما يعلمه من عظم اذيتهم من اهل الدمام، فاجاب المامور الانكليزي بقوله انك تعلم باننا في حركاتنا الحربية كلها مدافعين غير مهاجمين كما يقضى علينا بذلك الواجب الملكى دفاعاً عن حمانا وملكنا، وهؤلاء اهل الدمام كلما سنحت لهم فرصة هاجمونا وازعجونا وسلبونا راحتنا، واذا كنتم تريدون استتباب الامن والراحة في الخليج فعليكم بهم ونحن لاشأن لنا في ذلك، فقام المامور الانكليزي من البحرين ومضى لحال سبيله وبعده حضر في اربع بوارج حربية ووقف بها تجاه الدمام وانذر اهله باخلائه نهائياً. ثم بعد ذلك اخذ يمطره بوابل القنابل النارية حتى جعله اثراً بعد عين، وحضر عليهم العودة اليه والسكنى فيه فارتحل منه آل عبدالله مع من يلوذ بهم الى البر، ونزلوا على ماء يقال له «السبيل» وذلك سنة ١٢٧٧هـ وهذه اول الاعمال التى قامت بهاالدولة البريطانية لمصلحتها، فمن اجل البحرين واول خطوة خطتها في سبيل بسط نفوذها وحمايتها عليها. ولما آيس آل عبدالله من نوال البحرين ومنعوا من السكنى في الدمام وبقوا مشتتين ضاربين في الصحاري والقفار أذعنو للصلح مع ابناء عمهم امراء البحرين كما سياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثامن والثلاثون

صلح حاكم البحرين
الشيخ محمد بن خليفة مع آل عبدالله آل خليفة

وفي سنة ١٢٨٠هـ لما تيقن آل عبدالله عجزهم وضعفهم عن مقاومة الشيخ محمد بن خليفة ومحاربته، وفوق ذلك ما وصلت حالهم اليه بعد الطرد والتشريد والضرب في الصحارى والقفار عقيب اجلائهم من الدمام حسبما تقدم في الفصل السابق اذعنوا حينئذ للصلح ووسطوا حاكم نجد فيصل بن تركى في ذلك، فعرض المذكور على الشيخ محمد بن خليفة طلبهم الصلح والدخول في الطاعة والجماعة، فسر الشيخ محمد بذلك واجابهم فيما طلبوا وسمح لهم بالعودة الى البحرين، ولما جاؤها احسن استقبالهم وبش في وجوههم واكرمهم غاية الاكرام لتتناسى الضغائن والاحقاد ويحل محلها الألفة والوداد فاظهروا له المحبة والخضوع والاحترام وتباشر الناس بالسلم وحقن الدماء. وفي سنة ١٢٨١هـ توجه الشيخ محمد بن خليفة الى مكة المشرفة لاداء فريضة الحج ولما اكمل حجه ورجع بلغه الخبر بان اهل قطر قد اظهروا التمرد والعصيان على اميرهم وعبثوا بالامن وشقوا عصا الطاعة فاهتم لهذا الحادث وسياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل التاسع والثلاثون

عصيان اهل قطر ـ او ـ «وقعة الوكره»

لما رجع الشيخ محمد بن خليفة من الحج وبلغه تمرد اهل قطر على عامله الشيخ احمد بن

محمد آل خليفة كما اسلفنا ذلك. ارسل الى عامله المذكور بان يقبض على رئيس قبيلة النعيم تامر بن على النعيمي ويرسله اليه فلما قبض عليه وجيء به الى البحرين سنة ١٢٨١هـ كبله بالحديد والاغلال وزجه في السجن، وارسل يهددهم بقتله ان لم يذعنوا للطاعة ويخلدوا للسكينة فازدادهياجهم وتجمهروا بالوكرة وشددوا الحصار على أميرهم الخليفى فيها فلما علم الشيخ محمد بذلك أطلق سراح تامر بن على وأرسله لهم فهدأت احوالهم نوعاً ما ثم عادوا الى الشغب والتمرد سنة ١٢٨٢هـ بحجة المراعي والكلأ ومنع اميرهم احمد لهم عن ارتياد المراعى الخصبة فثاروا واستنجدوا بالشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر فامدهم بجيش من الرجال الاشداء وسار هو معهم للقبض على الشيخ محمد بن احمد وكان اذ ذاك بالوكرة وشددوا الحصار على أميرهم الخليفى فيها فلم علم الشيخ محمد بذلك اطلق سراح ثامر بن على فلجأ الى قلعتها فشددوا عليه الحصار فيها حتى قاربوا ان يأسروه وكان منفرداً ولم يكن لديه جنداً يقاتلهم به، وفي ذات ليلة اخرجه راشد بن مبارك بن خاطر آل بوعينين واعانه على الفرار فتوجه الى «الخوير» وهو موضع في الطرف الشمالى من بر قطر ومن هناك عرض لحاكمه خبر الوقعة وتسمى هذه الحادثة «وقعة الوكرة» نسبة للموضع الذى وقعت فيه، وقد غرق الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز بن على بن محمد آل خليفة في هذه الحادثة اثناء خروجه من الحصار ليلاً. وحين بلغ الشيخ محمد بن خليفة هذه الحوادث قرر الرواح اليهم لتأديبهم و التنكيل بهم وامر اخاه علياً بالاستعداد للسفر الى قطر لتأديب الثائرين وارجاعهم الى حظيرة الطاعة فصدع الشيخ على بالامر وسياتى بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الاربعون
خراب الدوحة الثاني

ولما خاب اهل قطر ولم يظفروا باميرهم الشيخ احمد بن محمد ارسل الشيخ قاسم بن ثانى الى الشيخ محمد بن خليفة كتابا اغلظ له فيه بالكلام وخيره بين ان يعزل عنهم عامله الشيخ احمد بن محمد ويطلق سراح علي بن ثامر النعيمي «وقد تقدم انه اطلقه ولكن في هذا الخبر يذكر بقاءه ابن نبهان في تاريخه والاول عن ناصر الخيرى» ويعطيهم شروطاً أخر طلبوها منه او يخلعوا طاعته ويدخلوا تحت حكم غيره يشير بذلك الى فيصل بن تركى امير نجد، فغضب الشيخ محمد بن خليفة من قسوة خطابهم ولم يجبهم الا بأن جرد عليهم جيشاً عظيماً تحت قيادة أخيه الشيخ على بن خليفة. ولما اتم المذكور تجهيزات الجيش وكل ما يلزمه من عدة وعدد وذخيرة ابحر في عمارته البحرية قاصداً ديار قطر لاخضاع المتمردين، ولما بلغ اهل قطر مسيره اليهم اخذوا يجمعون الجموع ويستعدون بحشد البداة المجاورين لهم حتى اصبحوا في قوة عظيمة هائلة جسيمة ولما علم الشيخ على بن خليفة باستعدادهم الهائل ارسل رسولاً الى الشيخ خليفة بن سعيد حاكم «بوظبي» يطلب منه المساعدة والمدد وكتب الى اخيه الشيخ محمد يخبره بواقعة الحال، فقدم الشيخ محمد بن خليفة بنفسه لقيادة جنوده وانجدهم صاحب «بوظبي» بعدة من الرجال والسفن الحربية في قوة كبيرة، وبعد ان تم اجتماعهم نزلوا في «بوعمران» وبعد ذلك سارت الجيوش رجاله وركبانا قاصدين مقر اجتماع المتمردين فالتقوا بهم في «البدع»، وحمى بين الطرفين وطيس القتال وتضاربوا بالسيوف الصقال و تطاعنوا بالرماح الطوال وتصافحوا بالخناجر

وتشابكوا بالايدي والخناصر، وبعد مدة وجيزة وقع في صفوف المتمردين الارتباك فطمع فيهم اعداؤهم والهبوا فيهم الضرب واكثروا القتل والسلب فتشتتوا واندحروا مدبرين مكسورين فلحقوهم قتلا واسرا حتى دخلت جيوش آل خليفة البلاد وانتهبوها وسبوا نساءها فلما تمت عليهم الكسرة وشملتهم الذلة، امر الشيخ محمد برد السبايا والاطفال واصلح ما فسد وعمر ما خرب من البلاد، واعاد ابن عمه الشيخ احمد بن محمد لمحل ولايته، وبعد ان اتم ترتيب امور البلاد عاد راجعاً مع اخيه الشيخ علي وجنوده الى البحرين رافعاً رايات النصر والظفر يصحب معه جل الاموال المكسوبة وذلك في سنة ١٢٨٣هـ وتعرف هذه الواقعة «بخراب الدوحة الثاني»، وبهذه الواسطة لانت شكيمة القطريين واخلدوا الى الراحة والسكون الاقبيلة النعيم فانها ابت البقاء على الضيم بعد الذي جرى عليها من الشتات والفناء وذاقت عاقبة العدوان فكرهت الاقامة في ربوع قطر التي اذاقتها الهوان وازمعت على الرحيل منها وسياتي بيان ذلك عنها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الحادي والاربعون
«وقعة الحمرور»
وقتل عامل آل خليفة على قطر الشيخ احمد بن محمد

ولما رأت قبيلة النعيم وبال امرها وذاقت عاقبة نكرها استوحشت الاقامة في منازلها حيث كانت منفردة وخشيت على نفسها ان يصيبها بطش الشيخ محمد بن خليفة فازمعت الرحيل والخروج من قطر، فمنعهم عن الخروج احمد اميرهم، فلم يمتنعوا واصروا على وجوب مغادرة قطر، فتهددهم بفنائهم ان هم اقدموا على ذلك فلم يأبهوا بتهديداته وفي ذات ليلة من ليالي سنة ١٢٨٣هـ قوضوا رحالهم وحملوا اثقالهم وساروا تاركين ديارهم غير آسفين عليها. فلم بلغ الشيخ احمد بن محمد رحيلهم تبعهم بجيش مؤلف من العجمان ورئيسهم منصور بن محمد الطويل والمناصير وعليها مانع ومحمد بن سالمين ومن لفيف بني هاجر وادركهم في اليوم الثاني في موقع يسمى (الحمرور) واراد ارجاعهم بالقوة، فامتنعوا عليه فقاتلهم فقابلوه بالمثل وحصلت بينهما معركة عظيمة قتل فيها الامير احمد بن محمد وخليفة بن عبدالرحمن بن عبداللطيف الاجيرب من آل خليفة مع عدة من الرجال فانكسر هؤلاء وعادوا الى قطر ونعوا الاميرين. واما النعيم فانهم بعد قتل الامير وانكسار اصحابه اخذوا ما تمكنوا عليه من الاسلاب والتحقوا بالبادية حيث لاتصل اليهم ايدي آل خليفة. وسميت هذه الحادثة «وقعة الحمرور» نسبة الى الموضع الذى وقعت فيه وذلك في سنة ١٢٨٣هـ.

الفصل الثاني والاربعون
تولية الشيخ محمد بن ثاني على قطر لآل خليفة
وتغلب ابنه الشيخ قاسم على الامير

وبعد وقعة «الحمرور» وقتل الامير احمد بن محمد رأى الشيخ محمد بن خليفة ان يولى على قطر الأمير محمد بن ثانى شيخ قبيلة المعاضيد وأوجه وجيه في قطر، ولكن الرجل كان على جانب من الضعف وقصر الرأى وفوق ذلك كان كفيف البصر فغلبه على امره ابنه الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى الذى اجتهد في جلب قلوب الرعية واستمالتهم اليه بما

يظهره لهم من التودد ويبذله لهم من المعروف وحسن المداراة فـاحبـه النـاس وفضلـوه على والده للاسباب المذكورة وبشجاعته وكرمه وكتبوا بذلك الى الشيخ محمد بن خليفة فعلم بها ولي من حسن النظر ان قاسما هذا اذا تولى لا يلبث ان ينزع الى العصيان، وخشى ان امتنع عن اجابتهم بتوليه ان يعودوا للتمرد ويرائسوا قاسماً عليهم فيحـوجـونـه الى الطلب فقـرر طلب قاسم الى البحرين لياخذ عليه العهد والميثاق بدوام الطاعة. وبعـد ان تـردد قـاسم خوفاً من الغدر به اجاب ان لم ير ما يوجب خوفه ولأنه كان حريصاً على ولاية قطـر التي تسمو نفسه اليها من مدة مديدة فقدم البحرين في ٢٣ من محرم سنة ١٢٨٤هـ ولما وصل قبض عليه الشيخ محمد بن خليفة والقاه في السجن وظن انه بذلك يقطع دابر الشقاق من قطر«١١١» وفي نقل اخر: ان اهل قطر بعد الكسرتين الليتن اصـابتـاهم راسلـوا فيصل بن تركي حاكم نجد يستنجدونه ويطلبون مساعـدتـه، فجرت بينهم مـذاكـرة طـويلـة وبلغ الشيخ محمد بن خليفة خبرهم، فشرع بتجهيز الجيـوش ولم يظهـر لاحـد قصـده من ذلك التجمع. ولكن علم الشيخ قاسم بن ثاني انه هو وقومه المقصودون بحشد الجيوش وخاف من عاقبة الامر، فتوجه الى البحرين يلتمس من حاكمها العفو والصفح عما جرى منه من الاغلاط في مخاطبة الشيخ محمد بن خليفة كما اسلفنـا في «وقعـة خـراب الـدوحـة» فحينما وصلها امر الشيخ محمد بن خليفة بسجنه«١١٢» كما تقدم وظن انه بذلك يقطع دابر الشقاق من قطر فانفتق عليه منه فتقا يقضي عليه الواجب بملاقاته ونفذ وسياتى بيان ذلك فيما يلي انشا الله تعالى.

الفصل الثالث والابعون
«وقعة دامسة»

لما بلغ اهل قطر اعتقال الشيخ قاسم بن محمـد بن ثـاني في البحـرين هـاجـوا ومـاجـوا واضطربوا اضطرابا عظيما فقرروا غزو البحرين وفك قـاسماً من حبسـه بـالقـوة والاقتـدار، وفعـلا حشـدوا جموعهم وكـان رئيسهم نـاصر بن جبر رئيس قبيلـة النعيم وعلى بن أبهام «جهام» فركبوا السفن واقلعوا قاصدين البحرين وهم يرتجزون بهذين البيتين النبط

حرم عليك الصلح منا مادام قاسم في الحـــديد
لابد ما تارد ســــفنا بالسيف مصقول الحديـد

: فلما بلغ الشيخ محمد بن خليفة خبر هيـاجهم وقـدومهم لغـزو البحـرين جمع رجـالـه المشهورين واركبهم السفن واقلع بهم في ٧ صفر سنة ١٢٨٤هـ ولم يبعد عن البحرين حتى وصلته عيونه وجواسيسه بخبر القادمين فـارسي في «دامسه» وهو موضع في رأس البحـرين الشمالي الشرقي ينتظرهم هناك ولما جن الليل اصدر اوامره لجيشه ان لا يسرج احد سراجاً ولا يشعل ناراً ولا يصدر صوتاً واكد عليهم التزام السكون التام، وقبل طلوع الفجـر وصل القطريون فـارسـوا مقـابل سفن آل خليفـة ينتظـرون الصبـاح وهم لا يعلمـون شيئـاً عن استعداد آل خليفة وكانت الليلة كثيفة الجلباب دكناء الاهاب وهم في موضعهم لا يعلمون انهم وقعوا بين براثن الاسد فما طلع الفجر الاودوى المدافع قـد اصعقهم واخـذتهم النيران من كل جانب ومكان فعميت ابصارهم وخاب رجاؤهم وعلموا ان ما ظنوه ارضـاً يـا بسـه ليس الا ارضا خشبية متحركة مكونة من اسطول عدوهم تحمل بين جـوانبهـا عـدة الهلاك والعدم فاخذتهم الحيرة والاضطـراب وسـدت في وجـوههم الاسبـاب وآل خليفـة مـوالـون اطـلاق النيران وسفنهم الكبيرة تحطم كل مـا اعترض سبيلهـا من السفن القطـريـة التى

١١١ ـ تامر خيري.
١١٢ ـ البحرين لابن نبهان.

معظمها كان من نوع البقاقير الحقيرة الصغيرة التى لا تسع الواحدة منهم اكثر من عشرين رجلاً فتحقق لديهم انهم من الهالكين فعادوا على أعقابهم ناكصين فعملت في اقفيتهم كرات النيرات تتساقط عليهم بشرر كالقصر وتبعهم الشيخ على بن خليفة ينتزع منهم الارواح ويوزع منهم الاشباح قد أسكرته خمرة الانتصار فلم يع الى نفسه الا وهو على شفير جرف هاو في قلة من الجند والانصار وسياتى فيما يلي تتمة هذه الاخبار انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع والاربعون
«وقعة الوكرة» وكسرة أهل البحرين

خلفنا الشيخ علي بن خليفة يتبع القطريين المنهزمين قد اسكرته خمرة الانتصار فبقي تابعالهم ولم يع الى نفسه الا وهو امام الوكرة بقطر فانزل بها جنده واقام يقاتلهم قتالاً عنيفاً فلما رأوه مصراً على هلاكهم اجتمعوا عليه من كل جهة ومكان والتأموا للدفاع عن كيانهم وقاتلوا قتال المستميتين فانقلب من كان بصحبة الشيخ على من آل بوعينين هاربين ونكسوا الاعلام فانكسر اهل البحرين شر كسره وارتدوا الى البحرين يطلبون الالتجاء الى سفنهم فغرق منهم جمع كثير واستأسر القطريون عدة من افراد آل خليفة فيهم الشيخ ابراهيم بن الشيخ على والشيخ خليفة بن الشيخ محمد والشيخ سلمان بن حمود وغيرهم من الرجال اما الشيخ عيسى بن على فقد كان من جملة الذين انتشلوهم من الغرق اذ كان في اجله تاخير لارادة سابقة وامر لابد بالغه. وبعد الذى جرى علم اكابر قطر وذوي الراى فيها ان الشيخ محمد بن خليفة المعروف بالصرامة في العقوبة لابد ان ينتقم منهم على نتيجة اعمالهم ويعاقبهم باشد العقابات اذا لم يبادروا باصلاح ما فسد فاجتمع اكابرهم وسراتهم وانقسموا قسمين قسم دخل على الشيخ ابراهيم بن على اسيرهم فوقعوا عليه وطلبوا منه الوساطة في الصلح وان يشفع لهم لدى والده في الشيخ قاسم لفكه من حبسه والعفو عن اساءة جهالهم، والقسم الاخر ذهب الى «الطويلة» «سفينة» لمقابلة الشيخ على ابن خليفة فوقعوا عليه وعلى ابنه عيسى بن على وطلبوا منهما العفو عن اساءة جهالهم والمن عليهم بفك اسيرهم الشيخ قاسم فقبل الشيخ علي بفك الشيخ قاسم وتعهد به وابى الا معاقبة الذين تسببوا في كسر شوكة رجاله اشد عقاب فخافوا من هذا التهديد والوعيد ورجوا الشيخ عيسى بن على بان يحمل والده على العفو عنهم والصفح، فتوسط لهم بما فطر عليه من سلامة النية ونقاء القلب والعفو عن المسيء ورجى والده ان يشملهم بعفوه فأجابه وعفى عنهم بعد ان اشترط عليهم جلاء جميع آل بوعينين عن البحرين فرضوا بذلك وعادوا فاطلقوا الشيخ ابراهيم ومن معه من الرجال فاخذهم الشيخ على وعاد راجعاً الى البحرين واخبر اخاه الشيخ محمد بن خليفة بما كان فاشتد به الغيظ والغضب ولكنه لم يسعه الا اتمام ما بدأ به اخوه فاطلقوا قاسماً من حبسه واخذوا عليه العهود والمواثيق بدوام الطاعة ولزوم الجماعة وخلعوا عليه وسفروه الى وطنه ومحل امارته وكان ذلك سنة ١٢٨٤هـ. وبسبب هاتين الواقعتين الاخرتين «وقعة دامسه ووقعة الوكرة» تداخلت الدولة البريطانية وبدأت المشاكل السياسية تتلون تلون الحرباء وسياتى ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس والاربعون
بدأ المشاكل السياسية
وخلع الشيخ محمد بن خليفة عن امارة البحرين

كان الشيخ محمد بن خليفة يسيء الظن بالانكليز الذين كانوا يدأبون في بسط نفوذهم على ضفاف الخليج الفارسي توصلا الى استعماره ويكيدون المكائد السياسية الكثيرة وخلق الاسباب من لاسبب للتدخل في شؤون امارات هذه النواحي فكان دائماً منهم على خوف ووجل وحذر، وما برحت تزداد مخاوفه ويشتد امتعاضه منهم حينما يراهم يزورون البحرين ويتزلفون الى اخيه الشيخ على بن خليفة ويقدمون له الهدايا والتحف وكان يتقبلها منهم ويكرم مثواهم لسلامة قلبه اما هو «الشيخ محمد» فكان عكس ذلك على خط مستقيم.

ولا يخفى ان دولة ايران الشاهانية لازالت ولن تزال تعد جزيرة البحرين جزءاً من مملكتها لايتجزء رغما عن استقلال امراء آل خليفة بامور إدارتها والتصرف بشؤونها الداخلية والخارجية وكان هؤلاء الامراء يسعون على الدوام في توثيق عرى روابط الود والاخلاص لتلك الدولة خوفاً من تدخل دول اوروبا المستعمرة، يدل على ذلك مكاتباتهم لدولة ايران المثبت بعضها بديوان السيد عبدالجليل بن السيد ياسين الطباطبائى كاتب آل خليفة وشاعرهم الخاص خصوصاً لما آلت امارة البحرين الى عهدة الشيخ محمد بن خليفة اذ هو الذي سعى حين تولى على امارة البلاد الى تقوية تلك الصلات والروابط لاسيا حين راى كثرة احتكاك الدولة البريطانية بالامراء السائدين على امارات الخليج الفارسي حتى انه قبل الحماية الايرانية ورفع علمها ذا الاسد والشمس مع علمه الخليفي على ابراج قلعته «الماهرية» فكان هذا العمل داعياً لاستياء الدولة البريطانية من تلك السياسة التى من شأنها ان تعرقل مساعيها ومصالحها في الخليج، على ان الشيخ محمد لم يكن يثق بقدرة الدولة الايرانية على حمايته من حبائل انجلترا وعظيم بطشها وكان ينظر الى الاضطرابات الجارية في ايران بعين الحذر والخوف ويعلم ان هذه الاضطرابات تنذر بمستقبل وخيم، فاتفق في تلك الايام ان قدم الى بغداد مدحت باشا التركي المصلح الكبير المشهور والياً من قبل دولته على العراق وملحقاتها ولم يبق احد لم يعلم ما لهذا الرجل الكبير من الايادي العظيمة على دولته ومحبته لاصلاحها وصلاحها ودأبه على اعلاء شأنها وانهاضها من عثراتها وحفظ كيانها من التدهور والسقوط، فلما وصل بغداد ورأى اختلال نظام الاحوال في ذلك القطر العظيم بسبب تهاون الموظفين السابقين شق عليه ذلك ثم القى نظرة خاصة على البلاد العربية ورأى ان معظم امرائها قد دانوا للحماية البريطانية والبعض الآخر على وشك، وعلم ان مثل هذا لا يعود على دولته الا بالخسران والاضرار فعزم على ايقاف تلك المسالة عند حدها وصد ذلك التيار السياسي الجارف الذى يهدد العالم العربي الاسلامي بالخراب وينذره بالبوار لاسيا امراء آل سعود في نجد على اشد الخلاف والحروب قاعدة على ساق وقدم والفتن مستمرة بين سعود وعبدالله الفيصل فخشي ان دامت الامور على هذا المنوال لابد من نشوب مخالب الاسد البريطاني في تلك البلاد التى يهم الدولة العثمانية بقاؤها تحت سيطرتها وراى من المصلحة ان يؤيد عبدالله الفيصل ويأخذ عليه العهود بالاخلاص التام للسلطنة العثمانية وإن يبذل جميع الوسائل لمنع تداخل الانكليز في شؤون جزيرة البحرين، ولذلك ركب مدحت باشا المركب «بابل» واصحب معه مركبين آخرين هما «اسكندريه» و «لبنان» واعلن عن عزمه لزيارة البحرين ونجد، ولما

علمت الدولة البريطانية بذلك لم يهن عليها زيارة مدحت للبحرين وتطيرت من ذلك العزم، ولما كان هذا ليس من الرجال الذين تخلب البابهم رؤية الذهب البراق اوعزت الى الكولونل «بيلي» قومندان فرقة الخليج البحرية باتباعه اينما حل، فصدع هذا بالامر وتبع مدحت باشا في اربع بوارج حربية، ولما رأى مدحت ان هذا يتبعه عدل عن الرواح الى البحرين، وارسل قومندان فرقة البصره البحرية عارف بك الى البحرين لبناء ما يلزم من مستودعات الفحم للسفن العثمانية ومعاينة منابع المياه وغير ذلك من الضروريات، فتوجه عارف بك الى البحرين على «اسكندرية» و «لبنان» ولما وصلها نزل الى البر وقابل حضرة الشيخ محمد بن خليفة فاكرم وفادته وسر به سرورا عظيما ولبي كل طلباته وتبرع بالاراضي التى احبها وكتب له حجة بها وسلمها اليه يؤيد هذا الخبر ما اورده «يعقوب صروف» من ان مدحت باشا لما عين والياً على بغداد سنة ١٨٦٩ قام يسعى في مد رواق السلطة العثمانية على خليج فارس حتى وقف باسطوله الصغير امام جزيرة البحرين فضمها الى الاملاك العثمانية. ولكن انكلترا تصدت له فحلت ما ابرم والغت ذلك الضم(١١٣))
فكانت معاملة الشيخ محمد بن خليفة لمندوب تركيا عارف بك مما اساء انكلترا واحفظها عليه فقامت لمحاسبته على اساءته هذه واتخذت لها حجة اخرى لادانته وذلك انه قد كان وقع على اتفاق بينه وبين معتمد انكلترا في «بو شهر» على ان يتنازل عن حقه في تجهيز الجيوش البحرية و ان لا يتخذ سفناً حربية وفي مقابل ذلك يتعهد المعتمد عن دولته برد كل غارة بحرية عن البحرين وهذه المعاهدة او الحماية وليدة المخاطبات السابقة لضرب الدمام. وقد صادف وصول جيش القطريين ليلا فخشى الشيخ محمد بن خليفة من استيلائهم على البحرين اذا لبث يخابر المعتمد وهو في «بوشهر» وينتظر النجدة منه فاوقع بهم كما تقدم فاتخذت انجلترا ذلك ذريعة لا دانته ووسيلة للتداخل فى شؤون البحرين الداخلية فقصدها المعتمد لمحاكمة حاكمها الشيخ محمد بن خليفة على مخالفته للاتفاق الآنف الذكر وبلغ الشيخ محمد خبر توجه المعتمد اليه فراى اولوية الميل الى اللين والمسالمة وسار الى قطر مفوضا اخاه الشيخ علي بمصالحة المعتمد الانكليزى على ما يشاؤون من المال وان كانوا غير محقين فى ادعائهم لانه كان مضطرا الى قتال اهل قطر ولو تريث مدة قصيرة لفقد ملكه وخاطر بنفسه واهله. ولكن الحقيقة ان المسألة ليست مسألة مال ولا كانت لهذه النظرية التى يظنها وليس ذلك الا اثرا لما احدثته زيارة عارف بك مندوب تركيا المتقدم ذكره من الأثرالسيء. ولما وصل المعتمد وعلم بخروج الشيخ محمد من البحرين عد خروجه اعترافا بالنكث وفرارا من الجزاء وأمر بارجته الحربية فاطلقت مدافعها على قلعة «أبي ماهر» فقوضتها وحطمت العلمين العثمانى والايرانى اللذين هما بيت القصيد ثم احرق ثلاث سفن شراعية حربية للحاكم المذكور وطلب من الشيخ علي ان يتولى البحرين بدلا من اخيه الذى سقطت امارته بمخالفتة للاتفاق المذكور، وبعد الحاح شديد قبل الشيخ علي بن خليفة بان يتولى الحكم فادى ذلك الخلاف الشديد بين الشيخ علي واخيه الحاكم السابق الشيخ محمد فاضطر هذا سنة ١٢٨٥ لمبارحة البحرين والتوجة الى الكويت فتملك الشيخ على على البحرين نهائيا.

١١٣ ـ الحرب العظمى.

الفصل السادس والاربعون

امارة الشيخ علي بن خليفة على البحرين
وهو الحاكم الخامس من آل خليفة

لما تولى الشيخ علي بن خليفة بن سلمان الحكم على البحرين بعد عزل أخيه الشيخ محمد عنها وذلك سنة ١٢٨٥ كما تقدم وبارحها الشيخ محمد الى الكويت، فكر آل صباح حكام الكويت بعاقبة النزاع بين الشقيقين وسعوا فى الصلح بينهما، فارسل حاكمها الشيخ عبدالله بن صباح كتابا صحبة اخيه الشيخ محمد الى الشيخ علي بن خليفة يحذره فيه من الانشقاق وتفرق الكلمة ويلتمس منه ارجاع الامر الى ما كان عليه وبعد مذاكرة طويلة قبل الشيخ علي بارجاع الحكم لاخيه الحاكم السابق فرجع الشيخ محمد الصباح واخبر اخاه بما تم من الصلح فسر بذلك وعرض على الشيخ محمد بن خليفة التوجه الى دار ملكه وصحبه هو واخوه الشيخ محمد الصباح الى البحرين، ولما قاربوها تقدمهم الشيخ عبدالله الصباح بسفينته ليخبر الشيخ علي بقدومهم لتنظيم حفلة الاستقبال فوجد الشيخ عليا قد رجع عن فكره الاول واصر على ان يستمر حاكما على البحرين حيث لم توافق سياسة بريطانيا على عودة اخيه كما يظهر. وكان ذلك بسعى الاجانب الذين يودون الانشقاق بين الشقيقين ليتسع الخرق على الواقع ويتسنى لهم الصيد فى الماء العكر كما يقال:

«فرق تسد» شعر :

لا يحكم الصياد اشباكه الا اذا عكر بطن الغدير

فرجع الشيخ عبدالله الصباح الى الشيخ محمد بن خليفة واخبره بنقض الصلح ليقضى الله امرا كان مفعولا فشكرهما الشيخ محمد علي حسن صنيعهما واقسم عليهما بالرجوع الى بلادهم ونزل هو فى دارين لاخذ الاهبة وتجهيز الجيوش لاسترجاع حكمه على البحرين وسيأتى نتيجة هذه الحركات فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل السابع والاربعون

«وقعة الضلع» وعودة الشيخ محمد بن خليفة
الى الحكم على البحرين بعد قتل اخيه علي بن خليفة

تركنا الشيخ محمد بن خليفة فى دارين لاخذ الاهبة وتجهيز الجيوش كما تقدم فتم له تجهيز جيش فى دارين من بنى هاجر، وكان قد عاهده الشيخ ناصر بن مبارك آل عبدالله على ان يعينه بنفسه وبامواله وسار معه فى اتباعه: ولما نزلوا فى البر خرج لهم الشيخ علي بن خليفة بجيش عظيم ومعه بقية آل عبدالله بخيلهم ورجلهم وعليهم الشيخ محمد بن عبدالله الا ان الشيخ عليا ارتاب منهم لما بلغه اتفاق اخيهم مع الشيخ محمد بن خليفة فطلب منهم تجديد العهد فعاهدوه على الاخلاص له ثم ان الشيخ علي ارسل الى آل عبدالله ابنه الشيخ ابراهيم بمهاجمة جيش اخيه ـ فاظهروا له الطاعة والامتثال، ولما عاد راجعاً الى معسكر ابيه شد عليه الشيخ محمد بن مبارك آل عبدالله ورجل من بنى هاجر

فطعنه برمح ارداه قتيلا عن ظهر فرسه وتظاهر آل عبدالله بعداوة الشيخ علي ومحاربته ثم التقت جيوش الشيخ محمد والشيخ علي وآل عبدالله وتقاتلوا قتالا شديدا فالتحمت الصفوف واختلطت الرماح بالسيوف ولعبت الاسنة بالتروس ووطئت الخيل بسنابكها الرؤوس فاسفرت الواقعة عن الشيخ علي بن خليفة قتيلا وجيشه مفلولا وعاد حكم الشيخ محمد بن خليفة اليه. وكان قد عوقب آل عبدالله على نكثهم بقتل ابن اخيهم الوحيد محمد المعروف بالحباب خطأ قبيل المعركة ولا يعرف قاتله وكان ممن قتل في هذه المعركة من المشهورين الشيخ خليفة بن علي بن خليفة بن مقرن آل خليفة وسلطان بن عبدالرزاق بن ابراهيم آل خليفة وراشد بن عبدالرحمن بن راشد الفاضل: وكانت هذه الواقعة في ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٦هـ وارخوها بقولهم «وى لاوال خربت» ولما استتب الحكم للشيخ محمد بن خليفة جعل يتربص به آل عبدالله ليغلبوه على البحرين وسياتي بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثامن والاربعون

امارة الشيخ محمد بن خليفة الثانية على البحرين

بعد ان قتل الشيخ على بن خليفة في واقعة الضلع المتقدمة وتشتت شمل جيشه تم الامر والحكم على البحرين لاخيه الشيخ محمد بن خليفة وحينئذ جعل آل عبدالله يتربصون له ليغلبوه على الحكم، اذ كان من اقصى آمالهم وامانيهم ان يبلغ الحال بآل سلمان الى ما بلغ اليه من الانشقاق والخلاف ليستحر القتل بينهم فيقل عددهم ويذهب ريحهم وتنموا بينهم العداوة والضغاين لئلا تتفق كلمتهم ولا يلتم شملهم ليتسنى لهم التغلب عليهم، وحينما عاد الشيخ محمد و قتل اخوه رأوا الفرصة مناسبة فادعوا انهم هم السبب في انتصار الشيخ محمد بن خليفة وببأسهم عاد له ملكه، ثم تجاوزوا ذلك الى الادعاء بانهم احق بالملك منه ومازالوا ينتظرون الغدر به ويتحينون الى ان امكنهم ذات يوم القبض على الشيخ محمد بن خليفة فسجنوه في قلعة «ابي ماهر» وتولى اخوهم الكبير الشيخ محمد بن عبدالله حكم البلد وتناسوا العهود والمواثيق التى ابرموها مع الشيخ محمد بن خليفة والى ذلك أشار الشيخ ابراهيم بن محمد في مرثيته لابيه حيث يقول:

وصار الامر بعد كما لقـــوم له حبلوا ولكن لم يطاعوا
وهم نكثوا العهود وهم أضاعوا حقوق الله فاشتكوا وضاعوا

وبعد ذلك توجه الشيخ عيسى بن علي الى قطر ونزل وقبيلة النعيم وتبعه اليها سائر اخوته وبنى عمه الشيخ محمد بن خليفة ما عدى اخيه الشيخ احمد بن على فانه توجه الى نجد فاقام ضيفا لدى حاكمها الامير عبدالله بن فيصل ولما رجع من هناك اتاه البشير بارتقاء اخيه الى عرش مملكة البحرين. وسوى الشيخ جابر بن محمد الذى كان قد توجه الى نجد بامر من والده لما كان مقيما في الكويت ثم عاد من نجد ولما وصل الاحساء بلغه خبر رجوع والده ثم القبض عليه فعاد الى قطر ونزل على ابن الشيخ عيسى بن علي وبقى الجميع هناك ولقوا من الضيق والاضطهاد والتهديد انواعاً واشكالاً وكلها بايعازات من أمير البحرين محمد بن عبدالله وسياتى ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل التاسع والاربعون

امارة الشيخ محمد بن عبدالله
وهو الحاكم السادس من آل خليفة على البحرين

لما القى القبض آل عبدالله على الشيخ محمد بن خليفة وسجنوه كما تقدم امروا على البحرين منهم كبيرهم الشيخ محمد بن عبدالله ال خليفة ولما استتب له الامر والنهي بقى لا يهدأ له بال ولا يقر على قرار وهو يعلم ان بنى عمه الشيخ عيسى بن علي ومن يليه في قطر فربما حدثتهم انفسهم بالانقضاض عليه وسلب ملك البلاد منه، فرأى من الحزم ان يكيد لهم كيدا لا يلتئم بعده لهم امر، فارسل الى رؤساء قبائل قطر يحثهم على محاربة الشيخ عيسى بن علي ومن معه اجمع من اخوانه وبنى عمه، فبقى آل سلمان في اضيق حال تارة يهددهم الشيخ قاسم بن ثاني واخرى يتوعدهم جبر بن مهنا المسلمى يفعلان ذلك تقرباً الى الشيخ محمد بن عبدالله ورغبة في الحصول على رضاه والتزلف اليه فلبث آل سلمان على هذا الحال يعللون انفسهم بالفرج وبالرضا يتغلبون على الاهوال فكأنهم المعنيون بقول من قال

صبراً على اهوالها ولا ضجر   فربما فاز الفتى اذا صبر

لكل شيء مدة وتنقضى   ما غلب الايام الا من رضي

وعلى كل حال فالغدر مصرعه وخيم. وما ظالم الا سيبلي بظالم. وتملك الشيخ محمد ال عبدالله على البحرين كان غدراً والجزاء لا بد ان يكون من جنس العمل. ومن غرائب النبؤة و صدق الفراسة ما تنبأ لهم به الشيخ محمد بن خليفة لما قبضوا عليه غدراً وارادوا قتله «لاتعجلوا في قتلي فلن تطل مدة حكمكم اكثر من ثلاثة اشهر» فكان الامر كما تنبأ به وسياتي بيان ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الخمسون

عزل الشيخين وتسفيرهما عن البحرين

قبل انقضاء ثلاثة اشهر على الحوادث السالفة الذكر قدم السر «بيلي» معتمد بريطانيا العظمي من «بوشهر» على بارجة حربية الى البحرين وحين وصوله اليها سأل الشيخ محمد بن عبدالله عن الشيخ محمد بن خليفة فاخبره بان قتل في المعركة. ولما اكثر المعتمد البريطاني البحث الدقيق والسؤال والفحص عن الاحوال تبين له انه محبوس في قلعة «ابى ماهر» فاحاطها بعسكر بارجته واخرج الشيخ محمد بن خليفة من السجن واركبه معه في البارجة ثم امر باخراج جيش آل عبدالله وهم بنو هاجر من البحرين واطلق عدة مدافع من البارجة على دار الحاكم في المنامة فخرجوا منها هاربين ومعهم اميرهم الشيخ ناصر بن مبارك ال عبدالله ودام اطلاق المدافع عليهم حتى ابعدوا عنها. ثم ان المعتمد استشار اهل البحرين فيمن يختارون حاكماً عليهم فاجمع الكل على طلب الشيخ عيسى بن علي فكتب اليه المعتمد يستقدمه من قطر. ولما وصل الكتاب اليه وفشىء الخبر في قطر جعل اهلها يعرضون عليه سفنهم ومساعدتهم بعد ان كانوا يهددونه باخراجه من بلدهم فشكرهم وابان لهم عدم احتياجه الى شيء من ذلك وركب هو وعشيرته السفن على

بركات الله وتوجه الى البحرين بمن معه من اخوانه وعشيرته وقبيلة النعيم واتباعهم ولما وصل نزل المحرق. ولما التقى بالمعتمد البريطاني عرض عليه هذا رغبة اهل البحرين في توليه عليهم بعد ان عرض عليه الشروط اللازمة لمصلحة دولته بريطانيا العظمى واتفق معه عليها، حينئذ قلد امارة البحرين بالتهليل والهتاف من الجمهور وكان عمر سموه حينئذ احدى وعشرون سنة. وكان حين اقبل الشيخ عيسى بن على بموكبه ضاقت الدنيا بما رحبت على الشيخ محمد بن عبدالله فلجأ الى البارجة الانكليزية فرفض المعتمد اولاً قبوله ولكنه افهمه بانه يقتل اذا بقي في البحرين من حيث لا يشعر فقبله وقبل معه حفيد اخيه الشيخ علي بن ناصر بن مبارك ال عبدالله وسارت البارجة بالمذكور وبالشيخ محمد بن خليفة من البحرين الى الهند ومنها الى محل اعتقالهم فى «فلفلان» وارخ هذه الحادثة اهل مسقط بقولهم «على غيب ومحمد سيب» وذلك سنة ١٢٨٦ وقد اشار الشيخ ابراهيم بن محمد بن خليفة فى قصيدته العينية التى رثى بها والده الى سفره بقوله:

وسط بك القضاء وكل امر ... له احد وغايته انقطـــاع

واسلمك الزمان الى خطوب ... تذل لبعض اصغرها السباع

فقابلت الخطوب بصبر حر له قلب لدى الجلى شجاع: فاعتقلوا فى فلفلان ومات هناك الشيخ محمد بن عبدالله وبعد وفاته بنحو سنة نقلوا الباقين الى «بمبي» من الهند وذلك سنة ١٢٩٤هـ وخيروهم فى الموضع الذى يرغبون الاقامة فيه فاختاروا «عدنا» فنقلوا اليها وفى سنة ١٢٩٧هـ سمحوا للشيخ علي بن ناصر بالمسير الى «الاحساء» وبقى الى ان توفى وعقبه فيها الى الان. وبقى الشيخ محمد بن خليفة في «عدن» الى سنة ١٣٠٤هـ حيث ورد الى ابنائه بالبحرين كتاب من راشد بن سلطان آل زايد وهو من وجوه اهل البحرين وكان اذ ذلك في دار «السعادة» ينبئهم فيه بتشفع السلطان عبدالحميد خان في ابيهم وانه سينقل الى مكه المشرفة وطلب منهم ان يتوجه احدهم الى عدن لمساعدة ابيهم على السفر الى مكة المشرفة فتوجه الشيخ ابراهيم بن محمد الى البصرة ومنها الى «عدن» فلم يجد عند حكومتها خبراً عما جاء له فسار الى جده ثم الى مكة ومنها الى الطائف حيث قابل الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون والوالي صفوة باشا فارسلا الى «الاستانة» يسترحمان تأكيد الخبر فصدر الامر الى «عدن» باطلاق سراح الشيخ محمد بن خليفة وتوجه نجله الشيخ ابراهيم بعد الحج الى «عدن» فجاء بابيه الى مكة المشرفة سنة ١٣٠٥ فاحسنت الحكومة مقابلته وعينت له راتباً شهريا ثم رجع ابنه الى البحرين وبقى هو في مكة الى ان توفي بها لثمان خلون من ذى الحجة سنة ١٣٠٧ ولما رجع حجاج البحرين اليها نعوه الى ابنائه فرثاه ابنه الشيخ ابراهيم بن محمد بقصيدته العينية التى تقدم بعض منها وسناتى عليها في ترجمته في القسم الادبي انشاء الله تعالى.

الفصل الحادى والخمسون

امارة الشيخ عيسى بن علي
وهو الحاكم السابع من آل خليفة على البحرين

استولى سمـو الشيخ عيسى بن علي بن خليفـة بن سلمان بن احمد الفـاتح بن محمـد بن خليفة على امارة البحرين كما قدمنا وذلك لليلـة بقيت من شعبـان سنـة ١٢٨٦هـ وكـان

حينئذ له من العمر احدى عشرون سنة ، فاستلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير فـدانت لـه القبائل والعربان ونشر رايات العدل والامان وقمع بسيفه اهل البغى والعدوان واظل بحلمه وكرمه ونداه القاصى والدان وكان معروفاً بالبذل والكرم مـوصـوفـا بـالحلم وطـول الأنـاة وصولا لرحمه وقرابته لايدخر دونهم شيئا. وكان متـواضعـا رقيق الحاشيـة سهل الخلق. ولم تطل مدة الحكم لاحد من اسلافه كما طالت له اذ كان حكمه على البحرين قـد امتـد من سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٧٠م الى سنة: :.: هـ/ م ومن مأثور جـوده وكـرمـه مـا أنعم بـه على القبائل التى كانت معه في قطر من الاموال الجسيمة يوم تقلد الامارة فقد اعطى في جلسـه واحـدة اربعين رأسـا من الخيل الأصـايل ووصل بنى عمـه بـالطـرف النفيسـة والجواهـر والبساتين. وهذه هي السجية الاولى التي كان يسترسل اليها ويعتمد على ما فيها من قـوة البرهان والاقناع حتى انه لم يكن ليرى غير الكرم في بعض الاحايين سبيلا الى توطيد الحكم وتعزيزه، وقلما استبقى من واردات البلاد شيئاً لنفسه بل كـان ينفقها كلها منذ كانت تعد بالالوف الى ان صارت تعد الملايين على وفود العرب وافراد عشيرته. اعتمـد الشيخ عيسى على الكرم وقلما اعتمد على غيره من مزايا النفس اريد ذلك ان لم يكن ليثق كثيراً بنفسـه او يعتمد عليها بل كان في جل اموره وكلا فاذا جرب انسانا ولو تجربـة طفيفـة اعتمـد عليـه ووثق به على الدوم، فيصم اذنه عن كل ما فيه ذكر مساوئه او الاشارة اليهـا وقـد نشأ من هذا الضعف خلل في الاحكام وفي جباية الخراج. اما العـدل فقـد كـان معـززاً في عهـده والحق يقال انه لم يظلم انساناً عرضاً او عمداً في مدة حكم استمر خمس وخمسين سنة فقد

كان دائما يتحرى العدل والانصاف ونحو اوائل سنة ١٢٨٧ هـ استجار بحمى عيسى بن على الامير سعود بن فيصـل بن تركى بعـد ان حاربه اخوه عبـدالله بن فيصل بن تـركى واستعان بالاتراك عليـه فبقى مشتتاً ففر من نجد الى اليمن ثـم الى عمان فالبحرين فحماه الشيخ عيسى وابى ان يسلمه لاخيه اذ كان يطلبه اشد الطلب وبسببه وقعت وقعة تسمى

«وقعة ربيجه» وسيأتي بيانها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثاني والخمسون
«وقعة ربيجة»

وفي سنة ١٢٨٧ هـ تم الامر في نجد لعبدالله الفيصل بمساعدة الاتراك بعد ان تحارب مع اخيه سعود بن فيصل على ملك ابيهما عقيب وفاته، فحصلت بينهما عدة وقائع فانكسر في الاخيرة منها سعود المذكور، وبقي مشتتا من مكان الى مكان ففر الى اليمن ثم الى عمان فالبحرين ولاذ بحمي الشيخ عيسى بن علي فحماه وابى ان يسلمه الى اخيه اذ كان يطلبه أشد الطلب كما قدمنا، فاغاظ ذلك امير نجد عبدالله بن فيصل من الشيخ عيسى وتكدر ولم يكن يجسر على غزو البحرين لوقوف انكلترا لمن يقصدها بسوء بالمرصاد، فأغرى الشيخ قاسم بن ثانى امير قطر على شق عصى الطاعة والخروج عن سلطة آل خليفة ووعده بالمساعدة وكان الشيخ قاسم نزاع من بداية امره الى الاستقلال، فصادف هذا الاغراء منه هوى في نفسه فكان بمثابة مشجع له فيما كان متردداً فيه فجمع قبائل قطر وذكرها بثاراتها القديمة على اهل البحرين ودعاهم الى مساعدته على غزوها وانتزاعها من سلطة آل خليفة بعد ان اطلعهم على ما مناه به امام نجد عبدالله الفيصل من المساعدة له على ذلك، فاجابه بعض القبائل وخالفه آخرون من قبيلة النعيم ومحالفيهم، فجمع من اطاعه وضم اليهم اصحاب النجدى وعولوا على غزو البحرين فلما بلغ ذلك انكلترا انذرت قاسماً وحلفاءه على انهم ان تجاسروا على الدخول في الخليج بقوة حربية كان مصيرهم الى الهلاك فامتنعوا من هذا التهديد الصريح فصبوا جام انتقامهم ازاء هذا الفشل على قبيلة النعيم واحلافهم الموالين لآل خليفة في قطر فاغاروا عليهم وحصلت بينهم معركة شديدة انكسرت فيها قبيلة النعيم ومن معهم فلاذوا بعد كسيرتهم الى قلعة «ربيجة» فحاصرهم الشيخ قاسم بمن معه وبلغ الخبر الشيخ عيسى بن علي فاستعد بالرجال وعمارته البحرية المشهورة ليفك الحصار عن رجاله قبيلة النعيم فاعترضته انكلترا فابى الا ان ينجد رجاله او يفك الشيخ قاسم الحصار عنهم واصر على ذلك فترك وشأنه فسار في اسطوله قاصدا ثغور قطر وارسلت انكلترا رسولاً الى الشيخ قاسم بن ثاني يخبره ان التعرض لشؤون البحرين ليس في شيء من الحكمة وانه سيعود عليه بالضرر فلما وصله الرسول كان قد سبق السيف العذل اذ قد تغلب على المحصورين بعد ان نفذ زادهم وماءهم فاضطروا الى التسليم فانتهب أموالهم واستولى على قلعة «ربيجة» فهربوا فارين بانفسهم الى البحرين فالتقوا بالشيخ عيسى بن علي على ساحل البحر بالسفن مشحونة بالرجال قادماً لنصرتهم ومعه الشيخ احمد بن علي آل خليفة ولكن فاته التدارك بتفرقهم ورجوع الشيخ قاسم بالمغنم الى بلاده فنقلهم معه في السفن الى البحرين وتسمى هذه الحادثة وقعة «ربيجة» وذلك في سنة ١٢٨٧هـ وقيل سنة ١٢٨٨هـ حيث ارخت هكذا «بلبل غدروها» لان اهلها كانوا على غرة فهجم عليهم الشيخ قاسم بن ثاني بمن معه غدراً بدون اشعار فكسرهم، فاحفظ هذا الحادث قلب الشيخ عيسى بن علي على اهل قطر فقرر مقاطعة ايالة قطر ومعاملتها ومنع الاصدار اليها من البحرين. وفي سنة ١٢٨٨هـ وقع بالبحرين مرض الهيضة المعروف بالوباءالاصفر «كوليره» فهلك من اهل البحرين خلق كثير وفي سنة ١٢٩٠هـ اصطلح اهل البحرين مع اهل قطر وكان صلحهم على دخل وجرت المعاملات وانتهت المقاطعات وجاء بعض من اهل قطر لسكنى البحرين ونزح اكثر قبيلة النعيم الى قطر مواطنهم الاولى حتى اذ كانت سنة ١٢٩٥هـ قام الشيخ قاسم يطلب اخذ الزكاة منهم وآل خليفة الامر بحادثة «شد القليعة» الاتي بيانه فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثالث والخمسون

«شد القليعة»

نزحت قبيلة النعيم من البحرين الي قطر مواطنهم الاولى عقيب الصلح وذلك بعد سنة ١٢٩٠هـ كما تقدم وفي سنة ١٢٩٥ هـ طلب الشيخ قاسم بن ثاني اخذ الزكوة منهم وممن يليهم من الموالين لآل خليفة فابوا وامتنعوا من تسليمها اليه واتخذوا مدينة الزبارة مسكناً لهم فمنعهم الشيخ قاسم من سكناها وشدد عليهم الطلب في زكوة اموالهم، فاصروا على الاباء فسار اليهم وحاصرهم في قلعتها المسماة بقلعة «مرير» فبلغ الخبر الشيخ عيسى بن علي فانتدب اخاه الشيخ احمد للاستعداد فهيأ الاسطول البحري وشحنه برجال الحرب لنجدة رعاياه وقبيلة النعيم المحاصرين في قلعة مرير، وقبل ان يخرج الاسطول من مضيق «القليعة» بادرتهم بارجتين حربيتين لانكلترا ومنعتهم من المحاربة في البحر وطالت المخابرة بين الطرفين وهم متحيرون يقدمون رجلاً ويؤخرون اخرى نحو خمسة عشر يوماً وفي اثناء هذه المدة شدد الشيخ قاسم بن ثانى الحصار على قبيلة النعيم ومن معهم حتى الجأهم الى ان صالحوه على نصف ما يملكون من الخيل والانعام و الماشية فاخذه منهم وفك الحصار عنهم. فلما بلغ الخبر للشيخ عيسى عطف باسطوله راجعاً الى البحرين متأثراً. وفي سنة ١٢٩٦ توجه الشيخ عيسى بن على لاداء فريضة الحج وبعد قضاء الحج ضاق به الوقت فلم يتمكن من التشرف بزيارة الرسول ﷺ فرجع الى البحرين. وفي سنة ١٣٠٩هـ وقع الشيخ عيسى بن علي على تعهد الدولة البريطانية وهذه صورته «نحن شيخ البحرين عيسى بن علي نتعهد امام الممثل لبريطانيا العظمي في خليج فارس القائمقام «تالبوت» بان نقوم نحن وورثانا من بعدنا وخلفاؤنا بالتعهدات التالية: (١) اتعهد بان لا اعقد اية معاهدة مع اية دولة كانت وان لا اقوم بمفاوضة ومخابرة غير الدولة البريطانية العظمي: (٢) لا اسمح لأى مندوب لأية دولة اجنبية بالبقاء ضمن البلاد الخاضعة لنفوذي دون موافقة بريطانيا: (٣) اتعهد بعد استثناء الحكومة البريطانية بان لا ابيع ولا اوجر ولا ارهن ولا اسمح باشغال قطعة كانت من اراضي هذه الجزيرة لاي كان ولا باية صورة كانت: وقد وقع هذا الاتفاق في اليوم ١٤ من شهر شعبان سنة ١٣٠٩هـ المصادف ١٣ مارس سنة ١٨٩٢م من شيخ البحرين عيسى بن علي والمأمور السياسي في خليج البصرة القائمقام «تالبوت» ونائب الملك في الهند و الوالي العمومي «لو تسدوفن» ثم صدق هذا الاتفاق في ١٥ مايو سنة ١٨٩٢.. وعلى الاثر رفعت الحكومة البريطانية علمها فوق سماء البحرين»: «١١٤» انتهى حرفياً ولا نتصور صدور مثل هذه التعهدات والاتفاقات التى سداها ولحمتها السيطرة وسلب الحرية والحقوق والملكية والوطنية عفواً عن رضى واختيار من امرآء هذه الاطراف وغيرها ممن اوقعه سؤ بخته في طريق احدى الدول العظام وما صدورها منهم الابواسطة مقدرة القوى على الضعيف وهذا ما قضت به طبيعة هذا الكون في جميع اجناس مخلوقاته ومواليده لاخلاف في ذلك بين الانسان والحشرات فسنته قضت على الضعيف ان يكون طعمه للقوى وان الحق للقوة: وفي سنة ١٣١٣ جرت الفتنة بين الشيخ خالد بن على آل خليفة وبين قبيلة آل ابن علي ومصدرها النساء والخدم وانتهت باذلال آل علي وتصغير شأنهم وقتل رئيسهم سلطان بن سلامة وسيأتي ذلك فيما يلي انشاء الله تعالى.

١١٤ ـ نقلا عن جريدة الشورى عدد ٣٢٢ ـ ٦ مايو ١٩٣١.

الفصل الرابع والخمسون
«وقعة: الزبارة»

في سنة: : : هاجرت من البحرين قبيلة آل ابن علي لاسباب خلافية وقعت بينها وبين حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي كما اشرنا الى ذلك فيما تقدم فكانت وجهتها ولاية قطر والالتجاء الى الشيخ قاسم بن ثاني لحماه المنيع وقدره الرفيع فاحسن الشيخ المذكور وفادتها واكرم نزلها فطلبت منه الاذن بسكنى مدينة «الزبارة» التابعة لحكومة البحرين فاجابهم الى ذلك واصدر لهم الاذن به فلم يرض ذلك الشيخ عيسى بن علي وكتب الى الشيخ قاسم يمنعه من ذلك ولكن هذا حلهم فيها مراغمة لحكومة البحرين فغضب الشيخ عيسى وتهدد الشيخ قاسم بخراب بلاده جزاء كبرياءه وعناده فخاف الشيخ قاسم وعيد حكومة البحرين لاسيما وظهيرتها الدولة البريطانية فكتب الى متصرف الاحساء ابراهيم فوزي باشا يطلب منه امرأباسكان آل ابن علي مدينة «الزبارة» واخبره انها من توابع وملحقات قطر التابعة للدولة العثمانية وان لاحق لحكومة البحرين عليها فجاء الامر من فوزى باشا بالمصادقة والاذن لآل ابن على بسكنى «الزبارة» فلما بلغ الشيخ عيسى ذلك رفع الامر الى «الكرنل ولسن» الانجليزي وطلب منه منع الشيخ قاسم بن ثانى فمضي الكرنل ولسن الى قطر لمخاطبة الشيخ قاسم في صدد ذلك ولما وصلها عرض الامر عليه وطلب منه اخراج ال ابن علي من «الزبارة» التى هي تابعة لحكومة البحرين فاجابه الشيخ قاسم ان آل ابن علي دخلوا في حماية الدولة العثمانية وهي التي اذنت لهم بسكنى «الزبارة» لكونها تابعة لقطر وان لاشان لي في ذلك فعاد الكرنل الى «بوشهر» وخاطبته حكومته انكلترا في ذلك فخاطبت هذه حكومة الباب العالي في «الاستانه» وطلبت منها الامر باخراج آل ابن علي من «الزبارة» فاخذ الباب العالي يستفهم من ولاية البصرة عن تلك المقدمات فكان الجواب منها بما يرضى الشيخ قاسم ويزيد العلائق توتراً وطالت المخابرة بين الدولتين مدة طويلة ولما رأت انكلترا ان لا جواب شاف يعتد به من الما بين الهمايونى زودت مأموريها في الخليج باجراء ما هو اللازم. وكان من في الزبارة حينئذ وهم الجلاهمة وآل ابن علي وبنو هاجر النازعين دائماً الى الفتن طمعاً بالسيادة والحكم ينفخون في نار الفتنة ـ فاضطرمت في «الزبارة» ونواحيها وكثرت جموع الثائرين وقد تأهبوا للهجوم على الخليفيين في البحرين فرأت الحكومة وجوب اخماد الفتنة ولم تر الى ذلك سبيلاً وواسطة غير الاسطول الذى كان لايزال عندها قسم منه فتشاور آل خليفة وبعد ان قر قرارهم عليه بعثوا يعرضون الامر علي الوكيل السياسي لبريطانيا العظمي في «بوشهر» ويستاذنون فيما عزموا عليه من الحملة البحرية فحذرهم الوكيل من نقض الاتفاق الذى يقضى بابطال المحاربات البحرية المتقدم ذكره فطلبوا منه الدفاع عن البلاد الذى يقضى به الاتفاق المذكور فتعلل الوكيل اولا ثم اشترط في مقابلة الدفاع شروطاً جديدة اي تضحية اخرى منها ان يكون لبريطانيا العظمي وكالة في البحرين ويكون للوكالة حق المشارفة على قضايا الرعايا البريطانية فلم يروا بدا من القبول بهذه الشروط. فابحرت اذ ذاك البوارج الانكليزية وفيها الكرنل ولسن المتقدم ذكره الى قطر وانذر الشيخ قاسم باخلاء الزبارة في مدة ثلاثة ايام ثم عاد راجعاً الى البحرين وفي طريقه اليها التقى بعدة سفن لآل ابن علي تجوب البحر للغوص فاستأسرها وقادها الى البحرين وبلغ آل ابن علي ذلك الخبر فعظم عليهم وصاحوا بالويل والثبور وغضب الشيخ قاسم فجمع جموعه في «الزبارة» واستحضر السفن من اطراف قطر لغزو

البحرين فاغتنم الكولونيل المذكور تلك الفرصة وحصر ثغر قطر والزبارة بباورجتين حربيتين واسر جملة من السفن التي رآها هناك ثم اعلن وجوب تسريح هذه الجموع واخلاء الزبارة في مدة ثلاث ساعات وبعدها سلط كرات المدافع ونيران القنابل على «الزبارة» حيث الجموع معسكرة فوقع فيها الفناء وعلا ضجيجها وفرت على وجوهها لا تلوى على شيء وفي نفس المدة اخلا آل ابن علي وغيرهم «الزبارة» وولوا هاربين فعادت البوارج الحربية الى البحرين بغنائمها فجعلتها طعمة للنيران ثم هددت قطر وتوعدتها بالخراب ان تعرضت لشؤون البحرين مرة اخرى و غضب الشيخ عيسى بن علي على اهل قطر ومنعهم من دخول البحرين فساءت لذلك احوال اهل قطر لان معايشهم و ارزاقهم من البحرين وبعد سنة سعى المصلحون بالصلح بين الحكومتين وتعاهدتا على الود والصفا وعدم تعرض احداهما للأخرى واصدر الشيخ عيسى بن علي عفوه عن آل ابن علي واذن بالرجوع لمن يريد منهم الى البحرين وتبادلوا الزيارات وحل بينهم الصفاء محل الجفاء:

وصف اديب الفريكه الفاضل للشيخ عيسى بن علي وثقته بصداقه الانكليز وحسن ظنه بسياستهم قال: ومن سجاياه الممتازة فضلا عن الكرم وحب العدل انه كان صادقاً في ولائه وفيا. فقد احسن الظن بالسياسة الانكليزية لاعتقاده ان انكلتر لا تريد الا نشر تجارتها وتعزيزها. ولكنه جهل كما يجهل الكثيرون حتى من الانكليز انفسهم ما كان مطوياً من مقاصد تلك السياسة. حدثني احد الذين كانوا موظفين في الوكالة السياسية في البحرين. قال كان يجبيتنا ويخرج من عندنا كثير من الرسائل والبلاغات السرية. ان في دار الوكالة منها ما يملأ بضعة صناديق ويدهش فحواها كثيرين حتى من رجال الحكومة بلندن . . فأمن مناوأتها «الشيخ عيسى» ان اخلاصه لهم وحسن ظنه بهم لمن الفضائل التى قلما نجدها في غير العرب من الشعوب الشرقية. وما كان ذلك الا لانهم ساعدوه في بداية امره ولانه عاهدهم على اشياء منها الاعتراف بالاتفاق السابق بينهم وبين عمه الشيخ محمد ذلك الاتفاق قضى على اسطول البحرين وجعل البلاد متكلة على بريطانيا العظمي في الدفاع عن نفسها. مع ذلك لم يحنث الشيخ عيسى بعهده ولا عقد اتفاقا سرياً مع دولة اخرى من الدول. كتب اليه مدحت باشا عند ما كان والى بغداد يعرض عليه مساعدة الدولة العثمانية بعقد اتفاق ودى بينه وبينها فدفع الكتاب الى اصدقائه الأنكيز وكتب الى مدحت يقول حسبى بريطانيا العظمي صديقة وخليفة وقد فاوضته كذلك الحكومة الالمانية بواسطة معتمدها التجارى في البحرين فكان جوابه لا اقدم على بريطانيا العظمي احداً ولا اعاون عليها عدواً وكثيراً ما اعترض بعض رجاله على هذه الثقة المطلقة وفيها التغاضي عن المساوى فكان الشيخ يقول ان بريطانيا العظمي اثبت الامم الاوروبية في المعاهدات فقد إعترفت باستقلال بلادي وحرية حكومتي ولا اريد اكثر من ذلك فهل قام الانكليز بما توجبه عليهم الصداقة بل العهود بينهم وبين شيوخ البحرين قد اعترفت انكلترا باستقلالهم فهل احترمت هذا الاستقلال؟ سانخذ من تاريخ البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي ثلاث حوادث فيها الجواب على هذا السؤال وهنا ساق حضرة المذكور حادثة الزبارة السالفة الذكر وحادثة ضرب الالمانى الآتية فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الخامس والخمسون

حادثة محل شركة ونكهوس الالمانية

فى سنة ١٣٢٤ هـ حدثت حادثة فى البحرين اوشكت ان تجر الى مشاكل دولية وكان فى سنة ١٩٠١م قد فتح فى البحرين فرع لشركة

ونكهوس الالمانية يتجر بعرق اللؤلؤ والصدف ويجلب من المانيا بعض مصنوعاتها ومتاجرها كالسكر والقند والبن والاقشمة الصوفية والقطنية والاوانى الفرفورية والنحاس الى غير ذلك مما لـه رواج في هـذه الاطـراف وكـان لحاكم البحـرين الشيخ عيسى بن علي ابن اخ هـو الشيـخ على بـن احمد كبير الجرأة والاقـدام وكـان لـه اتبـاع مـن شكلـه فبدا له في بعض الأيام لازم لبعض الحمالين فجاء أحد أتباعه اتباعه قريبا من محل الشركة المذكـورة وجعـل يكـش بعصـاه مـن يلقـاه امـامـه مـن الـرجـال ضربـاً فيهـم فالتجأوا الى محل الشركة لكونهم من عملة المحل فتبعهم ضرباً فيهم فخرج لـه كبير المحل الالماني يزجره عن فعله فلحق بـه الشيخ علي بن احمد المذكـور وهجم على الموظف الالمانى بخنجره فاصـابت الالمانى بعض جـراحـات طفيفـة فـرفع الالمانى الـدعـوى الى المعتمـد البريطاني والى حكومته المانيا وبعد بضعة ايام«١١٥» اتفقت الحكومة المحلية والموظف الالماني فاعتذرت عما فرط من ابن اخ الحاكم ودفعت الى المضروب ثـلاثـة الآف روبيـة تعـويضـاً ولكن هذه التسوية لم ترض على ما يظهر حكومة المانيا مع ان الحادثة في حد ذاتها طفيفـة

ولكن المانيا حسبتها من اسباب التداخل الذى كانت ترمي اليه وترقبه بـذاهب الصبر على ان انجلترا لم تمكنها من اقتناء هذه الفرصة بل تداركت الامر قبل ان يستفحل فتتخذ المانيا هذا الحادث ذريعة للتداخل في شؤون البحرين فلم تمض على الحادثة المذكورة غير بضعة ايام حتى رست في ميناء البحرين البوارج الحربية الانكليزية تقل معتمـد انجلترا في الخليج «السربرسى كوكس» وانزلت بعض جنودهـا الى البرثم عـرض المعتمـد المذكـور لائحـة بما تطلبه الحكومة البريطانية جزاء ضرب الالماني فنفذت مادة مـادة ومنهـا حـرق مـا تبقى من سفن البحرين الحربية وحكم على ابن اخ الشيخ عيسى بن علي بالنفى خمس سنين قضاها في الهند واحيل الى الوكالة البريطـانيـة في البحـرين النظـر والفصل في دعـاوي الاجـانـب كلها«١١٦»: ودفع الى الالمانى المضروب ست وستين جنيها تعـويضـاً وامـر بـزعماء الطغمـة المعتدية فادبوا على مشهد من النـاس وكـان كبيرهم ورئيسهم الشيخ علي قـد فـر فـاستبيح منزله وفتش واخرج جميع ما فيه من الاثاث واحرق واصدر المعتمد امراً بلزوم احضار علي بن احمد وبعد ايام أتي به فقبض عليه وسفر الى بمبى بالهند ليقضي مدة نفيه الخمس سنين المذكورة فيها عقاباً له على جرأته ودفعاً لالمانيا عن التداخل في شؤون البحرين«١١٧» .

١١٥ ـ ناصر الخيرى.
١١٦ ـ ملوكا لعرب للريحاني.
١١٧ ـــ الحرب العظمـــى ومعلومات علية.

الباب الرابع
في انقلاب سنة 1923
وما ترتب عليه من الاحداث
وفيه فصول

الفصل الاول
سير السياسة في البحرين وتطورها

ان السبب الوحيد في الانقلاب الاخير هو الشره الغربي لامتلاك الممالك الشرقية تحت ستار من التمويه واعذار واهية ووسائل تجارية وسياسية ظاهرها الحب والرأفة والشفقة والرحمة والاخلاص والمواعيد الخلابة وباطنها الغدر والحيلة والخيانة والكذب والخلف والتفرقة والاغراء وخلق المشاكل حتى تؤول الحال الى استيلاء على البلاد بدون ان يكلفهم ذلك ازهاق الارواح وتكبد صرف الاموال الطائلة اللازمة لخوض معامع الحروب وذراً للرماد في عيون العباد من ان تنسب الدول العظيمة الى الاعتداء على الامارات الصغيرة والاستطالة عليها بالقوة بل عكس ذلك تتبجح عند آلامم وتمن على من غلبتهم على امرهم وحريتهم بانها ادبتهم وعلمتهم وربتهم وهذبتهم الى غير ذلك من مثل هذه المترادفات اللفظية التى لا تعبر عن الحقيقة وما هي الا مجموعة من التمويهات، هذه صورة مصغرة للمستعمرين عامة ازاء المستعمرات. واما البحرين فربما اختلف فيها الوضع لبعض المناسبات حيث ان السياسة البريطانية لبثت تلك السنين الطويلة التى ربما وفت على السبعين عاماً ولم تحدث حدثاً كبيراً ينم عن اطماعها وفي السنين الاخيرة التى لا تتجاوز عدد اصابع اليد تغير منهج سياستها في البحرين تغيراً كلياً يكاد يكون طفرة أوطيشاً وسنوضح الاسباب الداعية لذلك التغيير الفجائي الذى علي غير انتظار.

كانت السياسة في بدأ أمرها في البحرين تسير سيراً مرنا بطيئاً لم تحدث ما يوجب رعباً عند اهل البلاد ولكن لو احدثت لما تسنى لها نيل تلك الثقة العمياء من حاكم البلاد الشيخ عيسى بن علي الذى بقى وفياً للدولة البريطانية الى آخر ايام ولايته

اسلفنا. قلنا في صدر هذا الفصل ان من وسائل السياسة التفرقة والاغراء ولا نريد ان نستعرض جميع حلقات هذه الناحية من بدأ تكوينها لئلا يطول بنا المقال ويخرج بنا عن جادة الاعتدال وانما نكتفي بالبعض ليكون دليلاً على الكل: كان في المدة السابقة ان السياسة لا تتداخل في شؤون داخلية البلاد مكتفية بتفردها بتجارة البلاد والسيطرة على سياستها الخارجية لما قيدت به حكومة البحرين من التعهدات والاتفاقات المتقدم ذكر بعضها التى حصلت عليها تدريجيا: «لم يكن للوكيل السياسي في البحرين غير حق النظر في قضايا الاجانب ولكنه كان يتدخل بشؤون البلاد على قدر ما تسمح به الاحوال وتمكنه من السياسة التى تستمد قوتها من مصالح التبعات الاجنبية ومشاكلها ومن البوارج الراسية في الخليج وكان هذا التدخل ينعم ويخشن ملمسا بالنسبة الى الوكيل وصفاته الشخصية اذ ليس بين بريطانيا العظمي وحكومة البحرين معاهدة مسجلة بل هناك إتفاقات تضمن

للانكليز ما حازوه تدريجياً من نفوذ في البلاد وتضمن للبلاد حريتها وإستقلالها» :«١١٨»
ولكن كان اجل هذه السياسة انتهى بانتهاء الحرب العظمي، كان هناك رابطة تربط السياسة القديمة بالبحرين فلما انتهت الحرب انحلت تلك الرابطة فنشطت السياسة من عقالها وكشرت أنيابها لقضم فريستها. فكانت السياسة سابقاً على ما يظهر ولم يسلك مسلك المرونه والتأني مختارة بل لابد لها من ذلك المسلك وذلك لمراقبة الدولة العثمانية وصديقتها المانيا لها فلما قلصت الحرب العظمي ظل هاتين الدولتين لم يبق لها مراقب ولا منافس ولا واش ولا عذول بل كما قال الشاعر خلا لك الجو فبيضي واسفري ونقري ما شئت ان تنقري : الا ان تكون الدولة الايرانية ودعواها على البحرين ولكن هذه لايؤ به لها في ذلك الحين لكون السياسة الانكليزية قد تغلغلت في صميم مملكتها وقد سبق ان إتفقت قبل الحرب مع روسيا على قسمتها بينهما «١١٩»: فلما خلا الجو للسياسة الانكليزية في البحرين نفضت عنها حينئذ غبار الكسل وشمرت عن ساعد الجد للعمل ونزعت عنها فروة الحمل وظهرت بمظهرها الحقيقي فانتدبت للبحرين احد رجالها الدهاة «الميجردكسن» سنة : : : فجاء هذا وكان يحسن اللغة العربية كابنائها فجعل يتعرف بافراد الشعب ليجعل منه آلة لنيل اغراضه السياسية فكان يدخل على الفلاح في كوخه ويعزم نفسه عنده وياكل ما قدم اليه من الماكول والمشروب طاب ام خبث وغرضه من ذلك التحكك الوقوف على مكنونات الصدور واستخراج خفيات الامور فيظهر العطف والتاثر لحال المظلوم ويقدم له الوعود بانتهاء الاستعباد وقرب زمن نيل الحرية والاستقلال وإسترجاع الحقوق المهضومة و العقار المسلوبة فخاف الاهالي في بادىء الامر من ان يطلعوه على شيء من ظلاماتهم ولكن بعد تردده عليهم واستئناسهم به افضوا اليه بتشكياتهم وظلاماتهم فوقف حينئذ على عورات حكومة البلاد وسعى في اغرائهم على حكومتهم وحزبها ممنياً لهم شد ازرهم بمساعدته فبدا بذره هذا بالنمو والظهور وعظم على الحكومة هذا الامر فرفعت عليه شكاية عند رئيس الخليج فسمع شكواها ولبى طلبهم فصدر عليه العزل من البحرين وابدلتهم بريطانيا بالميجر «ديلي» فكانوا كما قال الشاعر المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار فجائهم الميجرد ديلي سنة ١٩٢٠ وتظاهر مدة سنة واحدة او أقل بالبلاهة والبساطة والغباوة والقى للحكومة المحلية الحبل على الغارب فاغترت وإغرتها مظاهر الغباوة منه على تعزيز سلطتها وتاديب بعض

افراد الشعب الذى اغراه سلفه «دكسن» على غير حجة او جرم وكل من اضهد فر ملتجئا الى الوكالة البريطانية يطلب عونها وهذه تصم اذنيها عنه وتجيبه بان ليس لنا تداخل فى شؤون داخلية البلاد وقد اشتد حينئذ الخطب فكن ذلك «اى سكوت الوكالة البريطانية» اكبر مشجع للاسترسال في

الظلم وبهذه المظاهر الخادعة نال المعتمد المذكور من الحكومة وحزبها شهادات كتابية على حسن سيرته و رضاؤهم التام عنه بل وخاطبوا رئاسة الخليج في «بوشهر» بتثبيته في البحرين لما اشيع بنقله منها فاجيب طلبهم وحينئذ تم للميجر «ديلي» ما اراد من الأستيثاق منهم ولما راى ما وصل اليه نزع عنه لباس البلاهة والغباوة وظهر بمظهر الحقيقة فاتخذ له سماسرة من الاهالى للتفاهم وتدبير الخطة المزمع اجراؤها ولما تم له ذلك ابرق الى الرئيس في «بوشهر» يعلنه بذلك وبعد بضعة ايام اتى الرئيس على ظهر بارجة حربية الى البحرين فوزعت الدعوة لاعيان

١١٨ ـ ملوك العرب للريحاني.
١١٩ ـ لم تبين في المسودة تحت علامة.

الشعب وسماسرة السياسة للحضور في دار الوكالة البريطانية لاستقبال الرئيس ولما حضروا تليت الخطب الترحيبية ومنها الحماسية لاستنهاض الحكومة البريطانية لاغاثة المظلومين فقام احد رجال الوكالة بخطابة نيابة عن الرئيس شكرهم فيها واثنى عليهم ووعدهم بكل خير وبعد سفره ببضعة ايام اوعز الميجر «ديلي» بمقاطعة الحكومة فنفذوا امره وكان اكثر ضروريات الحكومة من مأكول وعلف ورطب وغير ذلك تحت ايديهم حيث كانوا هم الفلاليح فبقيت الحكومة في شبه حصر فكبر عليها ذلك وعلمت مصدر الحركة فخابرت الرعية للتفاهم معهم فانتدب لها عدة من اعيانهم مزودين بكل شجاعة وجرأة كانت تعوزهم في سابق الزمان ولما تقابلوا وجهاً لوجه مع

مزودين بكل شجاعة وجرأة كانت تعوزهم فى سابق الزمان

فاحال ذلك على مجلس القضاء للنظر فيه واقترح الاهالى بعد ذلك على الحكومة مطالب تنحصر في ١٣ مادة وصدقت عليها الحكومة فهدأت الاحوال موقتا نوعا فاختط الميجرد ديلي خطة التفريق عملاً بسياسة القائل «فرق تسد» وجعل سماسرة لاغراء الحزبين على بعضهما البعض وكلما اضطهد احد

واستغاث بالميجر يجيبه بقوله الستم رجال وهم رجال قابلوهم بالمثل واذا لم تجدوا سلاحاً فنحن نعطيكم السلاح لتثأروا منهم. فانظر الى اى مدى ترمى هذه السياسة من الاخطار الفظيعة وهنا يلزمنا تقديم نبذة عن شخصية هذا السياسي الداهية والانقلابات التى احدثها وسياتى ذلك ملخصاً عن كتاب ملوك العرب للفيلسوف الريحاني فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثانى

من هو الميجر ديلي - وماذا احدث في البحرين

اما ان سياسة انكلترا في البحرين هي غير سياستها في الاقطار العربية الاخرى فمما لاريب فيه وبما ان وزارة المستعمرات تدير هذه السياسة بواسطة وزارة الهند بلندن ثم بواسطة حكومة الهند ببمباى او بسملة فلا اظن انها عالمة كل العلم بما يحدثه من المشاكل وكلاؤها السياسيون في البلاد العربية ولاسيما في خليج فارس فضلا عن ان الوكيل يموه في بعض الاحايين دفاعاً عن عمله وحفظاً لمركزه وقد توخيت الصراحة التامة فيما اكتبه بهذا الشان غيرة على الاسم الانكليزي وحباً بتحسين وتعزيز العلائق الودية بين انكلتره والبلاد العربية. ومما ينبغى لى ان اذكره ان كثيراً ما يسود صحيفتها أحد أبنائها المقربين الذين لا يكونون في الشرق مؤمرين لولا نفوذ بعض اصدقائهم واقاربهم في الحكومة بلندن. . حدثنى احد الموظفين في حكومة العراق عن ثورة سنة ١٩٢٠م وعندما علم أنى مسافر الى البحرين قال: ستجتمع هناك بواحد ممن وصفت. وكان قد افاض بالحديث في طبقة من الموظفين الذين يتخذون «السر آرنلد ولسون» مثالا في الحكم فيحذون حذوه في سياسته وليس لهم شيء من حسناته، ضباط قلما يصلحون لغير الخدمة العسكرية لا يفهمون العرب ولا يحبونهم ولا يعطفون اقل العطف على قضيتهم. . الرجل الذى اشار اليه محدثى كان في الديوانية حاكماً سياسياً ورتبته العسكرية كرنل. وكان في سلوكه متعسفاً متصلفاً فكرهه الناس وقد اهان وضرب مرة رئيس عشيرة هناك فثارت عليه وعلى الانجليز

العشيرة فكانت الجذوة التى اضرمت نار الثورة في العراق. وقد حوصر في مركزه بالديوانية يومئذ ففر منها في طيارة هاربا فجازته الحكومة بان اسقطت رتبته العسكرية من كرنل الى ميجر ثم عينته وكيلاً سياسياً في البحرين. . جئت البحرين وما تمكنت من الاجتماع بالميجر ديلي الامرة في مؤتمر «العقير» ولكني مما سمعته ـ وقد حدثنا به الكبير والصغير والوطني والاجنبي ـ تحققت مما قاله زميله في حكومة العراق. الرجل مكروه ولا غرو فهو يكره العرب ويزدريهم ويقاوم كل فكرة اصلاح في الجزيرة غير التى يكون له فيها الكلمة الاولى والاخيرة ولا يرى حقاً في غير القوة ولا عدلاً في غير سياسة العسف والاستبداد. فهل هي يا ترى سياسة «دونن ستريت» بلندن او ابى شهر وما هي اذا كانت من الاثنين سيئات الموكل وسيئات الاصيل؟. . ان الميجر ديلي موظف له رئيس في ابى شهر وللوكيل في ابى شهر رئيس في سمله ولولي الامر في سملة رئيس في دائرة حكومة الهند بلندن ولرئيس تلك الدائرة مستشاران او وزيران في وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات ولهاتين الوزارتين سياسة ثابته قديمة التقليد غامضة المقاصد في الشرق وفي البلاد العربية تتمشى دائماً عليها وكثيراً ما تصدر الاوامر من احديها مبنية على هذه الخطة لا على الجديد المبهم من الاحوال في البلاد التى تختص بها فتجيء الاوامر وما فيها غير النزر من العدل والحكمة بل ما فيها شيء احياناً من الحكمة والعدل فتصل الى رجل متصلف متعسف قصير النظر والاناة فينفذها بالحرف ويثير على امته غضب الاهالي وكوامن بغضائهم فلو كان الرجل حصيفاً حكيماً مدركاً عوامل النشوء في البلاد التى هو فيها عطوفاً ولو بعض العطف على مساعى الوطنيين في سبيلها لكان يطلع حكومته على حقيقة الحال ويسألها التبصر بها والاسترشاد بشيء من حقائقهافي تكييف الخطة السياسية وتلطيفها ولو كان الرجل كبيراً مثله الاعلى العدل في كل الاحوال او لو كان في الاقل دمث الاخلاق لين الجانب محباً العرب لكان يتمكن من خدمة بلاده بما فيه كذلك مصالح البلاد التى وكل بها ليس هذا بالامر المستحيل و ليس مثله بالرجل النادر في الحكومة او في الامة الانجليزية«١٢٠»: هذا ما قاله من لا ينسب لغرض لكونه اجنبياً وطناً وديناً وحسبنا ما ذكره وان كان قليلاً من كثير ففيه الكفاية: وسياتى بيان الحادث الثالث الذى استشهد به فاضل «الفريكة» كنا اجلناه حينما اشرنا اليه فيما تقدم فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الثالث
الانقلاب والفتنة التى اعقبها عزل الشيخ عيسى

واليك بيان الحادث الذى اجلناه: قال فاضل «الفريكه» اما الحادث الثالث في سياسة الاستيلاء التدريجي فقد حدث في شهر ايار من السنة الماضية ولابد قبل ان ارويه من تمهيد. . . مهما كان من اسباب الوئام تجارة واجتماعاً بين الشعبين اذا جمعتهما مدينة واحدة فالخلاف الديني. . وقل الغلو في الدين فضلا عن الخلاف الجنسي والسياسي كلها متأصلة في القلوب متأهبة في ساعة الشر للوثوب وفي البحرين من التجار والعمال النجدى والايراني قد علم القاريء ان الأثنين بموجب الاتفاق الاخير بين حكومة البحرين وحكومة بريطانيا العظمي يعدان من الاجانب فيجب ان تسمع دعاويها في دار الوكيل السياسى الانكليزى بالمنامة وهذا الوكيل الميجر «ديلي» ابتغاء حزب له من الايرانيين سعى فى عزل رئيس بلدية «المنامة» ونصب مكانه احد تجارهم محمد شريف خان بها دور الذى اشتهر بكرهه للعرب

١٢٠ ـ ملوك العرب للريحاني.

وقد كان لهذا الرئيس صنيعة الوكيل «الباليوز» نفوذ في الاحكام يـدنـو من نفـوذ الحكـومـة الوطنية ويتجاوز في بعض الاحايين هذا هو التمهيد: اما الحادث فهـو انـه في اوائل ايـار سنة ١٩٢٣م سرقت ساعة من بيت تاجر نجدى فـاتهم بـالسرقـة رجل فـارسى فقـام اهل بلاده يدافعون عنه فادى ذلك الى خلاف بينهم وبين اهل نجد فتحزب الفريقان واشتعلت في القلوب الاحقاد الكامنة فافضى النزاع الى القتال ثم الى السلاح وكان خان بهادور محمد شريف رئيس البلدية يغرى العجم في هذه الفتنة على قتل العـرب. امـا الحكـومـة فبما ان المتقاتلين كلهم من الاجانب اكتفت بحفظ الامن ما استطاعت ولا اظن مما شـاهـدتـه في البحرين يـوم كنت هنـاك انها كـانت تستطيع كثيرا. ابـرق الـوكيل «ديلي» خبر الفتنـة الى الوكيل السياسي في ابى شهر فجاء مسرعاً تصحبه بارجتان حربيتان وكان اول ما طلبـه من الحكومة ان يعتزل الشيخ عيسى الحكم فابى الشيخ فاصر الوكيل وجمع فـريقـا من النـاس فاعلن فيهم عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه الشيخ حمد مكانه وهذه البوارج في الثغـر تلفت اليها نظر الوطنيين المشاغبين«١٢١»: والظاهر ان الحكومة الوطنية لها ضلع في تشجيع الحزب النجدى ومساعدتهم ضد العجم وهو مؤكد عند الوكيل السياسي وعليه بنى حكمـه بعـزل الشيخ عيسى لأن ثانى يوم من الحادثة المذكورة اقبلت السفن من المحـرق نـاشرة البيـارق والاعلام مشحونة بالرجال والسلاح وهم ينشدون الاناشيد الحربية كأنهم مـاضـون لخوض معمعة حـربيـة ورئيسـهم عبـدالله القصيبي وهم اهل نجـد ومن وازرهم ضـد العجم

فلما بلغ خبرهـم الوكيل السياسي «الميجر ديلي» ركب سيـارة واصحب معـه مـدفعـاً رشاشاً وقصد به الميناء قبل ان ينزل القادمون فهـددهم ان لم يـرجعـوا من حيث اتـوا وإلا صوب اليهم الرشاش فرجعوا ورجع اهل البديع ايضا فالقيت المسؤليـة على الشيخ عيسى فجرى عليه العـزل كما تقـدم وعلى عبـدالله حسن القصيبي من اهل نجـد وهـو رئيسهم حينئذ في البحرين فحكم عليه بمبارحة البحرين حـالاً. ثم تبع حـادث العـزل والنصب سلسلة من الاجراءات سياتى بيانها فيما يلي انشاء الله تعالى.

الفصل الرابع
امارة الشيخ حمد بن عيسى وهو الحاكم الثامن من آل خليفة على البحرين وسلسلة الاجراءات التى تلت

قدمنا في الفصل السابق ان معتمد بريطانيـا العظمي في ابي شهـر جـاء الى البحـرين في بارجتين حربيتين بعد ذلك الحادث المشؤم وطلب من الشيخ عيسى ان يعتـزل الحكم فأبى وأصر المعتمد على ذلك فجمع فريقاً من الناس فاعلن فيهم عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه الشيخ حمد مكانه وكان ذلك في ٢٦ ايار سنـة ١٣٤٢هـ ١٩٢٣م كما تقـدم وكـان الشيخ حمد هو ولي العهد ومولده في سنة ١٢٩١هـ فيكـون عمـره حين تـولى منصب الحكم ٥٢ سنـة وهـو عـاقـل رزيـن متـواضـع حليـم تـولى الموظفون الاجانب جميع الادارات وأمور التنفيذ وانهم ينفذون الاوامـر والاحكـام والقـوانين

١٢١ ـ ملوك العرب للريحاني.

سلسلـــــــة مـــــن الاجــــــراءات خطـــــــى فيهـــــا التطـــــور السياسي والاتكال الوطني خطوات كبيرة فقد الغيت المحـاكم الـوطنيـة وعينت من واردات الجمرك وغيرها التى تحولت الى بنك انكليزي في المنـامـة رواتب شهـريـة للشيخ حمد ومن دونه من افراد الاسرة الحاكمة وقد تأسس ديوان يدعى مركز الحكومة ليقوم مقـام المحـاكم الوطنية يحضره الشيخ حمد والباليوز فينظران معا في شؤون البلاد الداخلية«١٢٢» «وبعد مدة وجيزة استقل بالنظر في ذلك مستشـار للشيخ حمد وهـو السر بلكـريف الانجليـزي وكـان يحضر في محكمة فصل الخصومات المحليـة مع المستشـار المذكـور الشيخ سلمان بن الشيخ حمد وفصل الخطاب ما يقوله المستشار. هذه هى قصة البحرين والانكليـز في عهـد الشيخ عيسى بن على من حكومة مستقلة ذات اسطول حربى الى حكومة ولا اسطول الى حكومة يراقبها وكيل سياسي انكليـزي الى حكـومـة تشـارك في ادارة شـؤونها الـداخليـة والاجنبيـة حكومة بريطانيا العظمي بواسطة باليوزها ووكيلهـا في الخليج«١٢٣». الى حكومـة لها الاسم مجرداً عن المسمى وينوب عنهـا مستشـار بـريطـاني هـو الكل في الكل تحت نظـر الـوكيل السياسي والجند هندى وقائده بريطاني ورئيس ادارة الجمارك والموانيء والجوازات انكليزي. . .

الى قول الشاعر. . والليالي بالحادثات حبالى كل يوم يلدن كل عجيب

الفصل الخامس

تأليف حزب يناصر آل خليفة ويعمل لاعادة الشيخ عيسى الى الحكم

وقال فاضل «الفريكه» طلب أهالى البحرين «يعنى الحزب المذكور» في الثـلاث سنين الاخيرة ثلاثة مطالب من الحكومة كلها ولاشك عادلة فوقفت السياسة الانكليزية تصـدهم وتقاوم مسعـاهم. طلبـوا تشكيل جمعيـة تشريعيـة فـاجـاب الشيخ عيسى بـالايجاب وأبى الباليوز. طلبوا تنظيم بوليسا وطنيـاً «الغـرض منـه عـزل رئيس البـوليس سليمان بن الحاج جـــــاســـــم بـــــن منصـــــور ومعـــــاونـــــه الحاج عبـــــاس بو شهرى وهذا من تبعية ايران ولكنهما والحق كانا من اول اشغـالهما لهذا المنصب الى الان لم يبد منهما ما ينسب الى حيف او غرض ضداى حزب أوأى انسان كـائنـا من كـان وقـد حافظـا على وظيفتهما بأمـانـة وإخـلاص مـدة اثنى عشر عـامـاً تقـريبـاً حتى اليـوم سنـة ١٣٥٠هـ، ولكن عرض الجمعية تأليف بوليس من حزبهم يعمل لفـائدتهم ويتخـذوا منـه اداة ضد المصلحـة العـامـة حيث النفـاق مستحـوذ حينـذاك

١٢٢ ـ ملوك العرب للريحاني.
١٢٣ ـ ملوك العرب للريحاني.

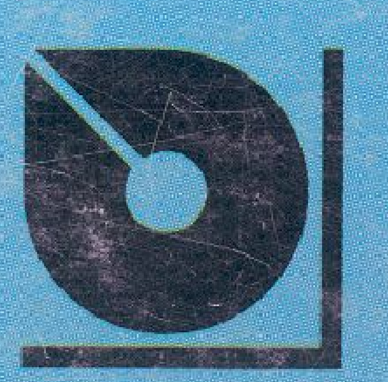
فـــرضــــى الشيـــــخ عيســـــى ورفـــض البـــالبـــوز وأصر على الـــرفـــض قـــدمـــوا لائحـــة اصـــلاح مـــن قـــرار مـــؤتمر البحـــريـــن الـــذى تكـــون على اثـــر عزل الشيخ عيسى عن الحكم جبراً عنه وانابة ولي عهده الشيخ حمد مكانه وهذا المؤتمر هـو للحزب المذكور» المنعقد في ١٥ ربيع الاول سنـة ١٣٤٢هـ الموافق ٢٦ ايـار سنـة ١٩٢٣م وهذا نصه: قـد اجتمعنـا وتعـاهـدنـا على السعي في الحصـول على المطـالب الآتيـة. اولاً استمرار الشيخ عيسى في مباشرة الامور الداخلية كما كان سابقاً بدون مداخلة القنصل مع المحافظة على ما بيننا وبين بريطانيا العظمي من الروابط الودية بدون زيادة او نقصـان واذا اراد الشيخ عيسى ان ينيب ابنه الشيخ حمد مثلاً فلنا عليه ما لنـا على والـده (٢) ان تجرى الاحكام جميعها على الشرع الاسلامي وعلى القانون المرضي الذى هو من الشرع ومطابق له (٣) انتخاب مجلس شورى من عمـوم اهل الـوطن ينظـر في مصـالح البـلاد (٤) تشكيل محكمة من اربعة اعضاء عالمين بامر الغوص للنظـر في جميع دعـاوي الغـوص «هذا البند يريدون ان يتلافون به ما احدثه القنصل المذكور من الاضرار على تجار الغـوص لتشجيعـه عمال الغوص بالتمرد على مدينيهم ونكران حقوقهم المالية ووضع المراقبة الـدقيقـة للتـوصل بالسيطرة على الغوص بهدم انظمته السابقة بغض النظر يلحقـه هـذا الهدم من ضيـاع تلك المالية الضخمة التى هي لتجار الغوص على عماله» .(٥) وقوف القنصل عند نص الاتفاق الذى بين الحكومة البريطانية وحكومة البحرين فلا يتدخل في الامور الـداخليـة.

. (٦) انتخبنـا منـا اثني عشر شخصـا وهم الشيخ عبدالوهاب الزياني والشيخ عبداللطيف بن محمود والسيد عبداللـه بن ابـراهيم وحسين بن علي وشاهين بن صقر ومحمد بن هندى واحمد بن جودر وعيسى الـدوسـرى واحمد بن لاحق ومهنا بن فضل ومحمد بن صباح وجبر المسلم لاجل القيام بهذا الامـر والمطـالبـة بتحقيقـه بكل الوسائل المشروعة.

فاستحسنها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين «حزب الجمعية» قيامة الوكيل وبذل ما لديه من قوة ونفوذ في حبوطها واعتقل من هؤلاء الشيخ عبدالوهـاب الزياني زعيم النهضة الوطنية في البحـرين وزميلـه احمد بن لاحق ونفـاهما الى الهنـد بـدون محاكمـة وبعـد ان عـزل الشيخ قـام اهل البحـرين «يعنى حـزب المؤتمر المذكـور» يشكـون ويحتجون فما سمعت شكاويهم ولا نفع الاحتجـاج«١٢٤» القوة لا تحترم غير القوة كما قـال الشاعر اما ترى الحق لفظ لا يوافقه الا نداء دوى المدفع الضخم

١٢٤ ـ نفس المرجع.

فهرس كتاب
عقد اللآل فى تاريخ أوال



من اصدارات: مؤسسة الأيام للصحافة والطب[illegible]
هاتف: ٧٢٧١١١ فاكس: ٧٢٩٠٠٩ ص. ب: ٣٢٣٢ ال[illegible]